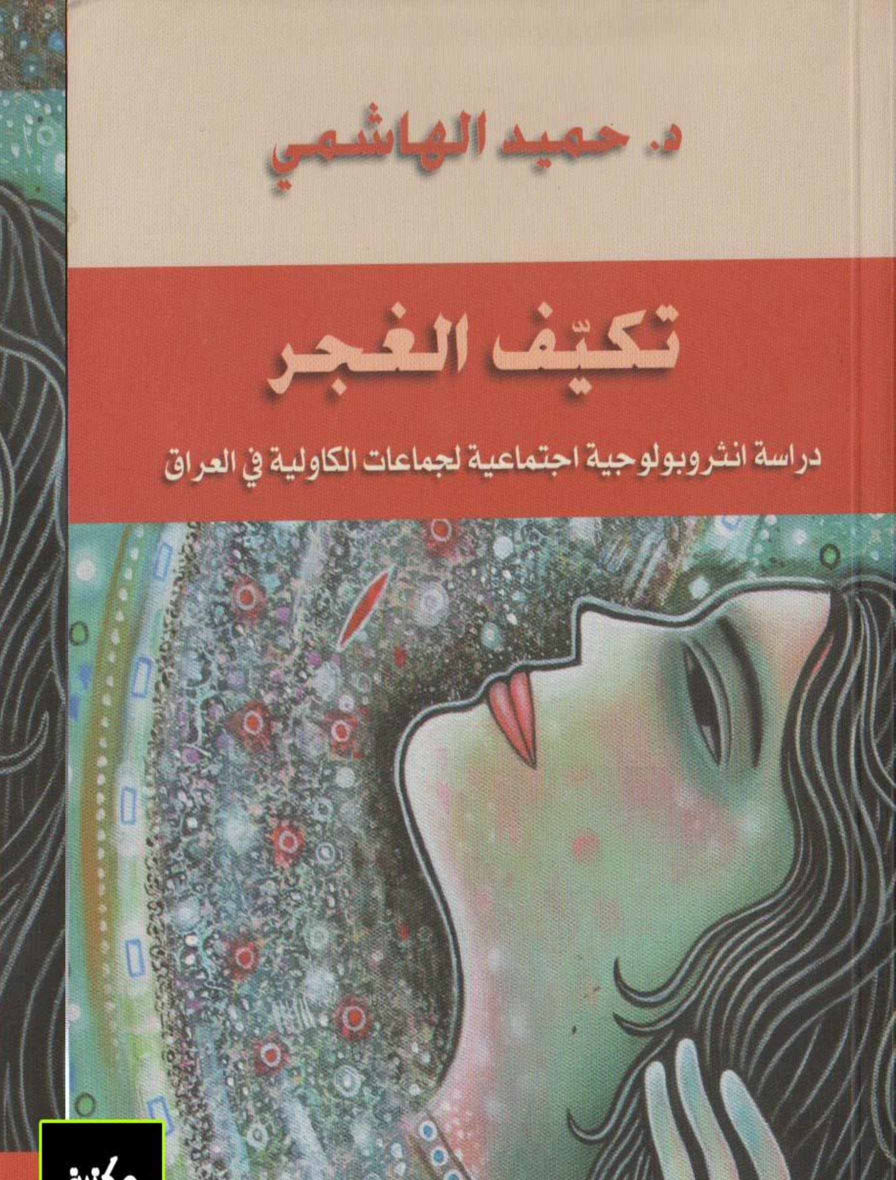
د. حميد الهاشمي

تكيّف الغجر

دراسة انثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق



تكيّف الغجر

دراسة انثروبولوجية اجتماعية
لجماعات الكاولية في العراق

الإهـداء

إلى من يؤمن بأن الإنسان على ما تربى عليه

وقد لا يكون له ذنب في ما هو عليه

فلا يستحق أن يُقتل على الهوية

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
الإهداء	5
الفهرس	7
مقدمة	11
الفصل الأول:	
من هم الغجر والكاولية؟	16
هل الغجر جماعة اثنية؟	16
تسميات الغجر في العالم	17
فرضيتنا في تسمية الكاولية	22
الفصل الثاني	
فرضيات في أصل الغجر	36
خلاصة	48
الخصائص المشتركة للغجر في العالم	50
الغجر والهولوكوست	55
الفصل الثالث	
الغجر أو الكاولية في العراق	62
أماكن استيطان الكاولية في العراق	63
أعداد الكاولية في العراق	65
الفصل الرابع	
القرابة والزواج في مجتمع الكاولية	74
القرابة	74

الأسرة في مجتمع الكاولية................................ 83
المرأة رب أسرة في مجتمع الكاولية......................... 89
الحالة الزواجية.. 91
الحالة التعليمية للكاولية................................. 94
نظام الزواج في مجتمع الكاولية........................... 103
مراسيم الزواج عند الكاولية............................... 106

الفصل الخامس

النسق الديني.. 112
الممارسات الدينية للكاولية.............................. 114
خلاصة الفصل... 124

الفصل السادس

النسق الاقتصادي..................................... 126
النشاطات الاقتصادية الرئيسة للكاولية.................... 127
أنواع النشاطات الاقتصادية.............................. 130
الطرب (الغناء، الموسيقى، والرقص)....................... 130
تجارة الجنس... 135
العمل التجاري.. 142
النشاطات الاقتصادية الأخرى............................. 146

الفصل السابع

الضبط الاجتماعي في مجتمع الكاولية..................... 154
سلطة القانون (الشرطة).................................. 155
الدين.. 158
الأعراف.. 161

الجزاءات العشائرية 166
خلاصة الضبط الاجتماعي 169

الفصل الثامن

الاتصال والتفاعل الاجتماعي 172
الاتصال 172
التفاعل الاجتماعي 173
نماذج التفاعل الاجتماعي بين الكاولية ومحيطهم الاجتماعي 175
خلاصة الاتصال والتفاعل 181

الفصل التاسع

التكيف الاجتماعي 184
نماذج التكيف الاجتماعي 187
القبول الاجتماعي 196
نظرة الغجر لواقعهم 215
خلاصة التكيف 218

الفصل العاشر

أوضاع الكاولية في العراق اليوم 222
أهم مشاكل الكاولية في العراق 222
أهم نتائج الدراسة 232
مقترحات وتوصيات لمعالجة واقع الكاولية في العراق 237
مصادر ومراجع الكتاب 239
الملاحق 248
السيرة العلمية للمؤلف 260

مقدمة

أينما يذكر اسم الغجر بتسمياتهم المحلية المختلفة وفي شتى بلدان العالم، فإنه يثير فضول أغلب السامعين، وذلك لما امتازت به حياتهم من غرابة وطرافة وعناصر جذب. وهو ما أحاط حياتهم بالكثير من القصص والافتراضات والأحكام المسبقة والقوالب الجاهزة وشكل صورة نمطية عنهم تسبقهم حيثما حلوا أو طرقوا الأسماع. كما أن الغجر كانوا ومازالوا ملهمين للكثير من الشعراء والمغنين ومحبي الحرية والعبث، وهو ما اقترنت به طبيعة حياتهم المتسمة بالترحال إلى حب اللهو والتسلية وفنون الطرب والمتعة الأخرى. تعددت المذاهب في نسب أصولهم وطرق هجراتهم، ومدى كونهم عرقاً واحداً أم أعراقاً متعددة.

وهم موضوع دسم للدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية، ذلك أن طبيعة الجماعات الغجرية تتميز بسمات ثقافية فريدة في معظم جوانبها، فهي تتميز بالتلون السريع والتكيّف مع معظم المظاهر التي يمتاز بها المجتمع الذي يلجوه بضمنها اللغة والدين والأزياء... وغيرها، لكنها تحاول أن تتميز ببعض السمات التي تجعلها متفردة مثل طريقة العيش والارتزاق والسكن والمعتقدات.

والشائع عن الغجر أنهم جماعات تعيش في أجزاء كثيرة من بلاد الدنيا وتجول في ربوع أوروبا وأميركا وصحراء إفريقيا ومزارع آسيا، وهم يعتبرون أنفسهم سراً مغلقا لا ينفذ إليه أحد. (١)

هذه الدراسة (٢) تتناول موضوع الغجر بلمحات عامة تتطرق إلى

١- شوغرمان، باري، علم الاجتماع – النظرية والمفهوم، ترجمة محمد الغريب عبد الكريم، ط٥، المكتب الجامعي، مصر، ١٩٨٨، ص ٥٤.

٢- في الأصل رسالة من ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير بالانثروبولوجيا، قدمت إلى كلية الاداب في جامعة بغداد عام ١٩٩٤، وقد عمل الباحث بعض التحديثات والإضافة إليها في ظل المتغيرات الجديدة على أوضاع الغجر خاصة والعراق عامة.

التعريف بهم، أصولهم، تسمياتهم، مع تركيز خاص على الغجر (الكاولية) في العراق، وذلك بتناول أصل تسمية الكاولية، حيث يضع الباحث فرضية جديدة بشأن هذه التسمية مغايرة للفرضيات السابقة الشائعة، وتلقي الدراسة الضوء على توزيع الكاولية في العراق.

وقد تعرض الغجر أو الكاولية وهذه تسميتهم المحلية في العراق إلى اعتداءات وتهجير من الميليشيات الدينية المسلحة والعناصر الإرهابية التي ظهرت إلى الساحة بعد انهيار النظام في العراق عقب حرب عام ٢٠٠٣ واحتلاله. وان هذه الاعتداءات جاءت بداعي انحراف الغجر السلوكي وممارساتهم المتقاطعة مع الثقافة العراقية المحافظة. الأمر الذي أدى إلى أن تتحول حياة هؤلاء إلى بؤس أكبر مما كانوا يعيشون في السابق وفي ظروف صعبة، كما سنطلع لاحقاً في هذه الدراسة.

الجانب المهم والذي سيكون محور الدراسة الميدانية هو التكيّف الاجتماعي للغجر. وتعتمد دراسة التكيّف الاجتماعي على تحليل جميع أنساق الكيان الاجتماعي لأي مجتمع مدروس. ولهذا فإننا بحثنا أنساقهم المهمة وذات المساس المباشر بالتكيّف الاجتماعي وهي (القرابي، الاقتصادي، الديني والضبط الاجتماعي)، كما بحثنا الاتصال والتفاعل الاجتماعي والتكيّف باعتباره متغيراً مستقلاً من خلال الدرجات التي بلغها في جوانب مستقلة أخرى.

والتكيّف الاجتماعي هو غير الاندماج الاجتماعي[١] الذي يقتضي التخلي عن الكثير من العادات والتقاليد والممارسات القيمية من أقلية

١- الاندماج الاجتماعي هو تطابق سلوكي ومظهري، إلى حد ما، من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والإدارية من افراد او مجاميع او اقليات مع تقاليد وقيم وممارسات المجتمع الأوسع او الثقافة الحاضنة (بلد المهجر في حالة الأقليات المهاجرة). وقد تكون طوعية او لا إرادية او عملية منظمة من حكومة وإدارات ومؤسسات بلد المهجر لغرض تقريب المسافة الاجتماعية والثقافية وتكييف ودمج المهاجرين في ثقافتها وانساقها الإدارية والوطنية، وذلك سعيا إلى خلق نوع من الانسجام واللحمة بين ابناء هذا البلد سواء اكانوا مواطنين ام مهاجرين بغية الاستفادة القصوى منهم وتجنبا لخلق اي نوع من الازمات الداخلية. للمزيد بخصوص مفهوم الاندماج الاجتماعي وعلاقته بالاقليات والهجرة، راجع «د. حميد الهاشمي، نحو بناء نظرية للاندماج الاجتماعي للجاليات المهاجرة: مع دراسة تطبيقية ميدانية على المهاجرين العراقيين في هولندا، قيد النشر».

ما لصالح ثقافة الأغلبية. بمقابل ذلك تحصل هذه الأقلية على المزيد من الفرص والإمتيازات لصالح أفرادها الذين يشاركون المجتمع الأكبر ويتواصلون معه.

أما التكيّف، فيكاد يكون ظاهرياً ومصطنعاً من أفراد أو جماعات، من أجل تجنب ردات الفعل عادة التي تواجههم جراء ممارساتهم الثقافية المتقاطعة مع ثقافة المجتمع الأوسع أو ثقافة الأغلبية.

لقد احتوى الفصل الأول على أسئلة وبحث نظري يتعلق بمدى كون الغجر أقلية أثنية، كما احتوى على تناول تسميات الغجر في العالم أما الفصل الثاني من هذا فطرح مجموعة فرضيات في أصل الغجر، وتضمن كذلك، الخصائص والسمات المشتركة للغجر في العالم، وموضوع الغجر والهولوكوست. في حين كان الفصل الثالث يتضمن مدخلا لدراسة الغجر من حيث استعراض تسمياتهم الشائعة في العالم وفرضيات أصولهم المشتركة وتقديرات أعدادهم، والكاولية في العراق (تاريخ دخولهم العراق وأماكن وجودهم).

أما القسم الميداني فقد قسم إلى سبعة فصول على وفق ما يلي:

تناول الفصل الرابع النسق القرابي من ثلاث نواحي وهي: الأسرة، وتناولنا فيه بيانات عن الأسرة الغجرية وحجمها والتركيب النوعي والحالة التعليمية وغيرها. والقرابة وتناولنا فيه دراسة القرابة والعلاقات القرابية ومتانة علاقات القرابة ومكانة الأقرباء. وبحثنا أيضاً، نظام الزواج وطقوسه ومراسيمه في المجتمع الغجري. أما الفصل الخامس فبحث في النسق الديني من حيث دور الدين ومدى التزامهم به واطلاعهم على حدوده ومدى تقاطع حرفهم مع تعاليمه. وتناول الفصل السادس النسق الإقتصادي من حيث نواحي النشاطات الإقتصادية الرئيسة للغجر، وهي الطرب (الغناء، الموسيقى والرقص)، وتجارة الجنس (البغاء والسمسرة فيه)،

والأعمال التجارية الأخرى من امتلاك وإدارة محل تجاري. أما الفصل السابع فكان عن الضبط الاجتماعي وأدواته في المجتمع الغجري والقوى الضابطة لسلوك الفرد الغجري.

وتناول الفصل الثامن الإتصال الحضاري والتفاعل الاجتماعي وذلك باستعراض أدوات الاتصال وأنواعه والآثار التي يتركها ، والتفاعل الاجتماعي الناجم عن الإتصال وإنعكاس ذلك على التكيّف الاجتماعي. .وكان الفصل التاسع عن التكيّف الاجتماعي، حيث بحثنا في بعض مظاهر التكيّف الاجتماعي التي بلغها الغجر ومقارنة ذلك بين منطقتي الدراسة، أما الفصل العاشر والأخير فقد تضمن بحث مشاكل الجوار والإسكان بالنسبة للكاولية وأوضاعهم الآن، بعد التغيرات السياسية التي تمثلت بحرب عام ٢٠٠٣ وانهيار النظام السابق في العراق. ومقترحات وتوصيات لمعالجة وإيجاد حل ناجز لواقعهم قدر المستطاع.

يشكل الكاولية ثقافة فرعية متمايزة ومتقاطعة مع الثقافة العامة للمجتمع العراقي في جوانب رئيسة وحاسمة. وقد كانوا، ومازالوا سؤالاً ولغزاً مثيراً، يحير الكثير من الناس، ومنهم البسطاء والباحثين.

الفصــل الأول

من هم الغجر أو الكاولية

هل الغجر جماعة إثنية؟

تسميات الغجر في العالم

فرضيات في أصل الغجر

الخصائص المشتركة للغجر في العالم

• هل الغجر جماعة إثنية؟

يعرّف موريس (Morris) الجماعة الإثنية(Ethnic Group): إنها فئة متمايزة من السكان تعيش في مجتمع أكبر لها ثقافتها المتمايزة، تشعر بذاتيتها وترتبط معاً إما بروابط السلالة أو الثقافة أو القومية. في حين يعرفها شيرميرنورن : (Schermernorn) بأنها مجموعة من الأفراد يعيشون في مجتمع أكبر . لهم سلف مشترك (سلالة واحدة) وتاريخ وذكريات مشتركة ترتكز على واحد أو أكثر من العناصر الرمزية مما يجعلهم يشعرون بالأهلية (people hood) ومن هذه العناصر أنماط القرابة والجوار والتماس الفيزيقي واللغة أو اللهجات المختلفة والقبلية والانتماء القبلي والديني أو أي تركيب من هذه العناصر. [١]

أما بارث (Barth) فيرى أن الجماعة الإثنية: هي جماعة من السكان يمكن تحديدها في ضوء الخصائص التالية:

١- إنها ذات وضع سلالي خاص يميزها عن غيرها.

٢- إشتراكهم في عناصر وصفات وأنماط حضارية.

٣- أن يكون لها بناء خاص بها من وسائل الإتصال والتفاعل الداخلي بين الأعضاء وكذلك بينهم كجماعة وبين الأفراد الآخرين.

٤- يتميز أفراد تلك الجماعة بشخصيات ذاتية مستقلة من خلال عضويتهم وانتمائهم لها، كما يتميزون بالوقت نفسه بعضويتهم في بعض المنظمات الأخرى داخل المجتمع الذي تعيش فيه هذه الجماعة. [٢]

نستخلص من هذا، بأن الجماعة الإثنية هي جماعة أو أقلية لها خصائص حضارية إما عرقية أو لغوية أو دينية أو طائفية أو حتى مهنية أو معظم هذه الخصائص. تعيش في ظل مجتمع أوسع منها، تجعلها متفردة عن هذا المجتمع لتشكل فيه ثقافة فرعية (Subculture). وعلى هذا الأساس وطبقاً

١- إسماعيل، فاروق، العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية، ط٣، دار قطري بن الفجاءة، قطر١٩٨٦، ٤٢.

٢-العاني، مزاحم ، الاتصال ودوره في التغير الاجتماعي، رسالة دكتوراه باللغة اليونانية (غير منشورة) مقدمة لجامعة البانديوس اليونانية، ١٩٩٢.

للخصائص العرقية والثقافية التي يتميز بها الغجر بصورة عامة في العالم وغجر العراق؛ فإننا نستطيع هنا أن نخلص إلى أنهم ثقافة فرعية وجماعة إثنية [١] في المجتمع العراقي.

• تسميات الغجر في العالم:

يتخذ الغجر تسميات عديدة تختلف من دولة لأخرى ومن إقليم لآخر في العالم، وقد اكتسبوا هذه التسميات العديدة، إما من الغجر أنفسهم أو من الشعوب الأخرى التي يمرون بها أو يحطون رحالهم في أوساطها. وقد تنوعت التسميات بسبب تنوع مصادرها. فهي إما أن تصدر عن الغجر أنفسهم لتحمل ادعاء الشرف والأصول العريقة أو عن غيرهم لتحمل اعتقاداً أو تصوراً خاطئاً مفترضا على أساس ممارستهم للنشاطات التي اختصوا بها أو لمصدر مجيئهم أو لسماتهم الفيزيقية أو تبعا للثقافة التي يحملونها.

وهنا نستعرض أهم التسميات الشائعة لهم في العالم مع مناقشة لبعض هذه التسميات ومصادرها.

الغجر (Gypsies):

كلمة الغجر كلمة هندية أصلاً حيث هناك لغة هندية قديمة تدعى بالغجراطية[٢] ذكرها أستاذ اللغات (جوبسون) في بحث عن تعلم اللغات وصعوبة اللغات الهندية. [٣]

١- يعرف موريس (Morris) الجماعة الإثنية (Ethnic Group) بأنها فئة متمايزة من السكان تعيش في مجتمع أكبر لها ثقافتها المتمايزة، تشعر بذاتيتها وترتبط معا إما بروابط السلالة أو الثقافة او القومية. في حين يعرفها شيرميرنورن (Schermernorn) بانها مجموعة من الأفراد يعيشون في مجتمع اكبر. لهم سلف مشترك (سلالة واحدة) وتاريخ وذكريات مشتركة ترتكز على واحد او اكثر من العناصر الرمزية مما يجعلهم يشعرون بالاهلية (people hood) ومن هذه العناصر انماط القرابة والجوار والتماس الفيزيقي واللغة او اللهجات المختلفة والانتماء القبلي والديني او اي تركيب من هذه العناصر. (إسماعيل، فاروق، سبق ذكره، ٤٢).

٢- من المرجح إنها تعود إلى إقليم غوجرات الهندي.

٣- الشيخ علي، خليل الشيخ علي، وقفة في دروب الكاولية، جريدة البلد البغدادية، ع (٣٥٣)، ٩ – تموز – ١٩٦٥.

ويتفق معظم الباحثين في مجال الغجر أو ما يسمى بعلم الغجريات (Gypsology) على أنهم منحدرون من أصل هندي، وقد هاجروا على شكل موجات، نحو الغرب والشمال مروراً بالشرق الأوسط. وهم الشعب الوحيد الذي قدمته الهند إلى أوروبا في السنين الثلاثة آلاف الأخيرة. مقابل الشعوب التي أتت من أوروبا إلى الهند . ويعيش الكثير من الغجر في الهند حتى الآن كما يعيشون في كل بلد تقريباً. (١)

ويرى الباحث هوارد غرينفيلد (Howard Greenfield) أن الغجر بدو حقيقيون متنقلون من مكان إلى آخر غير محتاجين إلى الاستقرار ولا يريدون أن يلتحقوا بمجتمع مستقر ثابت. وهؤلاء لا يمتلكون عادات وتقاليد وهناك الكثير من الأفكار المستمدة من القوى فوق الطبيعية.(٢)

وهنا لا نتفق مع رأي الباحث غرينفيلد على أنهم بدو حقيقيون. حيث نرى إمكانية القول بأنهم شبه بدو، وفي ما يتعلق بغجر العراق مثلا فقد توقف ترحالهم بعد استقرارهم في تجمعات سكنية متوزعة في أنحاء العراق، وكما سنأتي على ذلك لاحقا.

كما أن سماتهم المعيشية والثقافية تختلف كثيراً عن البدو.

والغجر من الشعوب القوقازية السمر جاءوا أصلاً، من الهند ودخلوا أوروبا في القرن الرابع عشر والخامس عشر والآن يوجدون بصورة رئيسة في تركيا وروسيا وإنكلترا والولايات المتحدة الأميركية . (٣)

والغجري (نسبة إلى مصر) هو الشخص الذي يدل على حياة التجوال، هائم متشرد، ونساؤهم مخادعة وهم واحد من الأقوام البدوية ذوي البشرة النحاسية والشعر الأسود، وهم من الجنس الهندي الأصل والآن معروفون عالمياً ولغتهم الرومني. (٤)

١- عارف، مجيد حميد، ثقافات وشعوب، دار الكتب، بغداد، ١٩٩٣، ص ١٩٩.

2- Greenfield. Howard. Gypsies. Crown Publishers. Inc. New York. 1977.P.1.

3- Webster's Third New International Dictionary. vol. 1. A.G. P. 61.

4- New Webster Dictionary. P. 20.

ومن الآراء التي طرحت في أصل وتسمية الغجر ما طرحه عالم الغجريات العراقي الأستاذ لطفي الخوري :

إن كلمة الغجر لفظة تركية الأصل من (كوجر) بجيم مثلثة فارسية (Gocher) ومعناها الرحل لأننا سمعنا بعضهم يسمونهم حتى اليوم غوجر وذلك في شمال الموصل (العراق) ومنهم من يسمونهم القرج. [١]

وفي رأي آخر من المحتمل أن تكون كلمة الغجري هي تصحيف (القاجاري) نسبة إلى قبيلة تركية الأصل كانت منها الأسرة المالكة في إيران والتي انقرضت، فالقاجاري غير الكاولي ولا يصح، إذن، أن نسمي الكاولي بالقاجاري. [٢]

وقد وصل الغجر إلى أوروبا خلال العصور الوسطى. ويرجح أن يكونوا من أصل هندي وهؤلاء لهم حق أكثر من أي جنس أوروبي آخر في أن يعتبروا آريين، الأمر الذي يجعل هؤلاء محاربين من النازيين. وقد وضعوا في غرف غاز، كسخرية بهم، وكانت هذه حالة مخزية. [٣]

والغجر هم الشعب البدوي الذي بدأ الهجرة إلى أوروبا من الشرق في القرن الرابع عشر آتياً من الهند بصورة تقليدية، وهم يدعون الانتماء لشعوب عدة [٤]

إن معظم هذه الآراء تجمع على أن أصل الغجر من الهند ولكنها تختلف في التسمية، وبالنسبة لنا، فإن كلمة الغجر هي التسمية المحلية المستخدمة في السجلات الرسمية ووسائل الإعلام، وهي تطلق على جماعات تمتهن

١- كليبر، جان بول، الغجر: دراسة تاريخية فولكلورية، ترجمة لطفي الخوري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٦، ص ٣٦١.

٢- المصدر نفسه، ص ٣٦٠.

3- Manchip. White. Anthropology English Universities press. London. 1954. P. 64.

4- The Encyclopedia Americana. International Education. vol. 13. New York. 1976. P. 646.

الرقص والغناء والبغاء. حيث يأوون لهذا الغرض وهم مستقرون في تجمعات سكانية على مقربة من المدن الكبيرة. وقد كانوا مترحلين حتى أوائل السبعينات، وقد منحوا الجنسية العراقية في أوائل الثمانينات. وتطلق عليهم من العامة اسم (الكاولية).

الكاولية:

وهي التسمية المحلية للغجر في العراق وتلفظ أحياناً (كيولية) ومفردها كاولي.

وقد طرحت فرضيات عدة في أصل هذه التسمية ومصدرها وتفسيرها. فالدكتور مصطفى جواد (باحث عراقي) يرى أن تسمية الكاولية متأتية من اسم مدينة كابل (عاصمة أفغانستان) أي أن أصلها (كابلي). ويرجع أصل الكاولية (الغجر) إلى الهند، لكن هذه التسمية جاءت جراء مرورهم من السند إلى إيران حيث إن مدينة كابل تسيطر على المدخل الغربي لممر خيبر الواصل بين السند وأفغانستان.[١]

إن هذا الرأي هو الأكثر شيوعاً لتفسير هذه التسمية عندنا وفيه شيء من المعقول، لكن نقول: لقد مرت من هذا الطريق موجات عديدة من الهجرات ولاشك أن جميعها مرت بكابل على السواء باعتبار أن مر خيبر هو الممر الرئيس لتلك الموجات القادمة من تلك الجهات، وقد يكون بعضه عسكر ليستريح، أياماً، ثم واصل الهجرات، فلماذا لم تكتسب كلها تسمية كابلية أو كاولية؟ وهذا هو مصدر الشك والتساؤل بشأن هذه الفرضية ذلك لما نعلمه من أن الكاولية هم مجرد إحدى قبائل أو جماعات الغجر وهناك جماعات غجرية مناظرة لها ومقربة ولكن بتسميات مختلفة.

١- جواد، مصطفى، الغجر في المراجع العربية، مجلة العربي الكويتية، ع (١٢٦) ، مايو ، ١٩٦٩، ص ٤٠.

أما الأب انستاس ماري الكرملي[1] فيرى أن كلمة كول (كاولية) نسبة إلى طائفة من الأشرار الكفار كانت تقيم في ناحية مولتان بالهند ويرى أن الكول أو الكولية من أصل هندي. وقد تكون مشتقة من التكول بمعنى التجمع أو نسبة إلى كول وهي قرية بفارس.[2]

ويرى الأستاذ شاكر الضابط في معرض إشارته للأستاذ لطفي الخوري بهذا الشأن أنها تعني (كاوول) وهي باللغة التركية تعني (مهجوماً، خرباً) وأن الكاولي في التركية تعني (من خرب بيته فبقي جوّالاً).[3]

وورد في القاموس الفارسي (فرهنك انندراج) أن مصطلح كاولي مرادف لوري (أحد تسميات الغجر) الذي أطلق على جمع من الهند وقد حذف الألف في الإيرانية وصار كولي.[4]

أما الأستاذ خليل الشيخ علي فيرى (في مقال نشرته جريدة البلد البغدادية في عددها ٣٥٣ عام ١٩٦٥) أن كلمة (كالية) المستعملة في إسبانيا لنعتهم، وهي ليست إسبانية، ويؤكد علماء اللغة الإسبان أن كلمة كالية مفردة جاءت من اللغات الهندية، بل من لهجات الكاولية (الغجر) الأصلية وقد دخلت إلى اللغة الإسبانية عن طريق الهند.[5]

ونحن نستبعد هنا الرأي الأخير مثلما نضعف الآراء التي قبله، لأن مصدر الكاولية الشرق، وإذا كان هناك تقارب في التسمية بين كاولية العراق وكاولية إسبانيا فالأرجح أن تكون كلمة كالية تحريف لكلمة

١- علامة وباحث عراقي مواليد بغداد (٨ – ١٨٦٦)، والده من أصل لبناني ينحدر من جبل الكرمل، عمل في خدمة اللغة العربية وآدابها، أصدر مجلة باسم (لسان العرب) وأخرى باسم لغة العرب (١٩١١ -١٩٣٢).

٢- حسن، علي، مجلة التراث الشعبي البغدادية، العدد ٢، السنة ١، ٢٨ أيلول- سبتمبر ١٩٦٨.

٣- كليبر، سبق ذكره،ص ١٠.

٤- الحديثي، طه حمادي ، الغجر والقرج في العراق، طبع جامعة الموصل، ١٩٧٩، ص ١٦.

٥- الشيخ علي، سبق ذكره، ص ٣.

كاولية. والأخيرة هي الأسبق زماناً ومكاناً، وهنا اتفاق في المصدر (من الشرق - الهند) والتسمية (كاولية).

إذن، ماذا تعني تسمية كاولية؟

فرضيتنا الجديدة في تسمية الكاولية:

إن الباحث توصل وبعد بحثه في أصل هذه التسمية ومطالعة بعض ما كتب عن تاريخ الهند والقبائل الهندية، إلى أن هذه التسمية تنطبق على قبائل هندية كانت بعض نسائهم تمارس الزنا والرقص كخدمة دينية لرجال الدين وبالأجر إلى طالبي المتعة ومنهم ما كان في معبد الملك الكولي (كاول).

وقد انتسبوا إلى الملك (كاول) وخاصة بعد هجراتهم تشرفاً وتعظيماً لأنفسهم. وقد ورد نص واضح يمكن الاستدلال به إلى تسمية الكاولية ونسبهم . وهذا النص هو ما كتبه الباحث وول ديورانت في سفره قصة الحضارة. وأما هجراتهم إلى الشرق الأوسط والعراق بالذات فهي هجرات لاحقة لهجرات أقرانهم من القبائل السابقة والتي جاءت كما قال الشاعر الفردوسي بناء على طلب الشاه الفارسي.

وهذا النص الذي كتبه الباحث ول ديورانت (Will Durant) في مؤلفه الكبير (قصة الحضارة The Story of Civilization)، في الجزء الخاص بالهند وجيرانها وفي فصل (تنظيم المجتمع والزواج والزنا وغيرهما). يقول ديورانت[1] : كان الزنا في الأعم الأغلب مقصوراً على المعابد، ففي الأصقاع الجنوبية كانت رغبات الرجل الشهواني تشبعها من يطلق عليهن (خادمات الله) طائعات في ذلك أوامر السماء. وما خادمات الله أو (دافاس) كما يسموهن إلا - العاهرات- وفي كل معبد في - تاهل- مجموعة من

١- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ج٣، م١، دار الجيل، بيروت، (بدون تاريخ)، ص ١٧٥.

النساء المقدسات اللائي يستخدمهن المعبد أول الأمر في الرقص والغناء أمام الأوثان، ثم من الجائز أن يستخدمهن بعد ذلك في إمتاع الكهنة والبراهمة، وبعض هؤلاء النسوة في ما يظهر قد قصرن حياتهن على عزلة المعابد وكهانها، وبعضهن الآخر قد وسع من نطاق خدماته بحيث يشمل كل من يدفع أجراً لمتعته، على شريطة أن يدفعن لرجال الدين جزءاً من كسبهن عن هذا الطريق.

وكان كثير من زانيات المعابد أو فتيات الرقص يقمن بالرقص والغناء في الحفلات العامة والاجتماعات الخاصة على نحو ما تفعل فتيات (الجيشا) في اليابان.

وكان بعضهن يتعلم القراءة والكتابة وأحاديث الثقافة في المنارة حيث لا تجد الزوجة ما يشجعها على تعلم القراءة ولا يسمح لها بمخالطة الأضياف. وهؤلاء الفتيات القارئات شبيهات بمن كن يسمين (Hetairai) عند اليونان.

ويحدثنا نص مقدس: إنه في سنة ١٤٠٠ كان في معبد الملك كاول، راجاما في تانجور أربعمائة امرأة من (خادمات الله)، واكسب الزمان هذه العادة صبغة الجلال فلم يرَ فيها أحد ما ينافي الأخلاق، حتى إن السيدات المحترمات كن أحياناً، يهبن بناتهن إلى العهر في المعابد بالروح نفسها التي يوهب فيها الابن إلى الكهنوت.

إن هذا النص يدل دلالة قاطعة على التسمية بالنسبة للكاولية، وكذلك لفرضية أصل الغجر.

القرج (Qaratch):

يرى الباحث بنيامين أن قرج هي (Qaratch) اسم مشتق من الكلمة التركية (قره) بمعنى أسود. كما أن التسمية الفرنسية للغجر (تسيغان)

تكون منسوبة إلى اللون الأسود المميز. كما يدل على الترابط بين الغجر والقرج. ويرى الأب انستاس الكرملي أن اسمهم يطلق على جماعة من النَّوَر (بفتح النون والواو) توجد في أطراف الموصل وبعض أنحاء بغداد، وتتميز بالجشع والطمع والسرقة وتدعي الانتساب إلى القريشيين. ويرجح أن هذه الجماعة من مدينة كرج الواقعة بين همدان وأصفهان. ويشير الأب الكرملي إلى أنهم من عنصر فارسي أو يكاد يكون فارسياً أو تركياً. وقد ورد في معجم تركي أن كلمة قرجي (Karaji) مرادفة لغجري أو جنكاني وتعني عديم الأخلاق والحياء وهم قوم عبدة الأصنام نشأوا في الهند ثم انتشر قسم منهم في إيران والعراق ومصر ومنهم انتشروا إلى بلاد الفرنجة والأندلس مزاولين حياة فيها البداوة. وورد فيه أيضاً أن قرجي مشتقة من قراجي بمعنى اللص أو قاطع الطريق.[١]

ويؤكد الباحث طه حمادي الحديثي هذا الرأي الأخير من أن تسمية القرج تسمية لنمط من السلوكية المستهجنة وليست من الأسود أو من اسم مدينة مستنداً إلى إطلاق عامة العراقيين هذه اللفظة (قرجي) على الشخص السفيه.[٢]

ونحن نرى أن رأي السيد الحديثي قد لا يكون صائباً وذلك لضعف استناده حيث أن نعت الشخص السفيه بالقرجي (كصفة ذم) متأت (كصفة) من سلوكهم (القرج). فلو كان اسمهم غير ذلك لكانت صفة الذم هي هي، حيث تأخذ الاسم الآخر لهم أيضاً. ولو كانت صفتهم حسنة لما كانت تسميتهم تستعمل لذم الآخرين. ودليل ذلك أن الشخص السيء يقال له (كاولي) على غرار (قرجي)، ذلك في الجنوب علماً أن كلمة قرجي تكاد تكون مجهولة في وسط وجنوبي العراق. وقد تكون كلمة قرجي هي كلمة (كراكي) أو (كاراغي) وهي أول ما أطلقه الفرس على

١- الحديثي، سبق ذكره، ص ص ٢٠- ٢١.

٢- المصدر نفسه، ص ٢١.

الغجر، كما أن بعض الغجر في أذربيجان يسمون كاراكي وهي كلمة تركية تعني متسولا .[1]

وعلى أية حال؛ فإن القرج في العراق لديهم بعض التشابه الثقافي مع غجر العراق وذلك قبيل توطين الغجر وتحولهم من مهنهم التقليدية إلى ما هم عليه الآن.

ولا يصح أن ندعوهم غجراً مقارنة بغجر العراق كما أنهم لا يقبلون ذلك، وهم سريعوا التكيّف والاندماج بالمجتمع كما أن وجودهم ليس بالصورة المميزة مثل الغجر، لذلك سوف نقصر دراستنا على الغجر فقط.

ويعتقد الباحث طه حمادي الحديثي أن القرج خليط من جماعات عدة بشرية كالأكراد والترك والعرب وأقوام أخرى قدمت من إيران وتركيا إلى العراق في فترات مجهولة ليس بالمستطاع تحديدها.[2]

والقرج جماعة غجرية سكنت المناطق الشمالية من العراق وتسمى أيضاً (كاولية العجم) تميزاً لهم عن الكاولية. وتدعي الأسر القرجية المخيمة في تلعفر الانتماء إلى قبيلة بني مرة العربية.[3]

النَّـوَر:

كلمة تطلق على جماعات غجرية في البلاد العربية مثل لبنان وفلسطين وسوريا والأردن. ويذهب الباحث نبيل صبحي حنا المتخصص بعلم الغجريات إلى أن هذه الكلمة (نَوَر) تعني اللص أو المحتال وهو يرى أنها لا تعطي المعنى المقابل لكلمة (Gypsies) في اللغة الإنكليزية، وهي تعني كذلك المهرج أو المضحك.[4]

١- كليبر، سبق ذكره، ص ٧٥.
٢- الحديثي، سبق ذكره، ص ٢١.
٣- المصدر نفسه، ص ص ٢١-٢٢.
٤- حنا، نبيل صبحي، الجماعات الغجرية مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠، ص ٢٧٢.

ولكننا نرى أنها إحدى التسميات المحلية العديدة التي تطلق عليهم والناتجة إما عن صفاتهم أو سلوكهم أو جهة مجيئهم أو أنها لحقت بهم نتيجة لواقعة معينة.

وهناك احتمال بأن تكون كلمة (نور) مشتقة من كلمة (نوري) غير أن كاترمير يرى أن الاسم اشتقاق من الكلمة العربية (نار) أو الفعل العربي (نور) وذلك بسبب أنهم كانوا يحملون الجمرة أو المشكاة أو الفانوس أو من عملهم بالحرارة. أو من المحتمل أن كلمة نور توجد في اللهجة السنسكريتية لشمال غربي الهند التي تعتبر الموطن الأصلي لجماعات الغجر. (١)

ويرى الباحث جان بول كليبر أن كلمة (لوري) أصبحت (نوري) وهي تطلق على جماعة من الرحل يقطنون سوريا ومصر وفلسطين. أو أن كلمة نوري مفردة كلمة نور العربية وتطلق على الغجر القاطنين في البلاد العربية.(٢)

اللـور:

هي إحدى تسميات الغجر. وهو اسم أول وأقدم قبيلة غجرية وصلت إلى إيران في القرن الخامس الميلادي. (٣)

وهو كذلك الاسم الأصلي للقبيلة الهندية ويسمون كذلك اللولي. ويذكر الشاعر الفردوسي في الشاهنامة أنهم القبيلة التي بعث بها ملك الهند سانكار إلى الملك بهرام جور الفارسي بناء على طلبه، وهم عشرة آلاف.(٤)

ويعتقد السيد خليل الشيخ علي أن لوري هي أصل مفردة نور التي شاعت في الأردن وسوريا.(٥)

١- المصدر نفسه، ص ٢٩٢

٢- كليبر، سبق ذكره، ص ٣٧.

٣- جوريتس، رايكو، رحلة الغجر عبر التاريخ، مجلة العربي الكويتية، ع (٣٦٤)، مارس (آذار) - ١٩٦٤، ١٨٥.

٤- الحديثي، ص ١٦.

٥- الشيخ علي، ص ٣.

في حين يذهب الحديثي إلى أن قبيلة لوري هم أسلاف الـ جر وأنهم متنقلون ويمارسون الموسيقى والغناء.[1]

إن اللور، لاشك، أقل تأثيراً وبروزاً في حياة هذه المجتمعات التي تعيش في كنفها كما هو الحال مع الغجر في العراق.

الجنكنة (Gengene):

الجنكنة أو الجنكان: اسم يطلق على الغجر في تركيا ويمارسون الرقص والغناء، كما تلفظ بين عامة الناس في الموصل (العراق) وتعني الخفيف أو الطروب، وقد انحدرت من اللاعب على الآلة الموسيقية (الجنك).

ويرى الباحث مالكولم أن الجنكنة (Gengene) مثل (Kauole) اسم يدل على مزاولة الموسيقى وعدم المبالاة (سرسرلوغية).[2]

الـزط (Zutt):

ورد في قاموس الصحاح: أن الزط جيل من الناس الواحد منهم زطي.[3] والزط هي التسمية القديمة للغجر في العراق وبعض المناطق المجاورة.

ويرى المستشرق دي فوي في محاضرة ألقاها في الأكاديمية الملكية بأمستردام (١١ كانون الثاني- يناير- ١٩٧٥) أن الغجر المعروفين باسم السيكان في فرنسا وعند العرب بالزط جاءوا من غربي الهند. وإن معظمهم ينتمي إلى قبيلة (جت) القاطنة بجوار غرب مولتان. ويتفق بهذا الخصوص، رأي الدكتور مصطفى جواد مع رأي دي فوي إذ قال إن مصطلح الزط هو أقدم تسمية للغجر أو الكاولية في العراق. إذ عرفوا أول مرة، زمن الحجاج بن يوسف الثقفي (الوالي الأموي في أوائل القرن السابع الميلادي)، حيث

١- الحديثي، ص ١٩.
٢- المصدر نفسه، ص ١٨٢
٣- الرازي، أبو بكر، قاموس مختار الصحاح، ط١، دار الرسالة، كويت، ١٩٨٦، ص ٢٧١.

نقل المقاتلون العرب أعدادا كبيرة من الزط إلى العراق بعد فتحهم للسند، فأسكنهم الحجاج مع حيواناتهم خاصة الجاموس بجنوب كسكر.

وفي عهد المأمون شرعوا بعمليات سلب البضائع المحمولة في نهر دجلة بين البصرة وبغداد، فلما تولى الخلافة المستعصم بالله في سنة ٨٣٣ م، تجرد لهم وولى محاربتهم عجيف بن عنبسة الذي انتصر عليهم، وقد مر بهم ببغداد ومن هناك نقل بعضهم إلى خانقين وبعضهم الآخر إلى عين زربة والثغور. في إحدى غارات الروم على عين زربة اجتاحوا الزط ونقلوهم مع جميع نسائهم وأطفالهم وحيواناتهم، خاصة الجاموس، إلى بيزنطة سنة ٨٥٥ م، وهذه المجموعة الأولى من الغجر التي نقلت إلى أوروبا عبر البيسفور.(١)

ويعتقد الباحث الحديثي أنه لا توجد أدلة مقنعة تثبت كون الزط هم أسلاف الغجر في العراق. فالتسمية لم تقتصر على جماعة بشرية معينة من الهجرات الأولى الوافدة من السند إلى العراق، وإنما على جميع السنديين الوافدين، فالزط جماعة مستقرة عرفت بتربية الجاموس بالسند وقد اصطحبها المسلمون إلى منطقة الأهوار في جنوبي العراق. بينما تؤكد المصادر الأخرى أن (لوري) هم أصلا الغجر.(٢)

ونحن نتفق مع الباحث الحديثي في هذا الرأي حيث أن الغجر لم يعرفوا مهنة غير مهنهم المشهورة التي عرفو بها، وهي الموسيقى والغناء، العمل في الحدادة وقراءة الطالع وبعض ما يتعلق بذلك. ثم إن الدراسات والأبحاث التي أجريت عليهم قد أظهرت أنهم لم يعرفوا الاستقرار، ولما كانت مهنة تربية الجاموس مهنة تتطلب الاستقرار وذات بيئة متميزة لا تكاد تشابهها بيئة أخرى في المناطق المجاورة، لذلك نرى صواب الرأي

١- الحديثي، ص ص ١٨-١٩.

٢- المصدر نفسه، ص ١٩.

السابق للسيد الحديثي، وخاصة إذا ما قرأنا في كتاب فتح الفتوح لأحمد بن يحيى البلاذري، ما روي عن الزط وأن طلائعهم قد وصلت إلى الشام وإنطاكية في عصر معاوية، حيث نقل عنهم الزط وكذلك السيانجة القدماء إلى تلك المناطق. وقد كان الوليد بن عبد الملك قد نقل قسما من الزط إلى انطاكية.(١)

وفي كتاب لسان العرب لأبي فضل جمال الدين جاء فيه تحت مادة زطط، ما يلي:

«زطط، الزط، جيل أسود من البشر إليهم تنسب القيادة الزطية (...) وهم جيل من أهل الهند». (٢)

القفص (القفس):

يشار إلى أنها من التسميات القديمة للغجر وقد ورد في قاموس لسان العرب لأبي فضل بن منظور، إلى القفص من أنهم: قوم في جبل من جبال كرمان . وفي التهذيب: والقفص جيل من الناس في نواحي كرمان، أصحاب مراس في الحرب. (٣)

كذلك ورد في هامش الترجمة الفارسية للقاموس المحيط، أن القفص طائفة، وهو معرب كنج أو كونج ويقولون كوفجان. (٤)

في حين يذهب الدكتور مصطفى جواد إلى أن لفظة القفص أو القفس لفظ إنكليزي هو جيبسي (Gypsy)، أي أن كلمة جيبسي أصلها عربي (قفص). (٥)

١- كليير، ص ٣٥١.
٢- المصدر نفسه، ص ٣٥٣.
٣- المصدر نفسه، ص ٣٥٢.
٤- المصدر نفسه، ص ٣٥٨.
٥- المصدر نفسه، ص ٣٥٨.

حلب:

هي إحدى التسميات المحلية للغجر في مصر، وينتشرون في مناطق متفرقة من مصر. ويفترض بعضهم وجود علاقة بين اسمهم ومنطقة حلب في سوريا. ويقال إنهم كانوا يطلقون على أنفسهم اسم محليبش. ومن المرجح أن هذا الاسم الأخير هو اشتقاق أو شكل آخر لكلمة حلب أو هو الصياغة التي صاغها الغجر لكلمة حلب. يذكر ثيوبولد أن قبائل هذه الجماعة قد تشتتت في الحبشة تحت أسماء أخرى، منها قبائل كوستاني.

القرباط أو الغرباط:

هو الاسم الذي يعرف به الغجر في أفغانستان واليونان وسوريا ولبنان. وينقسم العلماء بشأن أصل هذه التسمية، فبعضهم يعيدها إلى الأصل العربي (غربة) وبعضهم يعتبرها من أصل فارسي (غورب) أي التغيب عن البيت أو عدم الحضور. وعلى أي حال يتفق العلماء هنا، على أن القرباط في أفغانستان والقاوول في إيران والقرباط في سوريا، يعودون إلى قبيلة واحدة.[1]

الكالديراش (Kalderash):

وهي الفئة الوحيدة التي يعتقد أنها جماعة غجرية أصلية، وهي، كما يقولون، إنهم حدادون قبل كل شيء. ويعملون في الصفيح والنحاس. وكلمة كالديراش في لغة الرومني والإسبانية تعني المرجل أو المقلاة. وقد أتوا حديثاً من بلاد البلقان وبعد ذلك وسط أوروبا ثم انقسموا إلى خمس مجموعات:[2]

١- اللوفاري: ويسمون في فرنسا (البحريين)، نظراً لمجيئهم من البحر.

١- جوريتس، سبق ذكره، ص ١٨٧.
٢- حنا، سبق ذكره، ص ٦٨.

٢- اليويها: وهم الذين جاءوا من تراتزلفانيا.

٣- اللوري أو اللولي: وهم مازالوا يحملون اسم القبيلة الهندية التي ذكرها الفردوسي.

٤- الشيورادي: وهم منفصلون عن الغجر الكالديراش.

٥- الأتراك الأميركيون: ويطلق عليهم هذا الاسم لأنهم هاجروا إلى اميركا من تركيا قبل عودتهم من والى أوروبا.[١]

ويعتقد الكالديراش أنهم رؤساء بقية الغجر وأنهم أعلى القبائل شأنا حين يرفضون تزويج بناتهم من بقية الغجر. ولكنهم يأخذون بنات القبائل الأخرى زوجات لأبنائهم.[٢]

الخيتانوس:

هذه فئة موجودة في إسبانيا وشمالي أفريقيا والبرتغال وجنوبي فرنسا. وهم يختلفون عن الغجر الكالديراش في المظهر الفيزيقي واللهجة والعادات، وهم ينقسمون داخلياً، إلى الخيتانوس والإسبانيين والكاتالاش والأندلسيين.[٣]

مانوش (Manosh):

هم البوهيميون التقليديون واسمهم يعني في اللغة السنسكريتية (الأصليون)، وهم يسمون أيضاً السيتني، لأنهم يحتمل أن يكونوا من أصل هندي ومروا على شواطئ السند. وينقسمون إلى مجموعات فرعية عدة.

١- الفالسيكانز أو السيني الفرنسيون الرحالة الذين يعملون في المسارح والشركات.

١- المصدر نفسه، ص ٦٨.

٢- المصدر نفسه، ص ٦٨.

٣- المصدر نفسه، ص ٦٩.

٢- الجي جيكانز: وهم مختلطون بالييش العدو الأوربيين الذين يذكروا ضمن سلالات الغجر ولكنهم يعيشون بعادات وتقاليد الغجر نفسها.[١]

السيكان:

هي إحدى تسميات الغجر في بعض بلدان أوروبا. فهي في الهولندية (Zigeuner) والبولونية (Zigeuner) وفي الألمانية (Cigany) والرومانية (Ciganie) واليونانية (Cigany) والإيطالية (Zingaro) .

وفي إسبانيا تذكر أيضاً(السيكان)، وفي هذا الشأن كتب الباحث خليل الشيخ علي يقول : يذكر خطأ أن الكاولية (الغجر) في إسبانيا يدعون السيكان، الذي أتذكره جيداً، أن سيكان هي مفردة كانت تهلهل في خاطري مع أنغام الفلامنكو للكاوليات في كهوف الساكرمنتوس بالأندلس. وإن كاوليات الأندلس يستعملن هذه المفردة (سيكان) في حومة الرقص والغناء لإثارة المغني والراقص أو لإشعال الطرب بمزيد من النار. ويرى اللغويون إن مفردة سيكان من جذر هندي قريب من السنسكريتية، وهي لا تعني أي نوع من أنواع الكاولية في الأندلس اليوم. [٢]

بوهيموس:

وهي تسمية تطلق على الغجر في الدول الاسكندنافية وبعض الدول الأوروبية. وهي نسبة إلى بوهيميا. والمكان الذي ظهروا فيه أول مرة، في أوروبا. [٣] وبوهيميا كما هو معلوم إحدى مقاطعات المجر (هنغاريا)، ولعل هناك صلة كبيرة بين اسم هذه المقاطعة وهؤلاء الغجر ولاسيما أن هناك عدداً كبيراً من الغجر يسكنون في هنغاريا.

١- المصدر نفسه، ص ٦٩-٧٠.
٢- الشيخ علي، مصدر سبق ذكره، ص ٣.
٣- المصدر نفسه، ص ٣.

جيبسي (Gypsy):

زعمت دائـرة المعارف الأميركية أن (Gypsies) من المصريين (Egyptian) أصبحت التسمية مألوفة الاستعمال في العرف الإنكليزي وتطلق على جماعة بشرية تتميز ببعض الميزات الاثنوغرافية منها، أن شعر الرأس يتصف بلون ضارب إلى الصفرة، ومنها الترحال الدائم بين أرجاء العالم، إضافة إلى شيوع الأمية فيها واتباع النظام القبلي. ويرى توماس اكتون أن كلمة (Gypsy) هي اختصار لكلمة (Egyptian) على اعتبار أن أوائل الغجر الذين وصلوا إلى إنكلترا في القرن الخامس عشر أخبروا الناس هناك بأنهم قدموا من مصر. وهو بهذا يتفق مع الرأي السابق.

أما الدكتور مصطفى جواد فقد اختلف في هذا، إذ قال إن اسم (Gypsy) ليس له صلة بـ(Egypt) وإنما هي محض اختلاق لغرض الإساءة إلى المصريين خاصة والشرقيين عامة. ويرى أن الاسم قريب من القفس أو القفص تلك الجماعة التي تشردت من موطنها في كرمان سنة ٩٦٧ م على يد عضد الدولة البويهي لإثارتها الفساد بالمنطقة ثم هاجرت إلى أوروبا الأمر الذي جعل الإنكليز يطلقون عليها تسمية (Gypsy) [1]

ولكن الباحث هوارد غرينفيلد يقول: إن الناس في أوروبا، رأوا الغجر أول مرة، في العصور الوسطى المبكرة من القرن الخامس عشر الميلادي عبر ألمانيا وقد لقوا ترحابا من الناس ورجال الدين والحكام، حيث كانوا يحملون رسائل تطلب الشفقة والرحمة بهم. وفي عام ١٤٢٢م كان أول ظهور لهم في بولونا بإيطاليا بقيادة الرئيس الذي دعا نفسه دوق ميشال مصر ونحو مائة رجل وامرأة وطفل وتوطنوا بالقرب من إحدى دواخل المدن. [2]

١- الحديثي، سبق ذكره، ص ١٥.

2- Greenfeld. op cit. P. 12-13.

وفي موسوعة غروليز(Grolier Encyclopedia) ورد عن الجيبسي (Gypsies) أنهم اسم معين يشير إلى بدو كثيري أو قليلي العدد أو انهم مجاميع بشرية تصل إلى نحو مليون ونصف المليون، منتشرون في أوروبا وأميركا وشمال إفريقيا وغربي آسيا وفي البلدان الناطقة بالإنكليزية فقط. ويدعى هؤلاء بالجيبسي والتي اشتقت من المصريين، وذلك للتكوين التقليدي الذي جاءوا به، أصلاً من مصر [(١)]

إن هذا الرأي الأخير يؤكد أن تسمية (Gypsies) والتي يفهم منها أنهم (غجر) مصريون مقتصرة على الدول الناطقة بالإنكليزية أو ما يسمى بالانكلوساكسون أو الكومونولث البريطاني.

ولم يشر صاحب الموسوعة، صراحة إلى أنهم مصريون ولكن يفهم منه أنهم يحملون تكويناً وقد يكون هذا ثقافيا أو فيزيقيا، فإن كان الأول هو المقصود فهذا يعني أنهم ليسوا مصريين، وقد حملوا الموروث فقط، فهم ناقلون فحسب. وإن كان القصد هو التكوين الفيزيقي، فلا شك أنه يقصد أنهم مصريون.

زيخيونرز (Zigeuners):

وهي التسمية الشائعة للغجر في هولندا، حيث يشكل هؤلاء أقلية صغيرة في هذا البلد من أوروبا الغربية. ولعل تسمية زيخيونرز مشتقة من سيغان أو تسيكان أو القريبة منها من تسميات الغجر المذكورة والموجودة في ألمانيا وبولونيا وإيطاليا وغيرها.

1- Grolier. Encyclopedia. vol. 10. Distributed by the Grolier Incorp Orated. new York. 1961. P. 100.

الفصل الثاني

فرضيات في أصل الغجر

خلاصة الفرضيات

الخصائص المشتركة للغجر في العالم

الغجر والهولوكوست

فرضيات في أصل الغجر:

يعتبر الغجر (Gypsies) من أكثر شعوب الأرض تشرداً وتعرضاً إلى الويلات. فأينما حلوا تسبقهم سمعتهم الحقيقية أو صورة مضخمة أو مبالغ فيها. وهم ضيوف ثقلاء لدى الكثير من شعوب المعمورة، ذلك لطبيعة حياتهم والأعمال التي يقومون بها إضافة إلى ما التصق بهم من صور مشوهة.

وصورتهم السلبية، هذه، قد تكون على الصعد الرسمية أو الشعبية أو الأوساط المعرفية. وليس أدل على وجهة النظر السائدة هذه من الإشارة إلى تعريف اسم الغجر في قاموس اللغة التشيخية الصادر في براغ عام ١٩٥٢، حيث يعرفون بأنهم شعب تائه يمتهن الكذب والسرقة، ولا شغل لهم سوى الدجل والغش. [1] وذلك برغم محاولاتهم الجادة، في كثير من الأحيان، للتكيّف مع المجتمعات التي يجاورونها أو يعيشوا في كنفها.

وقد تعرض الغجر إلى موجات من الاضطهاد والإبادة على مر تاريخهم، لعل آخرها حملات الإبادة النازية التي استهدفتهم إلى جانب اليهود كما هو معلوم.

والغجر يرون أنفسهم سادة الأرض والشعب الحر وهم رمز الحب والرومانسية.

فمن أين جاء هذا الشعب؟ وهل هناك إثبات محددٍ لأصله؟

قرأنا وسمعنا العديد من الفرضيات بخصوص أصل الغجر والمناطق التي انحدروا منها. وقد تباينت هذه الآراء واختلفت في أصل ومنبع الغجر، وحتى تواريخ بدء هجراتهم وذلك على السنة الباحثين المهتمين بعلم الغجريات (gypsology) خاصة، والباحثين عامة، أو حتى الغجر أنفسهم.

١- شورش، سامي، الديمقراطية وتخلف المجتمع، تشيخيا نموذجا، مجلة أبواب، لندن ع (٢٤)، ربيع ٢٠٠٢، ص ٥٣.

وهناك الأساطير المختلفة بشأن أصلهم وانتمائهم. ولكن تكاد تجمع معظم الآراء على أن أصل الغجر وانحدارهم هو الهند.

وهناك آراء أخرى نسبت أصلهم إلى مصر والعراق، وأخرى، أقل منها شيوعاً، ترجعهم إلى فلسطين.

ولعل أهم هذه الآراء والفرضيات وحسب الموطن الأصلي الذي تراه منبعاً لهم هي:

أولاً: فلسطين:

وهو رأي يستند إلى بعض الأساطير ومنها ما يفسر في العهد القديم، حيث اعتبر بعضهم الغجر من سلالة قابيل الملعونة. وفي أسطورة نسجت بشأن صلب السيد المسيح وحينما احتاج صالبوه إلى أربعة مسامير، رفض الحدادون عملها لظهور معجزاته الكبرى ولكن الغجري عملها أخيراً مغرى بالمال. (١)

ويرى الباحث جان بول كليبر ضعف هذه الفرضية، حيث أنها محض وهم، ويقول إنه لم يظهر حتى الآن نص ولو بصورة عابرة يؤيد وجود الغجر في فلسطين خلال القرن الأول الميلادي، ويرى أنها رغبة، من هذا الشعب، في أن تكون له جذور. والباحث فيلانت يرجع الغجر إلى الفينيقيين.

وتبقى هذه الفرضية ضعيفة، ذلك لضعف سندها وعدم بنائه على أساس علمي.

ثانياً: مصر:

إن مصطلح (جيبسي Gypsy) يشير إلى الغجر وهو شائع الاستخدام في المنظومة الانكلو ساكسونية، وقد اشتق من مصطلح (مصر، Egypt)، وذلك للاعتقاد الشائع من كونهم مصريين.

١- كليبر، سبق ذكره، ص ١٨- ١٩.

ويدعم هذا الرأي ما تورده موسوعة غرولير (Groller Encyclopedia) مع أنه في البلدان الناطقة بالإنكليزية فقط يدعى الغجري بالجيبسي، والتي اشتقت عن المصريين، وذلك للتكوين التقليدي الذي جاؤوا به، أصلاً من مصر (حسب الموسوعة). [١]

ويرى الباحث هوارد غرينفيلد: إنه في عام ١٤٢٢ كان أول ظهور لهم في بولونا الإيطالية بقيادة الرئيس الذي دعا نفسه دوق مصر، ونحو مئة رجل وامرأة وطفل. وتوطنوا بالقرب من أحد دواخل المدينة [٢]

على أن هذا الرأي يعني ادعاء الغجر انتماءهم لمصر.

في حين أن هناك مصادر أخرى ترى أن جهة اختراقهم لأوروبا كانت عبر البلقان، وذلك في فترة القرون الوسطى، وأنهم شعب هائم طرقوا بوابة أوروبا الغربية متنكرين على أساس أنهم حجاج وهكذا انتشروا تدريجياً. [٣]

وبعض الأساطير، أيضاً، تنسب الغجر إلى الشرق وبخاصة مصر، وكما عرف، فإن كل من عمل بالشعوذة والسحر وقام بتقديم الاستعراضات الجوالة في الطرقات العامة يدعى (بالمصري). [٤]

وقد يكون ما يشبه هذا الوصف قد حدث عندنا في العراق وإلى وقت قريب، حيث نسمع من أجدادنا وآبائنا وكبار السن ينعتون مَنْ يتصف بالحيلة والخداع والأعمال السابق ذكرها بـ(عيايرة مصر)، وهي جمع ومفردها (عيار)، والعيار، كما هو معروف، تسمية سابقة في العراق وبعض المناطق المجاورة لمن يقوم بمثل هذه الأعمال، ويسمون كذلك الشطار أو الأشقياء.

على أن مثل هذا الاعتقاد لا يعضد فرضية انتساب الغجر إلى مصر. [٥]

1- Groller Encyclopedia. op cit. p. 100

2- Greenfield. op. cit. p. 13

3- Franser. Angus. De Zigeuners Tinke Davis. Amsterdam. 1995. p. 9.

٤- كليبر، سبق ذكره، ص ٢٢.

٥- الهاشمي، ص٧٢.

والغجر لم يكونوا معروفين في الغرب في القرن الخامس عشر الميلادي سواء باسم (المصريين)، وقد ادعوا أنفسهم بأنهم جاؤوا من ضفاف النيل.

والغجر لقبوا أنفسهم في أوروبا بأمراء مصر الصغرى. وكذلك استندوا، في أصلهم، إلى نبوءة حزقيال القائلة (سأشتت المصريين بين الأمم). وفي روسيا يقول الغجر عن أصلهم المصري بأنه « عند عبور البحر الأحمر وملاحقة جيوش الفرعون، نجا فتى وفتاة، بأعجوبة، من الكارثة، وتزوجا فكانا أشبه بآدم وحواء للغجر». [1]

ويرى الباحث فولكانيوس بونافينتورا أن الغجر جاءوا من بلاد النوبة، وكذا يقول روبرت وصاموئيل وفولتير، أيضاً، وهو ما زعمته دائرة المعارف الأميركية من انتساب الغجر إلى مصر.

وقد ظلت أسطورة الأصل المصري مصاحبة لتاريخ الغجر حتى أيامنا (كما تقول نهلة إمام في المسألة الغجرية عبر العصور)، والغريب إنها انطلت على بعض المصريين - المعاصرين -ويتباهون بأن لهم أخوة أوربيين. [2]

ثالثاً: العراق:

يقول الباحث جان بول كليبر: إن هناك الكثير من الأساطير تتفق، أحياناً، مع المعلومات التاريخية بأنهم جاؤوا ونشأوا في أقطار ما بين النهرين وآسيا القديمة. ومنها هجرتهم إلى الهند واستقرارهم بأرض الكلدانيين، وثم هجرة قسم منهم مع إبراهيم الخليل من أور إلى مصر. أو منها ادعاؤهم بناء مدينة بابل واتخاذها عاصمة لهم ومن ثم انهزامهم أمام كورش الفارسي وهجرتهم غربا وشرقا. والتقاء من هاجر منهم إلى الهند بإخوانهم الذين هاجروا مسبقاً، ومن سافروا غرباً ادعوا أنهم انشأوا مدينة مرسيليا وشقوا نهر الرون. وهاتان الروايتان مختلفتان، حيث الأولى للأب فلوري رئيس الغجر

١- كليبر، ص ٢٢- ٢٣.

٢- إمام، نهلة، المسألة الغجرية عبر العصور، جريدة السفير اللبنانية، ٦- ٦- ٢٠٠٠.

في فرنسا، الذي ادعى هجرتهم من الهند، والأخرى سردها كاكو جودي رئيس الغجر إلى عالم غجريات بلجيكي، ويدعي العكس؛ أي أن هجرتهم كانت من أرض الكلدانيين إلى الهند.[1]

أما الباحث بودربون فقد نسب الأصل البابلي للغجر الذين اضطروا إلى الهجرة بعد خراب عاصمتهم.

أما الدكتور فوزي رشيد أستاذ التاريخ القديم في كلية الآداب بجامعة بغداد، فقد أعد بحثاً بعنوان (من هم الغجر وما هو أصلهم؟) ويتوصل فيه إلى أن أصل الغجر هو المنطقة المحيطة بمدينة سامراء (شمال بغداد بنحو ١٥٥ كم)، ويرجع منشأها إلى الألف السادس قبل الميلاد. وأدلته على ذلك هي:

١- التشابه في العادات والتقاليد الموجودة لدى الغجر الآن، بما هو عليه لدى السومريين في هذا المكان، وفي تلك الفترة. ومن ذلك رقصة تدوير الرأس والشعر بدءاً من جهة اليمين والتي كانت طقسا للاستسقاء لإنزال المطر، تمارسه العوائل الغجرية من هذه المناطق (قرب سامراء) التي تعتمد المطر، وذلك حين شحها وهجرتهم إلى الجنوب وعمل هذه الطقوس.

ويقوم هذا الطقس بأن تتقابل أربع نساء كل إلى جهة وتعمل الرقصة ويماثلها، كما يرى، الدكتور رشيد رقص الغجريات الآن (هز شعورهن وتدويره). وقد تصدق الناس عليهم وأكرهوهم على إهمال الزراعة وذلك حين يغدقون عليهم بالصدقات مقابل قيامهم بالرقص وبهذه الطقوس. وهكذا استمرت حياتهم وتطورت على هذا الحال.

٢- كذلك ما يميزهم هو ممارسة نسائهم قراءة الطالع وهو ما كان في موطنهم الأصلي قرب سامراء. حيث كانت المرأة في السابق زعيمة الطقوس الدينية والزراعية، وعلى عاتقها تقع مهمة كشف طالع الحكام والبلدان.

١- كليبير، سبق ذكره، ص ٢٢-٢٧.

٣- وجود عمل تعدين المعادن لدى الغجر، الآن، وهو ما كان لدى السومريين، حيث دلت الاكتشافات الآثارية بأن تعدين النحاس قد عرف أولاً في المناطق الشمالية من العراق، وقد استخدمه السومريون بالفترة نفسها التي تم فيها وصولهم إلى جنوبي العراق.

٤- وقد وصلوا إلى أوروبا في الألف الأول بعد الميلاد وقبل ذلك انتشروا في آسيا وأفريقيا، وأغلب الظن أن المجموعة التي وصلت إلى هناك مستقرة قبل ذلك في الهند، ولهذا أكد الباحثون الغربيون أن أصل الغجر الهند.

٥- يرى الدكتور رشيد أنهم لا يشبهون الهنود !! وهذا يدعم فرضيته بأنهم ليسوا هنوداً.

٦- إن التسمية التي أطلقها سكان جنوبي العراق عليهم وهي الكاولية محرفة من كلمة (كولي) السومرية التي تعني صديقاً، وهي تطلق على هؤلاء المهاجرين من سامراء إلى الجنوب، وحلوا بين سكانه السومريين، الذين يتكلمون لغتهم نفسها، ولا يوجد عداء بينهم لذلك كانوا يدعون أصدقاء.

وما يؤكد هذه الحقيقة هو اللهجة المندائية (الصابئية) العامية التي يمكن إعتبارها معاصرة للغة السومرية، والتي تسمي الغجري باسم كولي وهي كلمة صديق نفسها باللغة السومرية.

أما تسمية الغجر، فهي تمثل اسمهم قبل مجيئهم إلى القسم الجنوبي من العراق، لأنهم ما داموا من المجموعات الفائضة عن الحاجة، فلا بد أنهم كانوا يعيشون حياة رعوية ويعتمدون في غذائهم، بالدرجة الأساس، على ما تقدمه لهم سخولهم (ماعزهم) وأغنامهم. أي أن مادة الحليب كانت من أبرز مواردهم الغذائية وما دامت كلمة حليب باللغة السومرية تلفظ (GA) أو (جا بالجيم المصرية المعجمة)، والفعل يتعامل أو يعتمد يلفظ (Ger) (غر)،

فقد سمّوهم سكان المناطق شحيحة المطر والمحيطة بسامراء بـ(Gager) أي المعتمدين في غذائهم على الحليب، وتحولت (G) الأولى إلى غين في اللغة العربية والأخرى إلى جيم وهكذا تحول اسمهم إلى غجر، وهذا وارد لدى الناطقين بالعربية (والكلام للدكتور رشيد).

ولهذا، وكما يقول الدكتور رشيد، فإن تسمية الغجر قد استخدمها المصريون، دون العراقيين، والسبب راجع إلى كون العراقيين عرفوهم تحت اسم كاولية أو كيولية ولم يحتاجوا إلى التسمية الأخرى، بينما المصريون لا يعرفون التسمية الأخرى ، ولهذا أسموهم باسمهم الأصلي (الغجر). ومما يؤكد أن تسمية (غجر) تمثل الاسم الأصلي، هو أن الدراسات الخاصة باللغة السومرية قد أكدت أن أسماء الأدوات والمهن والأقوام كانت منذ (٦٠٠٠ ق. م.) فما فوق، تنتهي معظمها بحرف الراء، مثل غجر، سومر، دينكر التي تعني إله وغيرها. [١]

ونحن نرى أن الدكتور فوزي رشيد قد استند إلى السمات الثقافية المتوفرة لديهم أو بعضها، على الأصح، والتي وجد ما يشابهها لدى السومريين. ونرى أن السمات الثقافية مكتسبة وهي تتغير بمرور الزمن ولو كان استناده إلى السمات الفيزيقية التي تعد أكثر ثباتاً واستقراراً من السمات الثقافية، وهي ليست مكتسبة، بل وراثية، لكان الرأي أكثر دقة.

ثم إننا لا نعلم لماذا يمارس هؤلاء رقصة الاستسقاء وهي طقس يمارسونه عند الحاجة لإنزال المطر في مناطقهم الأولى كما يقول، وهي المجاورة لسامراء والتي تعتمد المطر. أما في الجنوب فلا حاجة إلى ممارسة ذلك وان المنطقة تعتمد حياة الأنهار وهي وفيرة.

كذلك هل من المعقول أن يجبر قوم غيرهم وهم أصدقاء لهم، كما يقول، على ترك مهنة لهم ومزاولة مهنة أخرى والتصدق عليهم؟!. وهل من المعقول أن يقبل قوم بالإكراه ممارسة عمل مثل الرقص والارتزاق عن

١- رشيد، فوزي، من هم الغجر، بحث تحت الطبع، كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٩٤.

طريقه بالصدقة من غيرهم وترك عملهم الأصلي (الزراعة)؟ ولو فرضنا قبولهم بذلك، فلماذا لم يعودوا إلى عملهم ومهنهم، السابقة بعد زوال المبررات (أي حين عودة سقوط الأمطار)؟.

ثم أن الباحث يذكر أن لهم مهنة أخرى هي التعدين، فهل هذه تخضع لظروف سقوط الأمطار؟ كما أن المراجع العربية ومراجع البلدان المجاورة، من كتب سماوية ومقدسة وكتب رحلات وكتب الأدب والشعر العربي، لم تروّ عن الغجر في المنطقة أو ما يشبه حياتهم، خصوصاً أن في حياتهم (الغجر) ما يغري الشعراء والصعاليك وغيرهم.

أما في ما يتعلق بتسمية الكاولية (الاسم الشائع لهم في العراق أو تحريفه إلى كواولة في الكويت ومنطقة الخليج) فقد توصلنا إلى غير ذلك، الذي يزعمه الدكتور رشيد، والرأي الذي نرجحه هو أنه: ينطبق على قبائل هندية كانت بعض نسائها تمارس الزنا والرقص كخدمة دينية لرجال الدين وبالأجر لطالبي المتعة، ومنهم ما كان في معبد الملك الكولي (كاول). وقد انتسبوا إلى الملك كاول وخاصة بعد هجرتهم تشرفا وتعظيما لأنفسهم. وقد ورد نص واضح يمكن الاستدلال به وتعزيز هذا الرأي، وهو ما كتبه الباحث وول ديورانت في مؤلفه الشهير(قصة الحضارة)، وفي القسم الخاص بالهند وجيرانها. (١)

كما إن هذا الرأي يفند ما كان شائعاً عن فرضية الدكتور مصطفى جواد من أن تسمية الكاولية متأتية من مدينة كابل الأفغانية نتيجة مرورهم بها، وأن الاسم قد حرف بمرور الزمن. (انظر د. مصطفى جواد، الغجر في المراجع العربية، مجلة العربي الكويتية، ع (١٢٦)، أيار (مايو)، ١٩٦٩).

والذي يعزز رأينا هذا ويدعمه هو أرجحية فرضية انتماء الغجر إلى الهند.

١- الهاشمي، حميد، فرضيات في أصل الغجر، بحث منشور في مجلة علامات الصادرة في (امستردام – هولندا)، العدد الاول ٢٠٠٣.

رابعا: الهند:

كان انتساب الغجر إلى الهند وحتى القرن التاسع عشر غير معروف، ولكن ظهور مقال نشر في جريدة فيينا وبتوقيع الكابتن سيكلي دوبا في ٦ تشرين ١ (نوفمبر) – ١٧٦٣، يروي الاكتشاف الغريب.

حيث التقى شاب مجري يدرس اللاهوت في جامعة لايدن الهولندية بثلاثة طلاب هنود ينتمون إلى ساحل مالابار، ولاحظ هذا الشاب، ويدعى ستيفان فالي، أن هؤلاء الطلاب يتحدثون بلغة تشبه لغة مواطنيه المجريين، فدون نحو ألف كلمة من كلامهم. ولدى عودته إلى وطنه عرضها على هؤلاء الغجر، واكتشف أنهم عرفوا بغير صعوبة كبيرة تفسير هذه الكلمات.[١]

قام علماء الغجريات بتحليل هذه الكلمات ومعانيها، وتتبع اللغويون هذا الأثر آثاراً لغوية أخرى، فكان من الضروري أن تتبع هذه الجماعات البشرية في خضم تلك المجموعة الضخمة من البشر التي تسكن الهند والتي لها شبه بالغجر.

وقد وجدت جماعات مشابهة للغجر في الهند جرت مقارنتهم على أساس الحرف ومنهم عشائر هاندي فوكي، وهم شحاذون ومشعوذون. ثم كامي وهم صناع وحدادون من النيبال ، وكاسارا أو كاسيرا سباكو القصدير وصناع المعادن في الهند. ثم كورافا من منطقة تاميل، وهم قراء طالع ومشعوذون ولصوص. ولوهار وهم صناع من الشماله. ونات وهم مغنون وراقصون ولاعبو حبال. وتاتيرا وكانجار ودوم، إضافة إلى قبائل أسورا ولوري وغازيا (لعل غجر الغوازي بمصر ينتسبون إلى هذه القبيلة).

ولم يجلب أنظار الباحثين من هذه القائمة الطويلة سوى الدوم. [٢]

هذا الاكتشاف جاء متأخرا في أوروبا إذن، أما في الشرق الأوسط فهو

١- إمام، مصدر سبق ذكره.

٢- كليبر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢-٣٤.

معروف منذ قرون عدة سواء في المصادر العربية أو الفارسية. أو قد تكون في أخرى مجاورة كتركيا مثلا أو غيرها.

فالشاعر الفردوسي (نحو ألف عام بعد الميلاد) يزعم، في كتابه الشاه نامة، بأنه في نحو ٤٢٠م لاحظ بهرام غور (أحد الحكام الساسانيين، حكمت من ٢٦٦- ٤٦١م)، لاحظ أن شعبه قد أنهكه الشوق إلى المسرات وبحث عن الوسائل، التي معها يستطيع رفع معنوياته، فأرسل بعثة دبلوماسية إلى (شانكال) ملك مكبوريا ومهراجا الهند طالباً منه أن يختار من شعبه أشخاصاً ذوي قابلية لتخفيف آلام الحياة ونشر المرح والمسرة بين الشعب الغرق في العمل القاسي والبؤس، وأن يرسله إلى بلاد فارس.

فحصل بهرام غور، بذلك، على اثني عشر ألف مغن جوال رجالا ونساء، وخصص لهم الأرض ومنحهم البذور والماشية ليحصلوا بواسطتها على وسيلة العيش وأن يسكنوا في المناطق التي حددها لهم فيستطيعوا بذلك الترفيه عن شعبه مجاناً.

وبنهاية السنة الأولى ترك هؤلاء القوم الزراعة واستهلكوا البذور وأصبحوا من دون مصدر للعيش، فغضب بهرام غور عليهم وأمر بالاستيلاء على حميرهم وآلاتهم الموسيقية وأن عليهم التجوال في البلاد للحصول على معيشتهم بالغناء. فبدأ هؤلاء الناس وهم اللور بالتجوال حول العالم باحثين عمن يستخدمهم آخذين معهم كلابهم وثعالبهم وكانوا يسرقون آناء الليل وأطراف النهار في تجوالهم.[١]

كذلك أرخ هذه الواقعة المؤرخ الفارسي حمزة الأصفهاني عام ٩٤٠ م. وأيضاً سير هنري بوتينجر في كتابه (رحلات في بلوجستان والسند) المطبوع عام ١٨١٦.

١- المصدر نفسه، ص ٣٤.

ويؤكد الباحثون وجود علاقة بين طائفة الدوم أو (لوم) وتسمى دوم في سوريا وإيران أو كما يسمون أنفسهم (روم Rom) في أوروبا، فقد أشار كول بلوش إلى أن عشيرة الدوم معروفة منذ مدة طويلة في الهند. كذلك ورد في القاموس الفارسي (فرهنك انندراج): إن مصطلح كاولي مرادف (لوري) الذي أطلق على جمع من الهند.

وذكر أن الملك شابور أحضر من كابل آلافاً من هؤلاء إلى ششتر في خوزستان، وكان الرجال يقومون بأعمال البناء ونساؤهم بأعمال الرقص والغناء والشرب ومضاجعة الرجال ليلاً.[١]

وفي المصادر العربية القديمة يتفق كل من الأب انستاس ماري الكرملي والدكتور مصطفى جواد في إرجاع الزط والكاولية إلى الهند على أساس موطنهم الأصلي.

كذلك المصادر العربية القديمة مثل فتوح البلدان للبلاذري في إرجاعه لأصل الزط، وذكره لحوادثهم في عهد المأمون. وكذلك كتاب التنبيه والإشراق لأبي الحسن السعودي والقاموس المحيط للفيروز آبادي ولسان العرب لابن منظور. والكامل في التاريخ لابن الأثير والمصادر الحديثة مثل دائرة المعارف الإسلامية.[٢]

ويرى الباحث الغجري رايكو جوريتس مؤلف كتاب (رحلة الغجر عبر التاريخ) أن غالبية الباحثين يتفقون على أن الغجر قدتوجهوا، أولاً إلى إيران بعد مغادرتهم الهند، أي أن أصلهم الهند.[٣]

ولم يستطع علماء الغجريات التوصل إلى اتفاق بشأن تاريخ هجرة الغجر من الهند.

١- المصدر نفسه، ص ٣٥.

٢- الحديثي، سبق ذكره، ص ١٦.

٣- جوريتس، سبق ذكره، ص١٦.

إذن من غير المعقول ولا من المنطق أن الغجر انتشروا فجأة في الشرق، ولعل عام ١٠٠٠م قد يكون مناسباً لتلك الهجرة والتي استمرت حتى يومنا هذا.[١]

ومن الآراء: إن لغتهم ولون بشرتهم تجعل العلماء يرجحون أنهم أتوا من الهند. (جريدة العراق) وأنهم ينتمون إلى شعب الجت، وهو شعب لا يزال له حضوره الواضح في دولتي الهند وباكستان. وعرف العرب هذا الشعب في فترة ما قبل الإسلام وعربوا الاسم، إلى زط. وأهم من روج لهذه النظرية هو المستشرق الهولندي دي خويه (ت ١٩٠٩) في كتاب أصدره في سنة ١٩٠٣، بعنوان (هجرات الغجر عبر القارة الآسيوية) واعتمد فيه مصادر عربية وفارسية.[٢]

١- كليبر، سبق ذكره ص٤١.

٢- إمام، سبق ذكره.

خلاصة :

وبعد إستعراض الآراء والفرضيات سابقة الذكر، نرى أن الآراء التي استندت إلى أسا طير قد رجحت أن يكون أصلهم من الشرق الأوسط (إما مصر أو فلسطين أو العراق)، وبعضها استند إلى التشابه الخلقي والثقافي، فاسند أصلهم إلى الهند أو مصر والآخر استند إلى جهة مجيئهم أو على أساس تسمياتهم.

وبما أن الغجر لهم أفعال وتصرفات سيئة، فإن ذلك أدى إلى أن يغيروا أسماءهم وانتسابهم إلى غير الغجر بالتأكيد أو نسبوا أصولهم إلى قبائل أو مناطق ذات سمعة ونسب رفيع.

وقد كانت الآراء الراجحة هي التي أسندت أصولهم إلى الهند وذلك لأسباب عدة:

١- التشابه الثقافي من عادات وتقاليد ومهن ولغة تتشابه كثيراً بالرغم من الفارق الزمني بين رحيلهم من الهند وحتى الوقت الحاضر.

٢- التشابه الفيزيقي (السمات البدنية من لون البشرة والشعر وتقاسيم الوجه وحجم الجمجمة ... الخ) مع قبائل وأقوام هندية، وقد تم إثبات ذلك بجهود علماء الأنثروبولوجيا الطبيعية (Physical Anthropology).

٣- إتفاق المصادر القديمة وخاصة الشرق أوسطية منها (البلاد العربية وإيران) على مرجعية الأصل الهندي لهم.

٤-ليس من المعقول أن تظهر جماعات الغجر في المجتمع الإسلامي والعربي في فترة ما بعد ظهور الإسلام، وإذا كانت مثل هذه الجماعات موجودة قبل الإسلام فلا نعتقد أن تطبيق الإسلام ومبادئه يسمح بوجودهم خصوصاً أنهم لا يمثلون دينا سماويا أو قومية معينة ليعفوا من ذلك.

ونتيجة لضعف حجج ودلائل الفرضيات الأخرى، وقوة الفرضية الأخيرة القائلة بالأصل الهندي للغجر فقد رجحت كفتها وأضحت من المسلمات لدى علماء الغجريات. هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار أن المنهج العلمي يقتضي التشكيك وبالتالي استمرار البحث وقبول مناقشة كل فكر جديد يطرأ على الساحة العلمية.

الخصائص المشتركة للغجر في العالم:

لما كانت معظم الآراء تجمع على أن الغجر جميعاً، في العالم يرجعون إلى أصل واحد، إذن، لابد أن تكون هناك خصائص مشتركة لهم تجعل من السهولة تمييزهم عن غيرهم، كذلك تجعل منهم ثقافة فرعية متمايزة داخل الثقافة السائدة، وهو الذي أدى إلى ظهور حركات فكرية أو ما يطلق عليه (حركة البعث الغجري) أو (اليقظة القومية للغجر)، والتي ظهرت منتصف القرن التاسع عشر، أي حين أعلن في رومانيا قانون تحرير العبيد الغجر الذي شمل ربع مليون غجري. وتعد انتفاضة العبيد الغجر في عام ١٨٧٨ الانعطاف الكبير للغجر، إذ شهدت أول محاولة لتكتل الغجر على أساس جديد. حيث دعا جوزيف راينهارت ممثلين للغجر من إيطاليا وإسبانيا وروسيا إلى اجتماع بالقرب من شتوتغارت (بألمانيا) لكي يتفقوا على تأسيس منظمة ترعى مصالح الغجر.

في عام ١٨٧٩ حاول الغجر أن يعقدوا اجتماعاً في قرية كيفال الهنغارية، لكن السلطات منعتهم. وفي أيار (مايو) ١٨٩١ توجه جورج سمث إلى البرلمان الإنكليزي طالباً منه التدخل لدى الحكومة في حل مشاكل الغجر في إنكلترا والى تلك الفترة يعود (البيان الغجري في بلغاريا).

في عام ١٩٠٠ تحقق أول حلم للغجر حين افتتحت في صوفيا (المدرسة الغجرية)، ولو أنها لم تستمر طويلاً حيث أغلقت بعد فترة من بداية ثورة أكتوبر الاشتراكية.

وفي روسيا برزت محاولات عدة للقيام بعمل مماثل لصالح الغجر وحتى نهاية العشرينات، فقد فتحت فجأة الأبواب أمام تأسيس منظمات الغجر وأسس الاتحاد الروسي للغجر، وتم إصدار مجلات وبرامج إذاعية في اللغة الغجرية ونشرت الكتب وفتح مسرح للغجر.

في رومانيا اتخذت اليقظة القومية للغجر بعداً أساسياً حيث يعيش أكبر تجمع غجر في أوروبا الشرقية- نحو مليونين -.

في أوائل الثلاثينات نشط غريغور نيكولسكو في الدعوة إلى تأسيس منظمة عالمية للغجر ونجح أخيراً في أن يعقد مؤتمرا لممثلي الغجر في أوروبا وذلك في بوخارست خلال تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٣، وخلاله تبلورت الفكرة الداعية إلى تشكيل (دولة قومية) للغجر سواء في الموطن الأصلي أو في شمالي إفريقيا، أي على حساب العرب.

وفي هنغاريا كان قد أسس سنة ١٩٥٨ (اتحاد الغجر) ثم أسست منظمات متشابهة في بقية الدول كألمانيا (الغربية) وإسبانيا وفنلندا والسويد وفرنسا.... الخ

وفي عام ١٩٧١ عقد المؤتمر العالمي الأول للغجر في لندن، ونتج عنه تأسيس المنظمة العالمية للغجر وفي ذلك المؤتمر تم الاتفاق على اختيار علم ونشيد موحد للغجر. وجرى أول اتصال رسمي مع الموطن الأصلي من خلال السفارة الهندية في لندن وفي عام ١٩٨٣ حقق الغجر انتصاراً آخر عندما تمكن عضو رئاسة المنظمة العالمية للغجر دي ريموس راميريز هيريديا من الفوز بالانتخابات الإسبانية للمجلس الأوروبي مما مكنه من إثارة مسألة حقوق الغجر ووضعهم الاجتماعي في بعض البلدان الأوروبية أكثر من مرة. (١)

في عام ١٩٣٧ كتبت جريدة العالم العربي البغدادية الخبر التالي تحت عنوان(ملك الغجر في بولونيا):

جرت مؤخراً حفلة تتويج ملك الغجر في البولونيين في ساحة الألعاب العسكرية قرب وارسو عقب انتخابه من (٣٠ من أعيان الغجر) ويرى جالسا على عرشه بملابسه الرسمية ، أما اسمه فهو (يانوش كفيك) انتهى الخبر. (٢)

١- جوريتس، سبق ذكره، ص ص ١٨٧-١٨٨..
٢- جريدة العالم العربي البغدادية، بغداد، ع (٣٩٧٧) في ٢٢- آب – ١٩٣٧.

وفي خبر مماثل ومصور بثه تليفزيون الشباب من دار السلام ببغداد في نهاية عام ١٩٩٣ يظهر مراسيم تتويج ملك الغجر في إسبانيا، وقد ظهر بملابس الملوك وبسيارة فاخرة وتحيط به حاشية كبيرة وقد حضر بعض المسؤولين الإسبان والدبلوماسيين الأجانب.[١]

إن كل ذلك يؤكد توجهات الغجر نحو الوحدة والشعور المشترك وبالتالي حتمية الأصل المشترك لهم.

وقد أظهرت الدراسات المختلفة في العالم وجود التقارب والتشابه الكبير لدى الجماعات الغجرية.

فقد كتب كلوت بك في وصفه لغجر مصر ما يلي:

(الغجر وشكل سحنتهم يميزهم عن غيرهم، فإن لون بشرتهم أشد سمرة من لون المصريين وكلامهم لغة تخالف العربية، ومع أنهم ينتحلون الإسلام ديناً لهم، فإنهم لا يؤدون فرضاً ما من فروضه ويهيمون على وجوههم من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية متفرقين أو مجتمعين. ويشتغل الرجال منهم بأساليب الشعوذة والحيل . أما النساء ويعرفن بملابسهن الغريبة فيزاولن حرفة النظر في البخت والإنباء بالمستقبل).[٢]

كما جاء في مجلة الشباب المصرية ما يلي:

«ولهم ملامح مشتركة كالبشرة الداكنة والشعر الأسود والعيون اللامعة وإنهم يمارسون التجوال وإنهم ينسبون أنفسهم لعائلات كبيرة حين ينزلون القرى حتى يسمح لهم، ولهم لغة خاصة...الخ»[٣]

وكتب الباحث مانشب وايت واصفاً الغجر الأصليين في الهند:

١- تليفزيون الشباب، بغداد، نشرة أخبار الساعة ٩ مساء يوم ٢٢-٤- ١٩٩٣.
٢- الفار، علي إسلام، معجم علم الاجتماع، ط١، دار المعارف مصر، ١٩٧٨، ص ١٥٣.
٣- منصور، نادية، الغجر في مصر، مجلة الشباب المصرية، ١٩٨٩.

«إنهم طوال القامة وأطراف الجسم وبشرتهم أشد سمرة منها في الهند عن أي مكان آخر بينما تكون نساؤهم ألطف ولو أن وجوههن ضربتها الشمس، فالوجوه واسعة وسمر والأعين لامعة والشعر أسود طويل. ويعمل هؤلاء كمشعوذين وعازفين جوالين، يربون الماشية. والنساء بهلوانات وراقصات والعمل بالسيرك، وتعمل نساؤهم أيضاً، في التداوي وقراءة الطالع والوشم. وأطفالهم عراة وغير نظيفين. يأكل هؤلاء العجول المخصية والخيول الميتة بفعل الأمراض.» [١]

وكتب هيراشن روني عن بعض عاداتهم (القبائل الغجرية الهندية) وخاصة عادات الزواج حيث يقول:

«ليس هناك إكراه في الزواج وفي عواطفهم، وبعد الزواج تكون الزوجة، عموماً، مخلصة لزوجها. وتتم حفلات الزواج التي تتوافق موحدة، يقبل العريس إلى كوخ خطيبته للزواج منها، وتقابله هي برفض واستهزاء، ولكنها تلين عندما يجدوه عنيداً جداً ويهجر الفتاة ثم يطلبون منه أن يعاملها بلطف. وتوشم جبهتها من قبله، ويقيم ذلك وليمة تكون بشكل شراب مسكر وحفلات تكلفهم كثيراً..» [٢]

أما الباحث الدكتور فوزي رشيد، فقد لخص بعض صفات وخصائص الغجر بما يلي [٣]:

١- الموسيقى والغناء والرقص والمسرح الجوال.

٢- فن العرافة ولاسيما نساؤهم.

٣- السكن في عربات إضافة إلى الخيام (التجوال المستمر).

1- White. Op. Cit. P. 64.

2- Horatio. Roney. The wild tribes of India. B. R. Publishing. Cooperation. Delhi. 1974. P.P. 12-13.

٣- رشيد، سبق ذكره، ص ص ١-٦.

٤- ممارسة مهنة السحر.

٥- أصحاب صنعة في المعادن (الحديد والبرونز والذهب).

٦- إنهم أميون.

٧- كرههم للماء وعدم الاستحمام.

وفي قاموس (Webster) ورد ما يلي في وصف الغجر:

(إنهم يعيشون حياة التجوال، والتشرد ونساؤهم مخادعة ويعيشون البداوة ويمتازون بالبشرة الصفراء والشعر الأسود أصلهم هندي، وهم ظاهرة عالمية ولغتهم تسمى الرومني..) [١]

إن معظم هذه الخصائص تكاد تتشابه لدى جميع الغجر في العالم، تقريباً، ولدى غجر العراق الكثير من هذه الصفات المشتركة مع هؤلاء الغجر.

وعموماً يشترك الغجر في العالم بالتالي:

١- الترحال الدائم.

٢- امتلاكهم لغة خاصة.

٣- الأصل الهندي.

٤- السمات الفيزيقية (اللون الأسمر النحاسي، الشعر المستقيم الأسود والأعين اللوزية اللامعة).

٥- الحرف التي امتازوا بها هي (الحدادة والسيرك وقراءة الطالع والموسيقى والرقص).

1- Webster, Op. Cit. P. 678.

الغجر والهولوكوست HOLOCAUST

كلمة هولوكوست عبارة عن مصطلح تم استخدامه لوصف الحملات الحكومية المنظمة من حكومة ألمانيا النازية وبعض من حلفائها لغرض الإضطهاد والتصفية العرقية لليهود في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية. وهي مشتقة من الكلمة اليونانية ὁλόκαυστον، holókauston والتي تعني "الحرق الكامل للقرابين المقدمة لخالق الكون". في القرن التاسع عشر تم إستعمال الكلمة لوصف الكوارث أو المآسي العظيمة. أول مرة، استعملت فيها كلمة هولوكوست لوصف طريقة معاملة هتلر لليهود كانت في عام ١٩٤٢ ولكن الكلمة لم تلق انتشاراً واسعاً حتى الخمسينات ومع السبعينات أصبحت كلمة هولوكوست تستعمل، حصرياً، لوصف حملات الإبادة الجماعية التي تعرض إليها اليهود بالتحديد على يد السلطات الألمانية أثناء هيمنة الحزب النازي بقيادة أدولف هتلر. اليهود أنفسهم كانوا يستعملون كلمة شواه (שואה) في الأربعينات بدلاً من هولوكوست وهي كلمة مذكورة في التوراة وتعني الكارثة. (١)

كما توصف الهولوكوست (منهجياً) بأنها العملية المنظمة والمدروسة والمنفذة صناعياً بشكل تام، والتي تم من خلالها قتل (ستة ملايين) يهودي أوروبي. كما قتل العديد من الغجر والشاذين جنسياً إضافة إلى آخرين صنفهم النازيون على أنهم (غير مرغوب فيهم) أو أنهم (لا يستحقون الحياة). ومن خلال برنامج في غاية الوحشية تم استغلال الناس وتعذيبهم وإذلالهم وقتلهم في مصانع الموت وفي معسكرات الاعتقال. وسبق عمليات القتل حملات إعلامية عنصرية نشرت الأفكار المعادية للسامية كما سبقها، أيضاً، حرمان اليهود من حقوقهم المدنية وتأميم ممتلكاتهم وعزلهم. ولم

١- موسوعة ويكيبيديا، الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت: ar.wikipedia.org، ١٠-٣-٢٠٠٧.

يقتصر الإسهام في عمليات الهلوكوست على الجهات الحكومية فقط، بل أسهمت فيها أيضاً مجموعات من الجيش وجهات مختلفة من القطاعات الصناعية والمصرفية والعلمية والطبية." (١)

وهكذا، فإن الغجر هم أحد ضحايا النازية وأفعالها المتطرفة، خاصة محارق البشر-التي-اشتهرت-باسم الهولوكوست. ولكن الأضواء مسلطة دائماً على ضحايا اليهود أو اليهود أنفسهم باعتبارهم ضحايا. كما أن هناك جدلاً واسعاً مثاراً بخصوص أرقام الضحايا اليهود، بين تهم توجه إلى اليهود بالمبالغة فيها، وبين ناكرين لها، أصلاً، أو مهونين من أمرها، يتهمون عادة بمعاداة السامية على حد زعم اليهود.

أما عن الغجر فللأسف يبدو الأمر وكأنه في طيّ النسيان أو الجهل، أصلاً، من أنهم كانوا ضحايا لهذه الجرائم الوحشية. وقلما يوجد بيننا من يعرف أن النازيين ساقوهم مع اليهود إلى المحرقة وأفنوا منهم نحو ٦٥٠,٠٠٠ خلال الحرب. ولكن بينما ضج العالم وما زال يضج يوماً بعد يوم، بهولوكوست اليهود ويدفعون تعويضات لهم ولإسرائيل بما يقدر بالمليارات، لم يدفع أحد للغجر أي تعويض عما حصل لهم وعمن فقدوه من ذويهم. أقسى من كل ذلك، أن الناس لا يعرفون شيئا عن مصيبتهم ولا يأتي لها أي ذكر في وسائل الإعلام". (٢)

أما أرقام ضحايا إبادة الغجر ودوافعها، فهي الأخرى تتفاوت وتختلف لدى المهتمين بدراسات الغجر ومؤرخي الهولوكوست، أيضاً. «فمؤرخ الهولوكوست يهودا بوير مثلاً يؤكد أن قتل الغجر كان مختلفاً عن قتل

١- موقع حقائق عن ألمانيا،

http://www.tatsachen-ueber-deutschland.de/ar/history/content/glossary03.html?type-1&tx_a21glossary%5Buid%5D-1467&tx_a21glossary%5Bback%5D-151&cHash-e2cc4b7507

٢- القشطيني، خالد، الهولوكوست المنسي، مقال منشور في جريدة الشرق الأوسط اللندنية، العدد ٨٢٢٩، ٩ يونيو ٢٠٠١.

اليهود، فطالما أن الغجر ليسوا يهوداً، فلا ضرورة لإبادتهم الجماعية. غير أنه مع غزو الإتحاد السوفياتي في حزيران (يونيو) من العام ١٩٤١ بدأ الإنتقال من القمع والتعذيب إلى إبادة الغجر الجماعية في بولندا وروسيا ومنطقة البلقان بحجة إتهامهم بالجاسوسية. وبلغ عدد قتلاهم ٢٥٠ ألفاً أو ما يزيد».[١]

إن العداء للغجر، ليس وليد مرحلة معينة، إنما هو متجدد في الأزمنة والأمكنة. وذلك بسبب طبيعة حياة الغجر المترحلة، ومهنهم التي تسبب إزعاجاً، في أغلب الأحيان، للشعوب التي يحطوا رحالهم فيها. ولكنه في ألمانيا، امتزج بالايدولوجيا العرقية التي رفعت شعاراً ومنهجاً للتعامل مع الأقوام الأخرى.

لقد كانت إبادة الغجر مُدرجة في برنامج ألمانيا النازية. وكان لدى شرطة إقليم بافاريا الألماني منذ عام ١٨٩٩ قسمٌ خاص « بشؤون الغجر» يتلقى نسخاً من قرارات المحاكم المكلَّفة بالبت في المخالفات التي يرتكبها الغجر. وتحوَّل هذا القسم عام ١٩٢٩ إلى « مركز وطني» مقره ميونيخ، وحُظر على الغجر، منذ ذلك التاريخ، التنقل بدون تصريح الشرطة. وكان الغجر الذين تزيد أعمارهم على السادسة عشرة ولا يعملون يُجبرون على العمل لمدة سنتين في مركز من مراكز التأهيل. وابتداءً من عام ١٩٣٣، وهو تاريخ وصول هتلر إلى الحكم، زادت تلك القيود شدة وصرامة. وطُرد الغجر الذين لا يحملون الجنسية الألمانية، وزُجّ بالباقين في المعتقلات بحجة أنهم «غير اجتماعيين».[٢]

١- فونيسكا، إيزابيل، سيرة الغجر، ترجمة عابد إسماعيل، عرض ملخص منشور في موقع الزوراء، http://www.alzawraa.net/home/index.php?option-com_content&task-view&id-6902&Itemid-232. 10-3-2007

٢- المسيري، عبد الوهاب، موقع اليهود واليهودية والصهيونية، الإبادة النازية للغجر Gypsies Nazi Extermination of ، http://www.elmessiri.com/Zionism/jewish/ENCYCLOPID/START/..%5CMG2%5CGZ4%5CBA4%5CMD11.HTM. 11-3-2007

إن سمة الغجر هي الترحال الدائم، ووفقا لذلك، فإنهم لا يحبذون العمل في مهن ثابتة أو تلك التي تتطلب الاستقرار المكاني، فضلاً على قلة نصيبهم من التعليم والمهارات. كما أن سمة الترحال تضعف الالتزام الأخلاقي، وذلك بسبب المجهولية. يضاف إلى ذلك جهلهم بتلك الأمور. ووفقاً لذلك تكثر المخالفات والانحرافات والجرائم في أوساطهم.

وعليه كان الغجر باستمرار عرضة إلى نظرة الشك والريبة، بل القسوة في أحيان كثيرة، مثلما وجدنا في الضوابط التي طبقتها ألمانيا في تلك الفترة.

ثم اتخذ هذا الإهتمام والحذر من الغجر طابعاً علمياً (لتصفيتهم كما بدا، حيث تم التركيز على دراسة الخصائص العِرقية للغجر، فأعلن الدكتور هانز غلوبكه - أحد المسهمين في صياغة قوانين نورمبرغ - عام ١٩٣٦ - أن الدم الذي يجري في عروق الغجر « دم أجنبي ». ثم صنّفهم الأستاذ هانز ف. غينثر في فئة مستقلة تمثل مزيجاً عرْقياً غير محدّد (إذ لم يستطع نفي أصلهم الآري). وبلغت الخصائص العرْقية لدى الغجر من الأهمية درجة أهلتها لأن تصلح موضوعاً لرسالة دكتوراه. ومما قالته إيفا جوستين مساعدة الدكتور ريتّر في قسم الأبحاث العِرقية بوزارة الصحة (عند مناقشة رسالتها) إن الدم الغجري « يُشكّل خطراً بالغاً على صفاء الجنس الألماني».[1] لاحظ هنا كيف أن العلم كان يوجه لخدمة اغراض الأيديولوجيات المتطرفة.

وفي اللاحق تم تجريمهم كنتيجة للمعايير التي اتبعت في وقتها، حيث صدر في ١٤ ديسمبر عام ١٩٣٦، قرار أدى إلى تفاقم أوضاع الغجر إذ وصمهم بأنهم « مجرمون معتادون الإجرام». وفي نهاية عام ١٩٣٧ وخلال عام ١٩٣٨ شُنت حملات اعتقال جماعية عديدة ضد الغجر وخُصّص لهم جناح في معتقل بوخنولد، وكانت قوائم الوفيات في كثير من المعسكرات

١- المصدر نفسه.

تحوي أسماء غجرية يُذكَر منها: ماوتهاوسن وجوسن وداوتمرجز وناتلزفايلر وفلوسنبورج. وفي رافنسبروك، راحت كثيرات من نساء الغجر ضحايا لتجارب أطباء الشرطة العسكرية الهتلرية الإس. إس. (SS)... وقد أمر هتلر بتصنيف الغجر في الفئات التالية: غجري صرف (Z)، وخلاسي يغلب عليه العرْق الغجري (ZM+)، وخلاسي يغلب عليه العرْق الآري (ZM-)، وخلاسي يتساوى فيه العرْقان الغجري والآري (ZM).[١]

وتبدو مثل هذه الإجراءات مضحكة في الوقت الحاضر من حياة البشرية خاصة إذا ما صدرت عن أو تبنتها جهات حكومية، وان كانت صادرة من جهات علمية.

ومن الصعب تقدير عدد الغجر الذين كانوا يعيشون في أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية وعدد ضحايا هذه الحرب. ويُقدِّر المؤرخ راؤول هيلبرغ عدد الغجر في ألمانيا قبل الحرب بأربعة وثلاثين ألف نسمة؛ أما عدد من بقي منهم على قيد الحياة بعدها فغير معروف. ويتبيَّن من تقارير فرق الإعدام أن عدد الضحايا في روسيا وأوكرانيا والقرم بلغ ثلاثمائة ألف غجري، بينما تُقدر السلطات اليوغسلافية عدد القتلى من الغجر بثمانية وعشرين ألفاً في الصرب وحدها. أما عدد الضحايا في بولندا، فمن الصعب تقديره وإن كان المؤرخ تيننباوم يؤكد أن الشعب الغجري فقد في الأقل خمسمائة ألف من أبنائه. مع العلم أن الشعب الغجري شعب عريق وكثير النسل (على عكس اليهود). وعلى كل حال، ومهما اختلفت النسب، فإن نسبة من أبيد من الغجر (إلى عددهم الكلي) يفوق نسبة من أبيد من اليهود.[٢]

إن المؤرخ اليهودي الفرنسي «جورج ويلرز» قدّر عدد الذين لقوا حتفهم خنقاً بالغاز أو بطرق أخرى أو تم تعذيبهم حتى الموت أو كانوا ضحايا لمجاعات

١- المصدر نفسه.

٢- المصدر نفسه.

أو أمراض بمعسكر «أوشفيتس» بـ ١,٤ مليون. وحسب هذه التقديرات؛ فإن ١,٣٥ مليون منهم كانوا من اليهود. ٣٨٠٠٠ بولندي، و ٢٠٠٠٠ من الغجر، و ١٢٠٠٠ سجين حرب سوفييتي. إضافة إلى ١٥٠٠٠٠ بولندي تم حبسهم في معسكر «أوشفيتس»، ثم تم نقلهم إلى أماكن أخرى، حيث لقي كثير منهم - وليس معظمهم - حتفهم. (١)

ما نريد أن نوضحه في هذا البحث، بخصوص الغجر والهولوكوست، هو أن هذه الأفعال الشنيعة قد طالتهم، وهي مصيبة تضاف إلى المصائب والويلات المتعددة التي تلاحقهم. وإن ننبه إلى أن التاريخ إلى حد ما قد تجاهل هذه الجريمة ويكاد يقتصر الضوء المسلط على اليهود فقط كضحايا لها. وإن هذه صفحة من صفحات تاريخهم، نود أن يطلع عليها القراء وإن ما كتب عنها مازال قليلاً.

١- جريدة الوفاق الإيرانية، مؤرخو الهولوكوست وتضخيم الأرقام، العدد (٢٢٧٤) ١١-٣-٢٠٠٤.

الفصل الثالث
الكاولية في العراق

أماكن استيطانهم

أعدادهم

الكاولية في منطقة الكمالية (بغداد)

الكاولية في منطقة الفوار (الديوانية)

الغجر أو الكاولية في العراق:

لقد أجمعت معظم الآراء تقريباً على أن أصل الغجر من الهند وقد هاجروا إلى الشمال والغرب على شكل موجات قبلية ، وقد بحثنا ذلك في فصل سابق. أما وصولهم إلى العراق فقد ذكر الدكتور مصطفى جواد أن الزط هو أقدم تسمية للغجر أو الكاولية في العراق. وقد عرفوا للمرة الأولى في إبان حكم الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي أوائل القرن السابع الميلادي. (راجع الفصل الخاص بتسميات الغجر، موضوع الزط).

لو سلمنا بهذا الأمر، على أنهم أول مجاميع الغجر إلى المنطقة أو العراق تحديداً، وأن الهجرات قد تتابعت بعد ذلك. ولكن أين هم الزط الآن من هؤلاء الحاليين؟ ولماذا لايحملون اسمهم أو تاريخهم؟

لاشك أن هناك موجات أخرى من الهجرات قد تتابعت وكل منها تحمل اسماً مغايرا لمن سبقهم، ومنهم الكاولية وهم عنوان الغجر في العراق الآن (راجع موضوع التسميات). وقد كان الغجر وحتى بداية الثمانينات من هذا القرن يعدون أجانب وغرباء على الدولة العراقية الحديثة منذ نشأتها في عام ١٩٢١. (راجع طه الحديثي، الغجر والقرج في العراق)

ويتميز الغجر في العراق بخصائص تجعلهم ثقافة فرعية متمايزة عن ثقافة المجتمع الأوسع ومن هذه الخصائص:

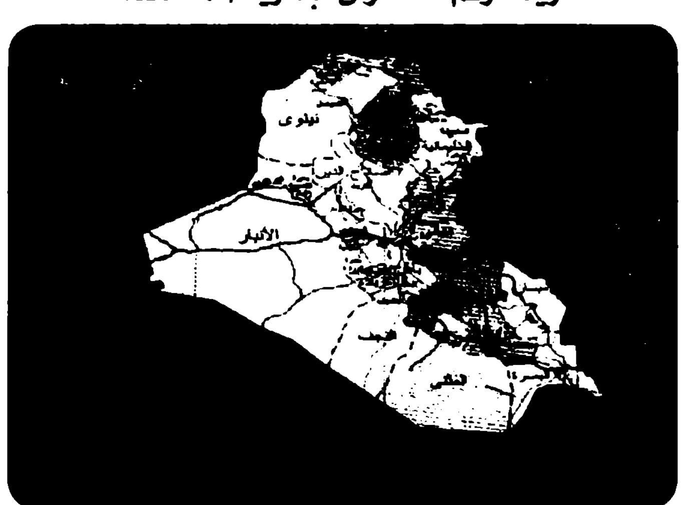
١-خصائص فيزيقية: تتمثل بالبشرة السمراء الضاربة إلى الصفرة أو النحاسية والشعر المستقيم الأسود الفاحم، والعيون السود والقامة المتوسطة، وذلك مع أن هناك تأثيرات مهمة للاختلاط (التغجر) قد أثرت حتى الآن.

٢-خصائص أثنية(سلالية): تتمثل بأنهم من أصل هندي، ومما يؤكد ذلك سماتهم الفيزيقية وثقافتهم ولغتهم الخاصة.

٣- خصائص معيشية: تتمثل في ممارستهم لحرف اقتصادية لا يمارسها المجتمع العراقي بصورة عامة.

٤- خصائص ثقافية (قيمية): وذلك من خلال أعمالهم المنافية للقيم والأعراف السائدة في المجتمع العراقي.

خريطة رقم ١ : العراق الإدارية / المحافظات.



أماكن استيطان الغجر (الكاولية) في العراق

يتجمع الغجر في العراق في مستعمرات سكانية تقع على هوامش المدن الكبيرة، وذلك لما تتطلبه طبيعة أعمالهم من اتصال مستمر بالسكان الآخرين، وأماكن آمنة قريبة من المدن. علماً أن معظم تجمعاتهم لم تستقر على حال، بسبب التهجير المستمر.

وقد أسهمت الدولة في توطينهم وذلك بتخصيص أراض لتجمعهم أو بناء الدور السكنية لهم.

أدناه أهم المواقع التي يسكنها الكاولية في العراق (انظر الخريطة رقم ١):

١- تجمع الكاولية في حمام العليل: وهي مجموعة من الدور بنتها الدولة وأسكنت قسماً منهم فيها في الثمانينات، وهي تقع في ناحية حمام العليل في محافظة نينوى(الموصل).

٢- مخيمات الغجر في ناحية تازة: وهو مخيم يضم نحو ٣٠ خيمة في (مرحلة نشوئه الأولى في فترة نهاية الثمانينات من القرن العشرين) موزعة بصفين تتوسطها خيمة شيخ الغجر في المنطقة هذه، وتتبع هذه المنطقة إلى محافظة التأميم (كركوك) في شمالي العراق.

٣-منطقة الغجر في أبو غريب: وقد استوطنوا هذه المنطقة في السبعينات من القرن العشرين، وهي منطقة معزولة عن التجمعات السكانية لغير الغجر وتتبع قضاء أبو غريب الذي يقع في ضواحي بغداد الغربية.

٤- منطقة الغجر في الكمالية: وهي أحد الأحياء السكنية التي تقع في ضواحي بغداد الشرقية. وهي (نموذج الدراسة هنا).

٥- منطقة الغجر في الفوار: وهي القرية السكنية للغجر والتي تقع في جوار مدينة الديوانية (مركز محافظة القادسية) بنحو ١٠ كم شرقاً وهي العينة الأخرى لهذه الدراسة.

٦- منطقة الغجر في ناحية كنعان: تتبع هذه المنطقة، إدارياً إلى محافظة ديالى، وقد استوطن الغجر فيها في نهاية السبعينات من القرن العشرين. وقد امتازت باستقرارها.

٧- منطقة الغجر في الخضر: وتقع هذه المنطقة في قضاء الخضر التابع، إدارياً، إلى محافظة المثنى (السماوة). وقد بدا استيطانها في بداية الثمانينات من القرن الماضي، وذلك بعد تهجيرهم ونقلهم من منطقة الشراكة الغربية

بالمحافظة نفسها. وهي منطقة بعيدة نسبياً عن مركز القضاء (الخضر).

٨- منطقة الغجر في الشوملي: ويقع هذا التجمع السكني بالقرب من ناحية الشوملي التابعة إلى محافظة بابل. وقد استوطنوها في منتصف الثمانينات.

٩- منطقة الغجر في الشطرة: وتقع هذه في منطقة بني زيد في قضاء الشطرة بمحافظة ذي قار (الناصرية). وقد انتقل إليها الغجر بعد ترحيلهم من المستوطنة السابقة قرب ناحية الفجر بالمحافظة نفسها.

١٠-.هناك بعض المساكن المتجاورة للغجر في بعض المدن الكبيرة مثل البصرة، وهذه غير مشخصة من الدولة أو العامة من الناس، أحياناً، سوى بعض الزبائن الذين يترددون عليها.

١١-.مازالت بعض البيوتات الغجرية مترحلة وخاصة في المنطقة الشمالية في محافظة نينوى والمدن المتاخمة لبادية الجزيرة مثل الشرقاط والموصل والحويجة وبحركة تشبه تنقلات البدو.

أعداد الكاولية في العراق:

لا توجد إحصائيات مضبوطة للغجر، حيث كانوا، في السابق، في تنقلات مستمرة، كما أنهم لا يعطون إحصائيات وبيانات مضبوطة لخوفهم من مثل هذه الأمور.

إلى فترة ما قبل انهيار النظام السابق، كانت هناك إحصاءات معقولة توضح أعداد الغجر الذين اعتبروا عراقيين، والإحصاءات لا تميز، عادة، ما هو غجري عن غيره، إنما بالاستناد إلى تجمعاتهم السكنية، ولذلك، فإن من يسكن بيتاً منفرداً داخل المدينة، مثلاً، أو خارج القرى والأحياء السكنية للكاولية، فإنه ليس بالإمكان تمييزه، أو التثبت منه، وذلك خاصة بعد اكتسابهم الجنسية العراقية حيث تساووا تقريباً، في الالتزامات القانونية والمدنية ومنها التحاق أبنائهم بالخدمة العسكرية.

وفي تقرير لمكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في ٣ آذار- مارس ٢٠٠٥، نشره موقع(Relief Web) على شبكة الانترنت من انه (ليست هناك إحصاءات رسمية للأعداد الكلية للغجر في العراق، ولكن زعماء العشائر الغجرية يقدرون العدد بأنه يفوق الـ٦٠ ألفاً، ١١ ألفاً منهم في الديوانية).[١] كما قدره (موقع الأديان) (Philly.com، The Region's homepage) بـ ٥٠ ألف نسمة.[٢]

لكن ليس بالإمكان التثبت من صدقية هذه التقديرات، خاصة في ظل الظروف التي يعيشها العراق في هذه المرحلة. وهناك تقديرات سابقة لأعدادهم. ونقدم أفضلها للدكتور طه الحديثي، وبجدول يتضمن تخميناً لأعدادهم وأعداد القرج وحتى العام ٢٠٠٠.

إن أعداد الغجر في العراق أكثر بكثير من هذه التقديرات، حيث ما عرف عن الغجر الخوف والحذر والمراوغة في إعطاء المعلومات الصحيحة.. وأيضاً، زيادة أعدادهم المستمرة جراء عملية (التغجر) التي تحدث لأعداد من الناس غير الغجر عن طريق التوطين والعمل والاندماج أو التزاوج معهم، وخاصة النساء اللواتي يرغبن في عيشة الغجر أو يستدرجن إلى العمل في أوساطهم وتصعب عليهن طريق العودة لاعتبارات اجتماعية بالدرجة الأولى.

وهناك، في العادة، نمطان للسكن أو الاستيطان في مناطق الغجر في العراق. بل، تحديداً، يمكن تمييز سكن الغجر في منطقة الكمالية في بغداد، كشكل من الاستيطان المتمايز للغجر ويتميز هذا بخصائص لعل أهمها السكن المتجاور مع (العرب) وهم غير الغجر كما يطلق عليهم الغجر، وما يترتب عليه من احتكاك مباشر معهم. هذا إضافة إلى توفر الخدمات الأساسية الأخرى. وأما مناطق الاستيطان الأخرى فهي تختلف في ذلك كلياً، حيث أنها عبارة عن قرى منعزلة تكاد تكون محرومة من معظم هذه الخدمات تقريباً. وسنطلع أدناه على كل من نموذج الكمالية ونموذج آخر

1- Relief Web، http://www.reliefweb.int/rw/RWB.NSF/db900SID/DDAD-6A5NFE 30-12-2005 ز.

2- http://www.philly.com/mld/philly/news/11823843.htm 3-1-2006 ز.

الجدول رقم (١) يبين اعداد الغجر والقرج حسب نسب المواليد والوفيات العامة لسنة ١٩٧٦.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الغجر	١٠٩٦	٥٥٦٩	٢١٠	٣٧،٧	٤٩	٨،٨	٢٨،٩	٧٤٠٤	١٠٥١٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مجموع	١٥٦١	٧٨٢٥	٣١٦	٤٢،٣٤	٧٧	١٠،٦	٣١،٧	١١٠٨٤	١٦١٢٣

المصدر: الحديثي، طه حمادي، الغجر والقرج في العراق، ص٣١.

يقابله وهو منطقة الكاولية في الفوار في محافظة القادسية (الديوانية) في جنوبي وسط العراق.

منطقة الكاولية في الكمالية:

بالنسبة لمنطقة الكمالية امتازت بما يلي:

أ- إنها أقدم تجمعات الغجر(الكاولية) المستقرة في العراق، وقد استوطنوها منذ عام ١٩٥٨.

ب- إنها منطقة السكن الوحيدة المفتوحة على تجمعات غير الغجر، وتمتاز بعلاقات الجوار المباشر.

ت- إنها أكثر مناطق الكاولية عرضة للتغيّر بسبب موقعها بمدينة بغداد.

جـ- إنها أكثر مناطق الغجر نشاطاً، وهي توفر فرص عمل جيدة للغجر بسبب موقعها هذا.

سكن الكاولية في المحلة ٧٥٧ وبيوت من المحلة ٧٥٦ في منطقة الكمالية البالغ سكانها(الكمالية) نحو ٢٠ ألف نسمة [١].

وتتبع الكمالية، إدارياً إلى مديرية ناحية بغداد الجديدة التي تقع شرقا ضمن العاصمة بغداد.

يبلغ سكان الغجر ٢٤٠٠ نسمة موزعين بين ٢٦٠ أسرة ويسكنون ٢١٧ دارا سكنية. [٢]

وقد سكن الغجر في هذه المنطقة في عام ١٩٥٨م وكان عدد سكانهم ١٠١٩ نسمة موزعين بين ١٧٤ أسرة. [٣]

وقد كانت بداية مساكنهم عبارة عن أكواخ أو صرائف ولم يجاورهم في السكن أحد حيث لم يتم إسكان المنطقة وقتها.

ويسيطر موقعهم، الآن على مداخل منطقة الكمالية والفضيلية من

١- سجلات المختارين، في عام ١٩٩٤.

٢- سجلات مختار المحلة، عام ١٩٩٤.

٣- الحديثي، سبق ذكره، ص ٥٠.

جهة الشارع العام (طريق ديالى القديم) كذلك قربه من المحال التجارية الرئيسة.

طبيعة المنطقة حضرية بحتة، وهي متأثرة، إلى حد ما، بالعاصمة بغداد، وبيوتها تدل على ارتفاع المستوى المعيشي للكثير منهم وبعضها راقٍ جداً ويضاهي بيوت بعض الاحياء الراقية في بغداد.

الخدمات المقدمة :

تتمتع المنطقة بخدمات كثيرة وعلى السواء مع أحياء بغداد الأخرى ومنها:

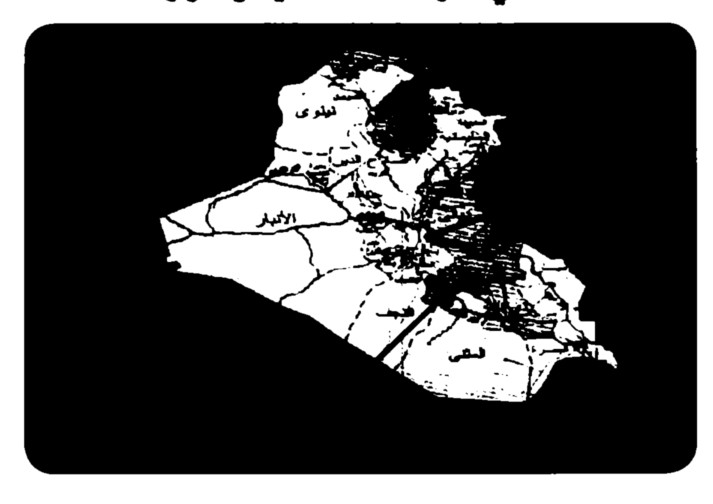
١- خدمات الماء والكهرباء.

٢- خدمات الهاتف.

٣- خدمات المدارس بجميع مستوياتها (مشتركة مع باقي السكان).

٤- خدمات تبليط الشوارع وإن كانت الشوارع الداخلية الفرعية بحالة سيئة.

الخريطة رقم -٢- خريطة العراق موضح عليها موقع كل من منطقتي الدراسة : (الكمالية والفوار).



الكاولية في منطقة الفوار:

أما بالنسبة لمنطقة الكاولية في الفوار، والتي لم تطرأ عليها تغيرات مشابهة لما حصل لكاولية الكمالية، وذلك لعدم احتكاكهم المباشر بالسكان حيث أن قريتهم منعزلة عن الأحياء أو القرى السكنية الأخرى في المحافظة، على الرغم من أن نشاطها قد تقلص إن لم نقل انعدم بسبب التغيّرات المشار إليها، وقد امتازت بالتالي:

١- إنها من أقدم تجمعات الكاولية أيضاً، (حيث ظهرت بوادر التوطين فيها للغجر عام ١٩٦٣، واستوطنوها، فعلياً، عام ١٩٧٣).

٢- إنها منطقة معزولة عن باقي مناطق غير الغجر، وهي تماثل باقي تجمعات الغجر في العراق.

٣- إنها تعاني مشكلات عديدة أهمها نقص الخدمات العامة.

إنها تقع ضمن منطقة محافظة نسبياً (محافظة القادسية) وهي تختلف بذلك عن مدينة بغداد، إضافة إلى قربها من الأماكن المقدسة في النجف والكوفة وكربلاء.

يقع تجمع الكاولية هذا في منطقة الفوار بشكل قرية منعزلة تبعد عن مدينة الديوانية (مركز محافظة القادسية) بمسافة ١٢ كم إلى الشمال الشرقي وبطريق فرعي بمسافة ٢ كم عن الطريق العام الذي يربط مدينة الديوانية بمدينة عفك والمار بقرية الجمعية المجاورة لهم بالمسافة نفسها. وتقع القرية في القطعة ٣ وجزء من القطعة ٢ مقاطعة ٢٢ المسماة (أبو طراريد). (انظر الخريطة رقم ٤) ومساحة هذه المنطقة ٢٤ دونما.

ظهرت البوادر الأولى لسكن الغجر الذين كانوا مترحلين في عام ١٩٦٣، وقد استقروا فيها عام ١٩٧٠ وأنشأوا فيها دورا من الصرائف والطين، وكانت تبلغ ٥٠ دارا، وكان وقتها يرأسهم الشيخ بزيع تاغي.

وحتى الآن، فإن هذه الدور ليست ملكاً صرفاً لهم حيث يتم استيفاء المثل منهم لمصلحة عقارات الدولة. [1]

بلغ عدد سكانهم في عام ١٩٨٧ حسب التعداد العام لسكان العراق ٢٥٠٠ نسمة، ومجموع المباني ٢٩٢ مبنى[2]. بي ٢٢٦ أسرة ويسكنون ٢٢٠ داراً.[3]

وتمتاز القرية بخصائص حضرية صاحبت طبيعة السكن وبعض النشاطات إضافة إلى ابتعاد غالبية سكانها عن القيم الريفية.

أما الخدمات المقدمة لهم فهي:

١- التيار الكهربائي.

٢- طريق مبلط بطول ٢ كم يربط القرية بقرية الجمعية وطريق ديوانية - عفك.

٣- مدرسة ابتدائية باسم مدرسة الإصلاح الابتدائية المختلطة، وقد أنشئت عام ١٩٨٧. وتتبع هذه القرية، إدارياً إلى قائممقامية قضاء الديوانية، والديوانية تبعد بنحو ١٨٠ كم جنوب العاصمة بغداد.

ونلاحظ هنا، أن هذه القرية تفتقر إلى الخدمات الأساسية الأخرى، مثل إسالة الماء أو خدمات الهاتف أو تبليط شوارعها الداخلية أو غير ذلك أسوة بنظيرتها في الكمالية مثلاً.

١- قائممقامية قضاء الديوانية.
٢- مديرية إحصاء محافظة القادسية.
٣- المصدر نفسه.

الفصل الرابع

القرابة والزواج في مجتمع الكاولية

النسق القرابي

القرابة

الزواج في مجتمع الكاولية

الأسرة في مجتمع الكاولية

المرأة رب أسرة في مجتمع الكاولية

الزواج لدى الكاولية

نظام الزواج لدى الكاولية

مراسيم الزواج

النسق القرابي:

هو ركيزة مهمة من الركائز التي يقوم عليها البناء الاجتماعي لأي مجتمع، وهو جانب مهم لا يمكن تجاهله في الدراسات الأنثروبولوجية، وخاصة تلك التي تتناول دراسة المجتمعات البدائية (Primitive Societies) والقبلية (Tribal) وشبه الريفية (Semi-rural) وحتى في المجتمعات الحضرية (Urban Societies) في الدول النامية.

"ويرتكز النسق القرابي على علاقات الدم وعلاقات المصاهرة، وهما المحوران الرئيسان لنظام العائلة ونظام الزواج". (١)

إن الروابط الدموية هنا، إما أن تكون حقيقية كعلاقة الأب بأبنائه أو خيالية مصطنعة كعلاقة التبني (adoption)، أو القرابة المفترضة بين أبناء الوحدة القرابية .

القرابة (kinship):

وهناك أنواع عدة من العلاقات القرابية (٢) وهي :

١-العلاقة الزوجية.

٢- علاقة مباشرة بين أفراد الأسرة النواة وبقية العائلة.

٣- علاقة بين الأسرة النواة وبين بقية الأقرباء.

وأما درجات القرابة فهي ثلاث:

١- القرابة الرئيسة وتشمل والدي الفرد وأخوته وإخوانه والأزواج والأبناء والبنات في الأسرة النواة.

١- البياتي، علاء الدين، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، دار التربية، بغداد، ١٩٧٥، ص ٣٧٤.

٢- الرويشدي، سعدي فيضي، المدخل إلى علم الإنسان، مطابع التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩، ص ٩٩.

٢- أقرباء من الدرجة الثانية وتتمثل في أخوة الزوج والزوجة.

٣- أقرباء الدرجة الثالثة، وهم أقرباء ثانويون، ويكونون، عادة، أبناء أخوة الزوج والزوجة.

أما وحدات القرابة أو الجماعات القرابية (١) فهي:

١- الأسرة النووية أو ما أسميناه بالعائلة (راجع موضوع الأسرة في هذا الكتاب) وهي(عبارة عن جماعة تتكون من الزوجين وأبنائهما غير المتزوجين).

٢- الأسرة النووية الممتدة : وهي تتكون إما من أسرة متعددة الزوجات أو من أسرة فيها تعدد الأزواج إضافة إلى الأبناء.

٣- الأسرة المشتركة: وتتكون من أسرتين نوويتين أو أكثر ترتبطان في خط الأب أو الام . وقاعدتها الإقامة المشتركة ولهما التزامات اقتصادية واجتماعية مشتركة.

٤- البيت أو الظهر: وهو وحدة قرابية تتألف من مجموعة من العوائل والأسر وتنحدر من سلف مشترك وتمتد إلى نحو أربعة أو خمسة أجيال. وقد يعيشون معاً في منطقة واحدة أحياناً.

٥- الفخذ: وهو مجموعة بيوتات أو أظهر تنحدر من سلف واحد أو جد مشترك. وتمتد إلى سبعة أو ثمانية أجيال.

٦- العشيرة (clan): هي مجموعة أفخاذ تنحدر من سلف أو جد مشترك وتمتد إلى نحو اثني عشر جيلاً.

٧- القبيلة: وهي الوحدة القرابية الأوسع. وتتكون من مجموعة من العشائر تنحدر من جد مشترك وتمتد إلى نحو عشرين جيلا.

١- بيلز رالف وهاري، هاري، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، ج١، ترجمة محمود الجوهري، دار النهضة، مصر، ١٩٦٥. بتصرف.

إن الوحدة القرابية الرئيسة هنا عند الغجر هي الأسرة، ومنها تبدأ التزامات الفرد وفيها يتلق مبادئ التنشئة الاجتماعية. ويبصر نور الحياة التي يحياها مجتمعه وتتدرج بعدها الالتزامات تجاه الوحدات القرابية الأخرى وبدرجات أقل.

ونظام النسب والانحدار في المجتمع الغجري هو أبوي، عن طريق الذكور (paternal)، ويكونون قرابة عاصبة. وجرياً على المثل الشائع (أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب). وهكذا ترسم العلاقة مع التقارب وحسب درجاتهم.

والأسرة المركبة المشتركة هي النموذج السائد في المجتمع الغجري وذلك بسبب طبيعة حياتهم المعيشية التي تتطلب تجمعهم في أماكن خصصت لهم، وطبقاً لطبيعة حياتهم المهنية التي تعارض قيم المجتمع الشمولي (الثقافة السائدة).

وينطبق تكدس السكن هذا على منطقة الغجر في الكمالية بسبب محاصرة المنطقة ببيوت العرب (غير الغجر). وبذلك انحسر اتساع رقعة منطقتهم السكنية، ولهذا ارتفعت أسعار إيجار المساكن في المنطقة.

كما أن طبيعة مهنهم تتطلب أن تكون هناك قوة من الرجال تحمي الأسرة من تجاوزات الزبائن أو أن تنقذ الموقف لصالح الأسرة حتى في اعتدائهم أو احتيالهم على الزبائن.

والسلطة في الأسرة الغجرية هي للأب وإن كانت مكانة المرأة عالية لأنها مصدر الدخل الرئيس للأسرة من خلال المهن التي تمارسها.

إن ما يؤكد ارتفاع مكانة المرأة هو أن العائلة تفضل أن يكون مولودها أنثى أكثر مما تفضله ذكراً، وهو عائد إلى السبب أعلاه نفسه.

ولكن في قضايا الميراث يكون الابن ذا سطوة كبيرة وله حصة الأسد، وهو يرث أباه في كثير مما يتركه من مال ومنزلة. فتوزيع المال يتم على الطريقة

الإسلامية. ففي الشريعة الإسلامية يوزع الميراث، كما هو معلوم، بأن للذكر مثل حظ الأنثيين. إن الأمر هنا ليس التزاما بالشريعة الإسلامية بقدر ما هو سطوة للرجل على المرأة في الفرصة المناسبة وما مكانة المرأة وتقديرها هذا إلا أنه أمر وقتي مرهون بعطائها، وما يدل على ذلك أن المرأة في مجتمع الغجر ما إن تصل إلى سن غير مرغوب فيه من الزبائن أو أن تكون على درجة واطئة من الجمال أو أن تصاب بعاهة، فإنها تهمل وتكون شخصاً غير مرغوب فيه، إلى حد ما، وحتى في أسرتها.

وهذا ما يؤكد إن مكانة الفرد هنا مرهونة بدوره الاقتصادي.

ويشير الباحث غاي يونغ (Guy Young) من الجامعة الأميركية في واشنطن بملخص بحثه الموسوم Gender inequality and industrial development: The household connection بما يماثل ذلك فيقول: (إن بحثاً مبكراً بالاعتماد على الجيل ونوع الجنس، ليوحي بوجود العديد من الخلافات القائمة على أساس مادي بين أفراد الأسرة وهذا الفراغ والخلاف لابد أن يكون متعلقاً بنوع العمل وأمرته وكذلك الصراع التفكيري بشأن تابعية المرأة الأسرية.) [1]

إن المكانة المبنية على أساس مادي تنسحب على الأقارب المقيمين في الأسرة، أيضاً، فالعم أو الخال أو الجد أو العمة أو الخالة أو الصهر المقيم مع الأسرة (الكعيدي- القعيدي)، ترتفع منزلته وتكون كلمته مسموعة وله دور مهم في اتخاذ القرار الأسري عندما يكون شخصاً منفقاً (منتجاً ومعيلاً) لهذه الأسرة.

وهذه الأمور ينطبق عليها تفسير النظرية التبادلية وهو ما جاء به جورج هومانز ومفاده «إن السر الصريح والواضح للتبادل الإنساني هو أن تقدم

1- Young, Gay, Gender inequalities and industrial development, Journal of comparative family studies, vol. XXIV, No. 1, spring 1993., p. 1

للآخر سلوكاً أكثر قيمة بالنسبة له من تكلفته بالنسبة لك، وأن تحصل منه على سلوك أكثر قيمة، بالنسبة لك من تكلفته بالنسبة له». [1]

وعموماً، فإن حال الأسرة الغجرية من هذه الناحية تكاد تشابه بل تقترب فعلاً، من حال الأسرة العراقية عموما والأسرة الريفية خصوصاً، من ناحية مكانة ومنزلة المرأة ودورها في صياغة القرار العائلي. [2]

وفي بحث له بهذا الخصوص يرى الدكتور قيس النوري «إن الحالة الآنية للأسرة الريفية العراقية من منظور صياغة القرار تمر بطريق طويل لتتمثل الطرق الحضرية للتفكير والتصرف، ونسلم هنا بأن هناك بعض الغموض يتعلق بوجود قضايا لا نهاية لها ومسائل تتعلق بمرحلة انتقالية» [3]

أما ما يتعلق بالزواج، فهو ليس محصوراً على الوحدات القرابية أي أنه زواج داخلي (endogamy). فكما ذكرنا أن الزواج هنا، على أساس العرض المالي المقدم وإن لم يكن يفرض الزواج على المرأة الغجرية، ولها الحرية في أغلب الأحيان، في اختيار الشريك، ولكن هذه النزعة (المادية) البحتة موجودة بالدرجة الأولى عند الفتاة. ونرى أن هذا ناتج عن التنشئة الاجتماعية، خصوصاً أن الفتاة الغجرية تبدأ وبسن مبكرة بالتدريب أو العمل مع أهلها على ممارسة الرقص والغناء. وتبدأ منذ الطفولة بمحاكاة الراقصات والمطربات وتقليدهن في كل شيء تقريباً.

وقد لاحظ الباحث ذلك بصورة مركزة لدى تلميذات وتلاميذ مدرسة الإصلاح الابتدائية التابعة لقرية الغجر في الفوار. وتقصى ذلك

١- زايتلن، ارفنغ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمود عودة وإبراهيم عثمان، طبع دار ذات السلاسل، كويت، ١٩٨٦، ص ١٢٢.

٢- راجع سعدي الرويشدي، انثروبولوجيا الوطن العربي، مطابع التعليم العالي، الموصل، ١٩٩٠، ص ١١٤.

3- Al-Nouri. Qais. Iraqi rural woman's participation in domestic decision - making. Journal of Comparative Family Studies. vol. XXIV. No. 1. 1993. P. 95.

بمقابلته للتلامذة وملاحظته واستطلاعه آراء معلمي المدرسة. وقد تحدث حالات النهوة [1] ولكن بصورة قليلة ويلعب فيها ابن العم الذي يمتلك سطوة وتأثيراً كبيراً على أهله وأهلها، كما أن الغرض الرئيس من ذلك أن يكون ابتزاز المال!! حيث يأخذ مقابل السكوت عن هذه الزيجة ثمناً من المال.

وعموماً، فإن العلاقات القرابية تتسم بالضعف وقد بدأت بالتحلل، والدليل على ذلك هو ضعف الالتزامات التي كانت قائمة بين أفراد العشيرة. وأيضاً مما يؤكد ذلك أن المختار بدأ يأخذ دوراً أكبر من رئيس الجماعة القرابية أو شيخ العشيرة. وكذلك أن الكثير من أبناء المجتمع الغجري خصوصاً صغار السن والأحداث يجهلون اسم عشيرة آبائهم أو أمهاتهم أو الاثنين معاً.

أما مصطلحات القرابة فهي مشابهة، تماماً، لما يستخدمه سكان العراق، كالمصطلحات الخاصة (أب، أم، أخ، أخت، ابن) ومصطلحات القرابة الوصفية للأقارب الأبعد مثل العم (أخو الأب) والخال (أخو الام)...الخ. وتستخدم أيضاً نعوت النداء هذه لبعض الأقارب من وحدات قرابية أوسع أو من الناس العامة وتستخدم هذه تأدباً واحتراماً، مثل (عمي، خالي، أو أعمامي، أخوالي...الخ). وتستخدم نعوت نداء بأن ينادي الشخص (بأبي فلان) يطلقها اسم أكبر أبنائه أو بناته ولا فرق بين أن ينادى باسم الابن أو البنت. فالنداء حسب الأكبر وهذا خلاف ما هو عليه لدى معظم العشائر العراقية غير الغجرية مثال العشائر في واحة شثاثة العراقية. [2]

وينطبق أيضاً نظام التكنية الذي يستخدمه العراقيون مثلاً أن يكنى علي بـ (أبو حسين) أو العكس. وهكذا مع باقي الأسماء المتداولة بهذا الشأن.

١- اعتراض ابن عم البنت على زواجها من شخص خارج دائرتهم القرابية يتطلب الأمر رضاه، هنا، ويؤخذ تهديده واعتراضه على محمل الجد في الغالب.

٢- راجع علاء الدين البياتي، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، سبق ذكره.

والأمر نفسه نجده في الالتزامات تجاه العشيرة حيث يضعف الالتزام بالثأر ودفع الدية والالتزام بالنهوة والاشتراك بالرأي ومساعدة فقراء العشيرة كأمثلة للالتزامات العشائرية المتعارف عليها في العراق، مثلاً، وعموم مجتمعات المنطقة ذات نمط العيش البدوي والريفي وحتى المديني أحياناً.

ويكاد يبرز هنا الافتقار إلى روح المساعدة تجاه الفقراء بصورة عامة للغجر من العشيرة والأمر يعني غياب التكافل الاجتماعي. ونرى لذلك سببا هو ضعف النزعة القرابية وانتفاء الحاجة إليها، كما أن السبب الآخر هو ضعف الوازع الديني الذي يدعم ذلك، وأيضاً ضعف الوعي والاطلاع على الرسالة الإنسانية السمحاء التي يتوجب على كل شخص أن يحملها والتي تنادي بها، الآن، جمعيات حقوق الإنسان والمنظمات الإنسانية.(١)

وتظهر الدراسة الميدانية أن حدود الجماعة القرابية التي يلتزم معها أرباب الأسر في جوانب الثأر، تتقلص في منطقة الكمالية عنها في مناطق الغجر الأخرى ومنها الفوار تحديداً، ففي الكمالية تقف أعلى نسبة في حدود أقرباء الدرجة الرابعة أي مع أبناء العمومة والخؤولة. أما في الفرار؛ فإن النسبة الأعلى هي (٤٣٪) تقف عند حدود العشيرة، وكما ذكرنا، فإن العشيرة بمفهومهم اصغر حدودا مما نعرفه من مفهوم لها كما تعني عندهم أحياناً الجماعة الغجرية الموجودة في هذه المنطقة.

ولا تشترط الأسر الغجرية السكن بالقرب من أقاربها، كما أظهرت الدراسة الميدانية، إنما تتفاوت بدرجة الضعف تقريباً ارتفاعاً في الفوار عنها في الكمالية وبنسبة (١٣- ٣٠,٤٪) فقط من مجموع أسر عينة البحث.

إن من الممكن أن تكون أسباب ذلك الفارق أن العلاقات في الفوار أكثر قوة نسبياً، كما أن صعوبة شراء الدور أو الايجار لتحقيق هذا الشرط في الكمالية أدى إلى هذه النتائج.

١- لاحظ البيان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة في ١-١٢- ١٩٤٨، مطبعة المعارف، بغداد.

الأسرة (Household) في مجتمع الكاولية:

يحدث دائماً، خلط ولبس كبيرين بين مفهومي العائلة (Family) والأسرة (Household)، وقد تعددت آراء ووجهات نظر الباحثين والمهتمين بذلك.

ويرى علماء الديموغرافيا أن العائلة هي وحدة بشرية تتكون من شخصين أو أكثر تجمع بينهم رابطة القرابة أو الزواج، أو التبني، ويعيشون معاً ولهم ميزانية مشتركة. [1]

أما الأسرة فهي مجموعة أفراد (سواء كانوا ا مرتبطين أم لا) يعيشون معاً ويشتركون في الطعام وبقية ضرورات المعيشة أو شخص واحد فقط، يعيش بمفرده في وحدة سكنية مستقلة. [2]

ولدى علماء الانثروبولوجي أن العائلة[3] هي الخلية الاجتماعية التي تتكون من الأب والأم وأولادهما.

وهي تتضمن جميع أنواع وأشكال العائلة ويقسمونها إلى: العائلة النواة (Nuclear family) (تتكون من الأبوين وأبنائهما غير المتزوجين)، وتسمى الأولية أيضاً.

والعائلة الكبيرة المعقدة والمركبة (Compound family)، وينقسم هذا النوع إلى نمطين أساسيين هما العائلة الممتدة (Extend family)، ونمط العائلة المعقدة (Complex family).

أما مفهوم الأسرة فهو يشير إلى ما نطلق عليه بالعائلة الأولية والنواة أو البسيطة. [4]

١- علي، يونس حمادي، مبادئ علم الديموغرافيا، جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص ٥٩.
٢- المصدر نفسه، ص ٣٥٩.
٣- للمزيد انظر: بيلز رالف وهاري، هاري، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، ج١، ترجمة محمود الجوهري، دار النهضة، مصر، ١٩٦٥.
٤- البياتي، سبق ذكره، ص ص ٣٩٦-٣٩٧.

ولدى علماء الاجتماع، فإن تعريف العائلة (Family) وكما جاء في كتاب العائلة لكل من بيرجس ولوك، بأنها: جماعة من الأفراد تربطهم روابط قوية، ناتجة من صلات الزواج والدم والتبني، وهذه الجماعة تعيش في دار واحدة وتربط أعضاءها – الاب، الام والابناء- علاقات اجتماعية أساسها المصالح والأهداف المشتركة. (١)

وفي اللغة العربية؛ فإن المصدر (عيل) كجيد وجمعه عيال كجياد واعل الرجل كثرت عيله، فهو معيل والمرأة (معيلة). (٢)

أي أن العائلة هي وحدة اجتماعية تعتمد، أساساً على تكامل المعيشة بين الأب والام وأبنائهما، وبهذا فالتعريف قاصر على العائلة النواة سابقة الذكر. ونحن هنا نأخذ بالتعريف الأول للديموغرافيين، أما الأسرة في اللغة العربية فقد ورد في قاموس الصحاح (أسرة الرجل أي رهطه لأنه يتقوى بهم).(٣)

أي أن الأسرة هم الأتباع وليس أن تربطهم علاقة النسب أو القرابة.

وهذا التعريف، أيضاً، ينطبق على تعريف الديموغرافيين. وسنستخدم مصطلح الأسرة هنا لأن المجتمع الغجري وبسبب الطبيعة المعيشية فإنه يتكون من أسر وذلك كون (العائلة تضم في كنفها أشخاصاً قد يكونون من الأقرباء أو من المتغجرين أو من المستخدمين عندهم أو ممن تبنوهم.

نادراً ما تجد العائلة النواة بشكلها المعروف تعيش بشكل منفرد وببيت مستقل وذلك بسبب صعوبة تكاليف المعيشة وطبيعة مهنهم التي تحتاج إلى الجماعة (كالفرقة الموسيقية والمغنين والراقصات).

كما أن عملهم هذا أو بعض الأعمال الأخرى التي سبقت الإشارة إليها مثل (البغاء والسمسرة به) تحتاج إلى التكاتف وقوة الجماعة وذلك لحماية أنفسهم ضد اعتداء أو تجاوزات الزبائن.

١- دنكن، ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان الحسن، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص ص ١٣٩-١٤٠.

٢- الرازي، سبق ذكره، ٤٦٦.

٣- المصدر نفسه، ١٦.

توصف الأسرة بأنها : منظومة معقدة تنطوي على إمكانات ثقافية واجتماعية تتطلبها عمليات التنمية.[1]

ويرى الأستاذ الدكتور قيس النوري أن هذه المنظومة (الأسرة) تؤدي كل الوظائف الاجتماعية التي تتلخص فيها أهداف المجتمع الرئيسة وهي[2]:

١- وظيفة الإنجاب.

٢- حفظ الإرث الثقافي وتمريره للأجيال المتعاقبة، من خلال تطبيع الأفراد وتصييرهم على وفق ثقافة المجتمع المتوارثة تاريخياً.

٣- تجري في الأسرة عمليات التكافل الاقتصادي بجوانبه الإنتاجية الرئيسة كونها نواة تنبع منها الأشكال الرئيسة للنشاط المعيشي البشري.

٤- تؤدي أدواراً تاريخية في تطوير الوسائل التقنية المختلفة.

٥- إن للأسرة أهمية مركزية في تمثيل شبكة الروابط الاجتماعية والإنسانية التي تجسدها قرابياً.

٦- وتتبلور في الأسرة الأطر السياسية والقانونية، التي تدعم وحدة المجتمع وتحميه من عوامل التفكك والتحلل.

٧- دور الأسرة في ضمان انسيابية الأنشطة الدينية والطقوسية في المجتمع.

٨- على الأسرة تقع مسؤولية تنظيم الجانب الترويحي والإبداعي والجمالي والفني في حياة الأسرة لأنها تعدهم منذ الطفولة المبكرة بالشكل الذي يهيئهم للإفادة من أويات فراغهم.

ولهذا فممكن أن توصف الأسرة بأنها صورة مصغرة للمجتمع الأكبر.[3]

١- النوري، قيس، الأسرة مشروعا تنمويا، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤، ٥.

٢- المرجع نفسه، ٥-٦.

٣- المرجع نفسه، ٧.

إذن، لما كان هذا دور الأسرة وهذه وظائفها وفوائدها؛ فإن خطرها يوازي فوائدها هذه، فيما إذا كانت غير صالحة أو أساءت التربية والتوجيه. ويمكن أن تكون الأسرة هي بؤرة الانحراف وقاعدة الإجرام في حالة كونها أسرة منحرفة.

حجم الأسرة:

إن عبارة حجم الأسرة تعني، بسهولة، مجموعة الأفراد المنضوين تحت لواء أسرة معينة، وليس شرطا أن يرتبطوا بعلاقات قرابة أو نسب، وهنالك عوامل تؤثر في حجم الأسرة منها: الخصوبة والوفيات والزواج والتركيب النوعي (الجندر) والمهنة ودورة حياة العائلة وغيرها.

وتشبه الأسرة الغجرية الأسرة العراقية التقليدية بكبر حجمها لأسباب منها تعدد الزوجات.[١] والإقامة المشتركة للأبناء المتزوجين.

جدول - ٢- التوزيع التكراري لعدد أفراد أسر العينة في منطقتي الدراسة.

الفئات	التكرار	التكرار
[illegible]	[illegible]	[illegible]
٧-٩	١٢	١٨
[illegible]	[illegible]	[illegible]
١٣-١٥	١١	٥
[illegible]	[illegible]	[illegible]
١٩-٢١	٣	-
[illegible]	[illegible]	[illegible]

١- الرويشدي، سعدي فيضي، أنثروبولوجيا الوطن العربي، مطابع التعليم العالي، الموصل، ١٩٩٠، ص ١١٣.

يتضح من معطيات الجدول أعلاه أن التفاوت ليس كبيراً، بين منطقتي الدراسة، في حجم الأسرة. وقد كان مقدار الوسط الحسابي لمنطقة الكمالية (١٠,٢) أفراد وذلك من عدد أفراد أسر المبحوثين في المنطقة وبانحراف معياري قدره(٤,٢).

أما بالنسبة لمنطقة الفوار فقد كان الوسط الحسابي لعدد أفراد أسر المبحوثين فيها هو(٩) أفراد. وبانحراف معياري قدره(٣).

إن هذا يعني ارتفاع حجم الأسرة الغجرية بصورة عامة، وهو كبير جداً، مقارنة بحجم الأسرة في العالم[1]

وبصورة خاصة في منطقة الكمالية، وقد ظهر أن أسباب ارتفاع حجم الأسرة الغجرية في منطقة الكمالية راجع إلى ما يلي:

١- إنها منطقة جذب بالنسبة للغجر، وذلك بسبب توفر فرص العمل وذلك لموقعها المتاخم للعاصمة بغداد. وحيث تتوفر في بغداد (الملاهي الليلية والمطاعم والنوادي والقاعات التي تنظم الحفلات). كما أن انفتاح المجتمع البغدادي هيأ لهم فرص العمل بصورة أكثر. وبهذا فإن كثيراً من أقارب غجر الكمالية أو المشتغلين منهم أتوا إلى الكمالية وسكنوا سكناً مشتركاً مع عوائل من غجر الكمالية.

٢- ارتفاع أسعار العقارات ببغداد يؤدي إلى صعوبة شراء مساكن جديدة كما أن ارتفاع أسعار المواد الإنشائية المفاجئ بسبب ظروف الحصار الحالية على العراق أدى إلى صعوبة بناء مساكن جديدة وبالتالي صعوبة الانشطار العائلي.

٣- كما أن هناك تضييقاً من العرب (غير الغجر) المجاورين، على توسع دور الغجر في المنطقة، وأيضاً أن هناك قراراً من الحكومة يقضي بعدم تمليك

١- للاطلاع والمقارن راجع كتاب د. يونس حمادي، مبادئ علم الديموغرفيا، جامعة الموصل، ١٩٨٥.

غير المسجلين ببغداد في تعداد عام ١٩٧٧ فما دون عقاراً في بغداد.[١]

وبعكس ذلك كان حجم الأسرة في الفوار أصغر وذلك راجع، إضافة إلى فارق ما ذكر في السابق، إلى سهولة بناء المساكن حيث تكون التكاليف أقل والضوابط الحكومية أقل أيضاً. لأن نمط البناء هو من الطابوق والأسمنت أو الجص والسقوف باستخدام حديد (الشيلمان) والطابوق أو بخشب القاواق والباريات.[٢]

في ما يتعلق بطبيعة بنية الأسرة الغجرية من (أرباب الأسر والزوجات والأبناء والأقارب) طبقاً إلى عينة الدراسة الميدانية، يتضح لنا أن مجموع الذكور في منطقة الكمالية بلغ (٢٧١) وبنسبة (٥٣٪) من المجموع الكلي لأفراد الجماعة المبحوثة من عينة الدراسة في منطقة الكمالية وبلغ مجموع الإناث (٢٣٧) نسمة وبنسبة (٤٧٪).

أما بالنسبة لمنطقة الفوار فقد بلغ عدد الذكور (١٩٧) وبنسبة (٥٠,٤٪) مقابل (١٩٤) نسمة عدد الإناث وبنسبة(٤٩,٦٪). وبلغ مجموع الأبناء (٣٢٠) بنسبة (٦٣٪) لمجموع أفراد العينة في الكمالية. وفي منطقة الفوار بلغ مجموع الأبناء (٢٧٠) وبنسبة (٦٩٪) لمجموع عينة الدراسة في المنطقة.

أما مجموع الأقارب المقيمين مع أسر أقربائهم في منطقة الكمالية فقد بلغ (١١٢) مقسمين إلى (٦٢ من الذكور) و (٥٠ من الاناث)، وبنسبة (٢٢٪) من مجموع عينة الدراسة في منطقة الكمالية. ويقابلها عدد الأقارب في منطقة الفوار (٥٠ شخصا) مقسمين إلى (٢٨ من الإناث) و(٢٢ من الذكور). وبنسبة (١٣٪) من مجموع أفراد عينة الدراسة في المنطقة.

ويتضح من كل ذلك ما يلي:

١- القرار يشمل جميع المواطنين العراقيين وليس مقصورا على الغجر.

٢- الباريات: جمع ومفردها بارية وهي حصيرة تنسج من شرائح القصب بعد تقطيعه أو دقه، طوليا، وتصنع هذه في مناطق الاهوار بجنوبي العراق.

١- إن نسبة النوع (الذكور إلى الإناث) في منطقتي الدراسة تكاد تقترب من نسبة النوع بالنسبة للمجتمع العراقي.

٢- إن نسبة الأقارب الموجودين مع أسر أقربائهم مرتفعة جداً أو تكون في الكمالية أكثر منها في الفوار وهي عائدة لأسباب عدة منها :

إن معظم هؤلاء الأقرباء مقيمون لأجل العمل، وذلك بسبب توفر فرص العمل في منطقة الكمالية بسبب موقعها وارتفاع أسعار أيجار المساكن وانحسارها بالنسبة لسكن الغجر في الكمالية. وإن بعض هؤلاء الأقرباء هم من الأصهار ويقيمون مع أهل زوجاتهم والذي يسمى في العراق (زواج القعيدي)، وقد وجد الباحث مثلاً لذلك (ثلاثة أصهار) يقيمون في بيت أهل زوجاتهم. وأيضاً مما يجدر ذكره أن بعض مما يدعونهم أقارب هم من المتغجرين.

كما أن هناك بعض المرتزقين في مناطق الغجر أو المغتربين عن واقع حياتهم وفضلوا العيش في مناطق الغجر أو من بعض مَنْ تبناهم الغجر وهم أطفال.

المرأة رب أسرة في مجتمع الكاولية :

طبقاً للدراسة الميدانية، ظهر أن هناك عدداً لا بأس به من أرباب الأسر هم من الإناث وفي منطقتي الدراسة حيث كان عددهن في الكمالية (١٣ امرأة) وبنسبة (٢٤٪) من مجموع العينة. وفي منطقة الفوار كان عدد النساء من أرباب الأسر هو (١١ امرأة) وبالنسبة نفسها لمنطقة الكمالية.

إن ذلك ناتج عن تعدد حالات الطلاق الناجم عن الزيجات الفاشلة وأيضاً عن أهمية دور المرأة في كونها مصدر دخل وإعالة للأسرة.

وإن الفئة العمرية (٣٠-٣٤) هي أكثر عدداً من حيث انتماء أرباب الأسر لدى الغجر، وإن السبب هو أنها تمثل بداية الاستقلال بالنسبة للعوائل وبداية الانشطار العائلي.

جدول -٣- الحالة الزواجية لرب الأسرة وصلته بها (الأسرة).

- الكمالية

	٢٢	-	٦	-	٢٨	٥٢
	-	-	٦	٢	٨	١٥
	٢	٦	١	٢	١١	٢٠
	٤	٢	-	١	٧	١٣
	٢٨	٨	١٣	٥	٥٤	١٠٠
	٥٢	١٥	٢٤	٩	١٠٠	١٠٠

- الفوار

	٢٠	-	٥	-	٢٥	٥٤
	-	-	٥	١	٦	١٣
	٢	٦	-	١	٩	٢٠
	٣	٢	-	١	٦	١٣
	٢٥	٨	١٠	٣	٤٦	١٠٠
	٥٤	١٧	٢٢	٧	١٠٠	١٠٠

* المقصود متزوج حالياً(وقت الدراسة)

الحالة الزواجية:

من بيانات الجدول أعلاه تظهر النسب متقاربة وفي منطقتي الدراسة، وقد اتضح ما يلي:

١- إن أغلب أرباب الأسر هم من الآباء وهذا يتماشى مع سلطة الأب أي أنه مجتمع أبوي السلطة (Patriarchal society).

٢- يأتي في المرتبة الثانية من أرباب الأسر، الأخوة وهم، عموماً، يتكونون من الأخ الأكبر في الأسرة، وذلك نتيجة لفقدان الأب بسبب الوفاة أو غيابه الطويل، فإن الأخ الأكبر يكون مسؤولاً عن الأسرة، وهو تعبير عن السلطة الأبوية أيضاً ونوع من التكافل الاجتماعي والتماسك الاجتماعي.

٣- وإن لم يكن هناك أخ أكبر قادر على تكفل المعيشة أو إدارة الأسرة؛ فإن الام تكون هي ولي الأمر ورب الأسرة، وهو تأكيد لدور المرأة والأم خاصة.

٤- وما يؤكد دور المرأة ومكانتها أيضاً، هو أن تكون ولي الأمر ومعيلاً لعائلتها أو لأسرة كبيرة، وهذا، لاشك، ناتج عن دورها الاقتصادي كونها فرداً منتجاً وذا دخل اقتصادي يعتمد عليه بالدرجة الأولى في المجتمع الغجري.

٥- ظهرت نسبة مرتفعة نسبياً من المطلقين والأرامل من أرباب الأسر وخاصة من النساء (الأم والأخت)، وذلك بسبب كون أن معظم الزيجات التي تمت لهن كانت لأغراض مادية، حيث يتم تزويج بعض فتيات الغجر لأشخاص من غير الغجر مقابل صفقة مادية كبيرة، وتنتهي هذه الزيجة بوقت قصير بعد إشباع النزوة والغريزة الجنسية لهذا الشخص، لتعود هذه

الفتاة إلى أهلها مطلقة حتى وإن أنجبت طفلاً أو أكثر، حيث أن هذه الزيجات لم تكن تبنى على أساس إقامة عائلة.

جدول - ٤- عدد مرات الزواج لأرباب الأسر. - الكمالية

	١٨	٥	٢٣	٥٠
	١٠	٣	١٣	٢٨
	٣	٢	٥	١١
	٣	١	٤	٩
	-	-	-	-
	١		١	٢
	٣٥	١١	٤٦	١٠٠

-الفوار

	١٤	٤	١٨	٤٥
	٩	٣	١٢	٣٠
	٤	٢	٦	١٥
	٢	١	٣	٧،٥
	١	-	١	٢،٥
	-	-	-	-
	٣٠	١٠	٤٠	١٠٠

من معطيات هذا الجدول يتضح أن نحو نصف عينة البحث من أرباب الأسر المتزوجين كان عدد مرات زواجهم مقتصراً على مرة واحدة. وهذا يعني أن باقي النسبة قد تعدت المرة الواحدة إلى مرتين فأكثر وهذه نسبة مرتفعة ولاشك أنها تدل على أمور عدة منها:

١- التشجيع على تعدد الزوجات، وقد يكون بعضها غير شرعي ولا يستمر طويلاً، وقد وجد الباحث أحد أرباب الأسر من كبار السن في الكمالية قد تزوج سبع مرات في حياته كما أن تعدد الزوجات له أغراض اقتصادية.

٢- كثرة حالات الطلاق بسبب الزيجات الفاشلة وهو ما أشار إليه الباحث سابقاً.

٣- تقارب منطقتي الدراسة في هذا المجال يدل على وحدة تفكير الغجر في هذا المجال وتشابه ظروفهم نسبياً.

وتظهر البيانات أن هناك تعدد زوجات وقد أظهرت الدراسة الميدانية ذلك حيث يجمع بعض الغجر أكثر من زوجة واحدة في بيت واحد أو أكثر أن كانت حالته المادية تسمح بذلك وهو ما يبيحه الشرع الإسلامي على أن لا يتم الجمع بين أكثر من أربع زوجات في آن واحد. ولكن والحالة الاقتصادية الناجمة عن الحصار الاقتصادي لا تسمح بذلك؛ فإن هذه الحالة (تعدد الزوجات) انحصرت الآن.

جدول - ٥ - العمر عند أول زواج.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	١	٢	٣	٦،٥	-	٢	٢	٥
[illegible]	٣	٥	٨	١٨	٤	٤	٨	٢٠
[illegible]	١٩	٤	٢٣	٥٠	١٧	٤	٢١	٥٢،٥
[illegible]	١٠	-	١٠	٢٢	٨	-	٨	٢٠
[illegible]	٢	-	٢	٤،٥	١	-	١	٢،٥
[illegible]	٣٥	١١	٤٦	١٠٠	٣٠	١٠	٤٠	١٠٠

من الجدول أعلاه تظهر البيانات أن النسبة الأعلى لسنوات أول زواج من أعمار أرباب الأسر تقف عند العمر من (٢٠- ٢٥) سنة عند الذكور وفي كلتا منطقتي الدراسة، أما بالنسبة للنساء فإن العمر (١٥- ١٩) سنة تأتي بالمرتبة الأولى، وتأتى بعدها بالمرتبة الثانية الفئة العمرية (٢٤- ٢٩) سنة بالنسبة للرجال والفئة (٢٠- ٢٤) سنة بالنسبة للنساء.

ويلاحظ من البيانات أيضاً زواج بعض ربات الأسر (النساء) من العينة في عمر مبكر (سن ١٥) وهذا الزواج يتم، دائماً، مقابل مهور، بل (صفقات مالية كبيرة).

الحالة التعليمية للكاولية:

إن للمستوى التعليمي لأرباب الأسر أهمية كبيرة في تربية وتوجيه الأبناء وإدارة الأسرة وهو مقياس للمستوى المعيشي والاقتصادي، والشخص المتعلم له قابلية جيدة للتكيّف، أيضاً.

وقد أظهرت معطيات الدراسة ما يلي:

١- ارتفاع نسبة الأمية، عموماً، لدى أرباب أسر الغجر.

٢- تقل نسبة الأمية في منطقة الكمالية عنها لدى منطقة الفوار كنموذج لباقي مناطق الغجر الأخرى في العراق بالنسبة لأرباب الأسر وذلك بسبب استقرار الغجر في المنطقة الأولى منذ فترة طويلة، الأمر الذي يعني إمكانية فرصة التعليم ولو بنسبة قليلة. كما أن مما ساعد على فرصة التعليم هو تحسن الأحوال المعيشية وتوفر الخدمات وقربها (الكمالية) من بغداد.

٣- إن أعلى مستوى من التعليم لدى أرباب اسر الغجر هو الدراسة الابتدائية وهو (٥ أشخاص) من الذكور وامرأة في الكمالية ويقابلهم اثنان في الفوار.

يمكن الحكم على أن أكثر أبناء الغجر مستهلكين غير منتجين وذلك طبقاً للبيانات التي أشارت إلى أن ما مجموعه (٢٠١) من الأبناء هم دون سن (١٥ سنة) أي أنهم دون سن العمل القانوني أو الاعتماد على النفس وهذا يعني أنهم اتكاليون على أسرهم.

ولكن وبعيداً عن التعامل مع الأرقام، نقول: إذا كان هذا الكلام ينطبق على الذكور؛ فإننا نستثني الإناث لأنهن يمثلن القاعدة الاقتصادية التي يرتكز عليها الاقتصاد الغجري، حيث يتم إشراك الفتيات بأعمار صغيرة تبدأ من سن (١٠ سنوات) في عروض الرقص. وأما سن الـ(١٤ أو ١٥ سنة) فانه سن النضج وهو قمة العطاء بالنسبة للفتاة الغجرية وأحياناً يتم تزويجها من ذويها مقابل ثمن مرتفع جداً وعادة ما يكون ذلك الرجل غير غجري، علما أن هذه الزيجات فاشلة لتعود بعدها الفتاة (تلبي جميع رغبات الزبائن).

جدول - ٦- توزيع الأبناء حسب الجنس والفئة العمرية في الفوار.

٦-١٠	٣٢	٢٣	٢٥	١٩،٢	٥٧	٢١،١
١٦-٢٠	١٦	١١،٣	٢٠	١٥،٤	٣٦	١٣،٣
٢٦-٣٠	٧	٥	٩	٧	١٦	٦
٣٦-٤٠	٣	٢	١	٠،٧	٤	١،٥
مجموع	١٤٠	١٠٠	١٣٠	١٠٠	٢٧٠	١٠٠

جدول – ٧- توزيع الأقارب حسب الجنس والفئة العمرية في الكمالية.

٠-٥	٤	٦،٥	٣	٦	٧	٦،٣
١١-١٥	٦	٩،٧	٥	١٠	١١	١٠
٢١-٢٥	١٥	٢٤،٢	١٣	٢٦	٢٨	٢٥
٣١-٣٥	٧	١١،٣	٢	٤	٩	٨
٤١-٤٥	١	١،٦	١	٢	٢	١،٧
٥١-٥٥	١	١،٦			١	٠،٨
٦١-٦٥						
٧١-						

إن معظم الأولاد وحتى الذين في سن العمل هم من الإتكاليين على أسرهم والمعتمدين بصورة رئيسة على البنات في معيشتهم.

هناك تقارب واضح بين تركيب فئات الأعمار للأسرة الغجرية في الفوار مع نظيرتها في الكمالية. ونود أن نشير إلى وجود بعض البنات تتعدى أعمارهن الثلاثين سنة أي أكبر من سن الزواج الاعتيادي وهو عائد إلى أسباب منها:

١- إما أن تكون متزوجة ومع زوجها في بيت أهلها أي (زواج القعيدي).

٢- أو أنها مطلقة بسبب فشل معظم الزيجات كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

٣- أو تأخر سن زواجها برغبة أو إذعاناً لإرادة أسرتها كي تعمل لصالح الأسرة.

التركيب النوعي للأقارب:

يلاحظ من الجدول أعلاه أن الفئة العمرية (٢١-٢٥ سنة) احتلت المرتبة الأولى بين الفئات العمرية للأقرباء وقد كان عدد أفرادها من الجنسين (٢٨ نسمة) وبنسبة (٢٥٪) وتلتها الفئة العمرية (٢٦-٣٠ سنة) وبنسبة (٢١,٤ ٪). وثم الفئة (١٦-٢٠ سنة) بنسبة (١٣,٤ ٪).

إن هذه الفئات هي قمة النشاط والعمل والعطاء في المجتمع الغجري والعالم أيضاً، وقد اتضح لنا أن معظم هؤلاء الأقرباء مقيمون، هنا، في الكمالية لغرض العمل حيث الفرص متوفرة هنا أكثر، وقد هاجر بعض هؤلاء من مناطق الغجر الأخرى في المحافظات.

جدول – ٨- توزيع الأقارب حسب الجنس والفئة العمرية للأقارب في الفوار.

٠-٥	٢	٩	٢	٧	٤	٨
١١-١٥	١	٥	١	٤	٢	٤
٢١-٢٥	٤	١٨	٨	٢٨،٦	١٢	٢٤
٣١-٣٥	٣	١٣	٢	٧	٥	١٠
٤١-٤٥	٢	٩	١	٤	٣	٦
٥١-٥٥	-		١	٤	١	٢
٦١-٦٥						
٧١-						

من الجدول أعلاه نجد أن اغلب الأقارب المقيمين مع الأسر الغجرية في منطقة الغجر في الفوار هم من الفئة العمرية (٢١- ٢٥ سنة) وبعدد (١٢ شخصاً) مقسمين إلى (٤ ذكور) و (٨ إناث) وبنسبة (٢٤ ٪) تليها الفئة (٢٦-٣٠ سنة) وبنسبة (٢٢ ٪) وثم الفئة (١٦-٢٠ سنة).

وهذه الفئات هي المرحلة العمرية اليانعة والقوة الاقتصادية الناشطة بالنسبة للغجر وذلك لأن مهنهم تعتمد على عمر الشباب وخاصة على الفتيات.

وقد ظهر، أيضاً، أن عدد الإناث من الأقارب أكثر من عدد الذكور في المنطقة حيث بلغ عددهن (٢٨ نسمة) وبنسبة (٥٦ ٪) عدد الأقارب المقيمين مع أسر الغجر في المنطقة.

ويلاحظ ارتفاع نسبة النساء من الأقارب في الفوار عما هو عليه في منطقة الكمالية. وكما أشرت أن معظم هؤلاء الأقارب هم من المتغجرين وخاصة النساء فمعظمهن بائعات لذة (عاهرات) قد هجرن بيوتهن ومناطقهن والتجأن إلى مناطق الغجر لأسباب مختلفة، وأن مرد الاختلاف بين المنطقتين من حيث زيادة عدد النساء ممن اعتبرن قريبات للأسر هو أن الفتيات المتغجرات يرغبن في مناطق الغجر الأخرى غير الكمالية، لأنها منعزلة وبعيدة عن أعين الشرطة وعن المدن.

المستوى التعليمي للأبناء والأقارب:

يتميز المجتمع الغجري، عموماً، بالأمية الأبجدية والأمية الثقافية وإن كان قد طبق عليهم قانون التعليم الإلزامي ومحو الأمية في العراق ومنذ عام ١٩٧٨ وحتى الآن، ولكن مرد الأمية والجهل هذا عائد إلى ما يلي:

١- عدم استقرار الغجر وحتى وقت قريب حيث أن حركات تنقلات الأسر مستمرة من مكان إلى آخر من مناطق الغجر إما لأسباب ذاتية أو

خارجة على إرادتهم مثل التهجير المقصود الذي تفرضه الدولة عليهم، كما حدث لأماكن استيطانهم في (أبو شعير بالمسيب بمحافظة بابل، والشراكة الغربية بالمثنى، والسحاجي في الموصل، والعثمانية الأميرية والفجر في محافظة ذي قار، وأبي غريب ، وحي الطرب في الزبير بمحافظة البصرة).

٢- بعد المدارس عن أماكن استيطانهم.

٣- النبذ الاجتماعي (Social Ostracism)، والاحتقار الذي يواجهه أبناؤهم من زملائهم والمعلمين في المدارس التي يدخلونها.

٤- ضعف الدافع للتعليم بسبب استغنائهم عن القراءة والكتابة كون معظم مهنهم لا تحتاج إلى ذلك. وأيضاً استبعادهم لفكرة العمل في مهنة حكومية أو لدى غير الغجر.

٥- ضعف الوعي الأسري عامة والتنشئة الاجتماعية الصحيحة للأبناء وتوجيههم وحثهم على مواصلة الدراسة. كما ان الأسرة تقصر، عادة، في حق أبنائها التلاميذ، وقد وجد الباحث مدى التقصير الشديد من ذوي تلاميذ مدرسة الإصلاح الابتدائية في قرية الغجر في الفوار، وأن معظم التلاميذ في حالة يرثى لها حيث ملابس بعضهم رثة ومظهر بعضهم الآخر رديء ولا توجد عناية لدى بعضهم بأمور النظافة، كما أنهم يفتقرون لدافع الاعتداد بالنفس والجماعة، ويشعرون بنقص تجاه غير الغجر مع أن لدى بعضهم دافع التعليم والتطلع للمستقبل والاندماج بالمجتمع الأوسع.

إن معظم أبناء الغجر يتهربون من المدرسة في المرحلة الابتدائية خاصة وفي معظم مناطق الغجر في العراق عدا منطقة الكمالية حيث يوجد بعض الدافع أكثر من المناطق الأخرى وذلك بسبب وقوعها ببغداد العاصمة والاحتكاك والتفاعل المستمر بسبب الاتصال الحضاري والذي نتج عنه تكيّف أكبر من غيره في مناطق الغجر الأخرى.

وفي منطقة الفوار لم يجد الباحث أحدً قد حاز على شهادة الدراسة المتوسطة حيث أن أعلى مستوى من التعليم يقف عند الرسوب أو ترك الدراسة في الثالث المتوسط أو مادونه.

أما في منطقة الكمالية؛ فإن الأمر مختلف نوعاً ما، حيث تجاوز بعضهم هذه المرحلة لكنهم قلة قليلة.

الخلاصة:

١- ظهر أن حجم الأسرة الغجرية في منطقة الكمالية يصل إلى (١٠,٢ أفراد) بينما كان حجم نظيرتها في الفوار (٩ أفراد). وقد ذكرنا أن هذا الحجم والتفاوت عائد إلى صعوبة الانشطار العائلي بسبب غلاء المعيشة بصورة عامة، وغلاء الدور من شراء وإيجار في الكمالية، كما أن طبيعة مهنهم تحتاج إلى قوة وكثرة عددية لمواجهة اعتداءات وتجاوزات الزبائن، وكذلك سكن الإقامة المشتركة مع أسر أقربائهم والسبب الأخير هو أعداد من المتفجرين (العاهرات والعاملين عند الغجر).

٢- إن الأسرة الغجرية مركبة وطبيعة السكن مشترك.

٣- إن الأمية الأبجدية والثقافية [1] تسود المجتمع الغجري برغم توفر المدارس (الابتدائية) قرب تجمعاتهم السكنية، وإن أعلى المستويات التي بلغها الغجر في التعليم هو تجاوز المرحلة الابتدائية لكثير منهم، ولم تظهر الدراسة المسحية أن أحداً قد تجاوز الدراسة المتوسطة.

٤- إن منطقة الغجر في الكمالية أوفر حظاً من ناحية توفر فرص التعليم حيث المدارس القريبة جداً وبجميع مراحلها وأنواعها (إعدادية، مهنية.... الخ)، كما أن المدارس، هنا، مختلطة للغجر والعرب (غير الغجر) في المنطقة مما يتيح فرصة اكتساب سمات ثقافية (Cultural Traits)، وتفاعل وبالتالي التكيّف، إلى حد ما، مع الثقافة السائدة.

١- يشير مفهوم الأمية الثقافية إلى الجهل العام بمجالات العلم والأدب والتكنولوجيا وسياق الحياة العام (الاتيكيت Etiquette) او ما يسمى بآداب المعاشرة.

نظام الزواج (Marriage) في مجتمع الكاولية :

الزواج هو الرابطة المقدسة والتي يرتبط بموجبها شخصان (رجل وامرأة) [١] لأجل إشباع رغبات عدة لعل أهمها (الغريزة الجنسية، إنجاب الأطفال، تكوين أسرة توفر لهم العيش الأفضل) ثم تمتد مسؤولياتهما إلى أكثر من ذلك ليشبعا رغبة المجتمع الإنساني في حفظ النوع البشري واستمراره وتطمين حاجاته النفسية والاجتماعية.

والزواج نظام اجتماعي يضم عدداً من النظم الأقل تعقيداً والتي يشتمل كل منها مع ذلك على كثير من العناصر والظواهر المتشابكة مثل نظام المهر وشبكة العلاقات الاجتماعية بين الجماعتين القرابيتين اللتين ينتمي إليهما الزوجان.[٢]

والمجتمع الغجري (الكاولية)، كغيره من المجتمعات البشرية، تتوفر فيه هذه الفطرة الإنسانية. وأما ضوابطها ونظمها فهي كما هو عليه في المجتمعات الإسلامية الأخرى وذلك نتيجة تدينهم بالإسلام، ويتخذ من الأعراف والتقاليد العراقية سبيلاً لتطبيق ذلك وهذا ناتج عن الاتصال الحضاري المستمر وتعايشه معهم، حيث يقوم الغجر (الكاولية)، دائماً، بإحياء حفلات الزواج في المناطق المجاورة لهم وفي عموم العراق في الريف والمدينة، فلا شك أن يكون هناك تأثر كبير بطرق الزواج وتقاليده بسبب اطلاعهم على الكثير من عاداته وطرائقه.

ويسود المجتمع الغجري ثلاثة أشكال من الزواج وعلى غرار ما هو موجود في المجتمعات الإسلامية وهي :

١- لقد شرعت بعض البلدان الغربية مثل هولندا بزواج رجل برجل Homosexual وامرأة بامرأة Lesbian.

٢- إسماعيل، فاروق، الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ص ١٣٣-١٣٤.

١- الزواج الأحادي (Monogamy): وهو زواج رجل بامرأة واحدة. وهو السائد،الآن، بسبب ارتفاع المهور وصعوبة تكاليف الحياة المعيشية، كما إن للاتصال الحضاري دورا كبيرا حيث التأثر بالحياة الحضرية التي بات طابعها كذلك...

٢- تعدد الزوجات للرجل الواحد (Polygamy) وهو لا يتعدى أربع زوجات على قيد الحياة ومرتبطات معه بعقد ديني ورسمي، وبالوقت نفسه، وذلك حسب الشريعة الإسلامية. وهذه كانت سائدة حتى فترة قريبة قبل استقرار الغجر، والآن انحسرت إلى نطاق ضيق للأسباب سالفة الذكر.

٣- زواج الأخ بأرملة أخيه (Levirate) وهو شائع بالمجتمعات الأبوية النسب، وكذلك زواج الأخت بأرمل أختها.

إن لمثل هذا النوع وظائف وفوائد عديدة منها:

١- رعاية الأطفال من عمهم.

٢- الحفاظ على ثروة الأخ المتوفى، وذلك بعدم انتقالها مع الأرملة أو الأبناء إلى الزوج الجديد.

٣- يعزز القرابة ويمد الجسور، ثانية، مع الزوجة وأهلها وأبناء المتوفى.

والزواج في المجتمع الغجري لا يقتصر على حدود جماعة أو وحدة قرابية كأبناء العمومة، مثلاً، أو حتى العشيرة، أي ليس داخليًا (Endogamy) وإنما يوجد الزواج الخارجي (Exogamy) وبشكل شائع جداً وخاصة مع غير الغجر وذلك أن الغرض منه مادي بحت حيث يرفع هذا (الغريب) مهراً مرتفعاً جداً، ووصلت بعض مهور الغجريات إلى(مائة وخمسين ألف دينار – نحو ٢٥ ألف دولار) وهذه الزيجات هي صفقات مادية بحتة وتتم برضا الفتيات وهي إما غير شرعية أو عرفية في أغلبها حيث تعود الفتاة إلى

أهلها بعد فترة قصيرة وذلك بعد أن ينقضي غرض الزيجة الأساس ألا وهو إطفاء جذوة الغريزة الجنسية ونزوة الحب والإغراء المؤقتة. ويشترط في الفتاة، دائماً، أن تكون عذراء في مثل هذه الزيجات(راجع فصل التكيّف الاجتماعي - المصاهرة).

ومع أن الزواج الاغترابي أو الخارجي(Exogamy) لا يدعم القرابة ويضعفها لكن كسب المال، في نظرهم، هو الأهم وهذا الجانب ينطبق عليه أشد الانطباق مفهوم التبادل الاجتماعي والذي يفسره العالم بيتر بلاو على أنه:(أفعال الأفراد الطوعية الاختيارية المدفوعة بالفوائد المتوقعة أو التي تحققها من الآخرين بالفعل)[١].

ويتأخر سن الزواج لدى الغجر بالنسبة للذكور خاصة وبالنسبة للإناث(عدا صفقات الزواج التي تتم مع الغرباء وهي فاشلة ووقتية). وعموماً، فإنها تتم في سن مبكرة.

جدول - ٩- العوائق التي تؤخر سن الزواج.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٣٦	١٥	٣	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٣٠	١٢	٤	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

يتضح من بيانات الجدول أعلاه أن ارتفاع المهور هو السبب الرئيس لتأخر سن الزواج حيث بلغت النسبة(٦٦,٦ ٪) في الكمالية، و(٦٥٪) في الفوار، حيث بلغت المهور أرقاماً عالية جداً ومقارنة مع المهور في باقي مناطق العراق.

١- زايتلن، النظرية الاجتماعية المعاصرة، سبق ذكره، ص ١٤٨.

إن سبب ارتفاع المهور، هنا، راجع إلى أن المرأة مصدر دخل اقتصادي هام جداً وليس من السهولة الاستغناء عن هذا المصدر من دون قبض ثمنه.

ويأتي بعد هذا سبب العمل لصالح الأسرة بنسبة (٢٨ ٪) في الكمالية و (٢٦ ٪) في الفوار والنسبة هنا متقاربة في كلتا المنطقتين مما يؤكد (وحدة الغجر).

وقد جاءت الأسباب الأخرى غير المبينة ومنها (إشباع الرغبة الجنسية في المنطقة، ارتفاع تكاليف الحياة، عموماً، عدم الاستقرار وغيرها)، جاءت هذه في المرتبة الثالثة.

ويرى أغلب أفراد عينة الدراسة أن السن المثالي للزواج هو (٢١-٢٥)سنة، وهي كذلك بالنسبة للفتيات وفي كلتا منطقتي الدراسة.

وبعد الدراسة الميدانية واستخدام استمارات المقابلة، اطلع الباحث على أن هناك حرية كبيرة لكل من الشاب والشابة في اختيار شريك حياته وأن مسألة الإكراه في الزواج تكاد تكون غائبة في مجتمع الغجر.

ويجب أن نلفت الانتباه إلى أن بعض الغجر قد يبالغون أو يكذبون في الإجابة تصنعاً وتوافقاً مع ما هو سائد في المجتمع، وذلك تجنباً للإحراج الذي يصادفهم مع غير الغجر.

مراسيم الزواج عند الكاولية :

لا تختلف مراسيم الخطوبة والزفاف والزواج عن مثيلاتها في المجتمع العراقي وخاصة في المناطق المجاورة لتجمعات الكاولية.

وهناك حرية واسعة في الاختلاط بين الجنسين وفي فترة الخطوبة، فعندما يحدث التقارب أو الرغبة في الزواج يفاتح الشاب أهله أو أن يحدث

التشاور بين الشاب وأهله ويتم الاتفاق على تشخيص فتاة للزواج.

تذهب أم الشاب ومعها أخته أو أحد نساء المنطقة أو من الأقرباء إلى بيت هذه الفتاة وتتم المفاتحة بين الأمهات أولاً ويؤخذ رأي الفتاة وإذا أعطت الضوء الأخضر؛ فإن أم الفتى تعود وتخبر والده أو أخاه الأكبر أو ولي أمره ويذهب بجماعة من وجهاء المنطقة إلى بيت أبي الفتاة، وحين تقدم لهم القهوة أو الشاي، فإنهم لا يشربون حتى يحصلوا على عهد بأن ينفذ مطلبهم والغرض الذي جاءوا من أجله. وبعد إعطائهم هذا؛ فإنهم يشربون ويفاتحون بموضوع الخطوبة. وبعد الموافقة التي تتم بعد العلم بموافقة الفتاة بالرضا.

يتم تحديد المهر وتجهيزات الزواج والتي تسمى (جهاز العرس)، وكما ذكرنا، فإن المهر يكون مرتفعاً جداً، خصوصاً بالنسبة للفتاة الجميلة جداً. بعد تحديد موعد الزفاف تتم الاستعدادات وإقامة الحفلة، وقبل موعد العرس بأيام وتسبق يوم العرس الذي يصادف عادة يوم الخميس(أي ليلة الجمعة) وهو يوم مبارك في اعتقاد المسلمين. ولاشك، أنهم يعملون من هذا المنطلق ما يسبق ليلة العرس(ليلة الحناء) أو ليلة(الحنة) كما تسمى وفيها تخضب أكف الخطيبة والخطيب كل في بيته بحضور أهله وأصدقائه وتقام حفلة كبيرة في بيت الخطيب ومثلها على مستوى النساء في بيت الخطيبة.

وفي يوم الزفاف يتم تجهيز الطعام وهو، عادة،(ذبائح من الخراف والعجول ويطبخ الرز والمرق ويتم تجهيز المشروبات الروحية وتنصب، عادة، خيمة لاستقبال الضيوف من الرجال والحفلة التي تقام، ليلاً، وبحضور الجنسين وتتم الزفة بأن يركب العريس والعروس سيارة جنباً إلى جنب وتتبعهم سيارات الأصدقاء والأهل والأقرباء بموكب كبير وبمصاحبة فرقة موسيقية شعبية تعزف طول الطريق حيث يسلكون إلى أقرب مقام أو مزار لولي أو سيد. ففي الفوار تخرج الزفة، في أغلب الأحيان، إلى الديوانية

لقربها وتطوف سيارات الزفة قرب مرقد الإمام أبي الفضل. وتعود تجوب بعض شوارع الديوانية لتعود إلى المنطقة.

ويصاحب الزفة إطلاق نار في الهواء من المرافقين وخارج المدينة عادة، وذلك خشية رقابة الشرطة.

ويتم تسجيل عقد الزواج في المحكمة مسبقاً طبعاً ويعمل عقد ديني آخر عند (السيد) أو (المؤمن) وهو رجل دين ويكون هذا، عادة، من غير الغجر، ويلاحظ،الآن، أن بعض الأشخاص بدا يتقن هذا العمل فيعمله في مناطقهم.

بعد العشاء يتم إدخال العريس إلى عروسه بعد أن يقوده أحد الوجهاء للباب ويستبدل ملابسه في غرفته بعد السلام على زوجته لتقام الحفلة حتى وقت متأخر من الليل، ومنها قيل المثل الشائع عندنا (عرس عند كاولية) ويقصد به أن نوكل العمل لصاحبه أو يقصد به التمادي في شيء ما.

إن دخول الزوج لزوجته في المرة الأولى هذه ترافقه الزغاريد والهتافات مثل : (مبارك عرسك يالهيبة)، (عريس وربعه يزفونه)، (شايف خير ومستاهلها).

وبعد دخول الزوج لزوجته يسلم عليها ويقبل جبهتها، وتقوم الام (أم الزوج) بغسل رجلي العريس والعروس معاً في طشت واحد وتضع رجل العريس فوق رجل عروسته وذلك كي يكون هو سيد البيت المطاع، كما يعتقد.

الخلاصة :

يمكن الوصول إلى خلاصة تتجسد في النقاط التالية:

١- إن النسب في مجتمع الكاولية هو أبوي والإرث والخلافة في خط الذكور .

٢- إن الأسرة المركبة والمشتركة هي النموذج السائد في المجتمع الغجري.

٣- إن للمرأة الغجرية مكانة مرتفعة في الأسرة والمجتمع الغجري وذلك بسبب كونها مصدر دخل وهذا يؤكد الفرضية القائلة (إن مكانة الفرد في الأسرة مرهونة بدوره الاقتصادي). وأيضاً الدلائل الأخرى لذلك هي تفضيل إنجاب البنات على الأولاد. وينطبق هذا على مكانة الأقرباء في الأسرة، حيث أن مكانتهم معلقة على مدى دورهم الاقتصادي في الأسرة.

وقد فسرنا ذلك على أساس طروحات النظرية التبادلية.

٤- إن العلاقات القرابية ضعيفة داخل الوحدات القرابية الأوسع وتكاد تنحصر قوتها داخل الأسرة.

٥- إن مصطلحات القرابة ونماذج الزواج مشابهة لتلك التي توجد لدى الثقافة السائدة (المجتمع العراقي).

٦- تأخر سن الزواج لدى الجماعات القرابية.

٧- تظهر صور التكيّف الاجتماعي في كثير من جوانب أنظمة القرابة ومنها (الزواج الخارجي، استخدام نعوت القرابة والنداء الموجودة لدى المجتمع العراقي –الثقافة السائدة – وأيضاً، نظام التكني والأسماء). وفي نظام الزواج وطقوسه.

٨- يظهر التطابق بين منطقتي الدراسة في معظم جوانب هذا الفصل عدا أن العلاقات القرابية تكون أوسع وأقوى نسبياً في منطقة الفوار عنها في منطقة الكمالية.

الفصل الخامس

النسق الديني

مفهوم الدين

الممارسات الدينية لدى الكاولية

خلاصة الفصل

مفهوم الدين:

الدين في اللغة العربية: اسم عام يطلق على كل ما يتعبد الله به، كما يطلق على معان عدة منها: الملك والسلطان والقهر والطاعة والقضاء والعادة والمذهب والشريعة.

والدين مفرد جمعه أديان. يقال دان بكذا ديانة وتدين له فهو دين ومتدين. ودان ديانة أي أذله واستعبده.

وفي القاموس (قاموس الفيروز آبادي)، الدين، الجزاء أو الآلام والعادة والعبادة والطاعة، والذل والداء والحساب والقهر والغلبة والاستعلاء والسلطان والملك والحكم والسيرة والتدبير والتوحيد واسم لجميع ما يتعبد الله، عز وجل، به والملة والورع.

وأما في اصطلاح الإسلاميين فهو:

الدين وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال الفلاح في المال، وفي تعريف دوركهايم: الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة، اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة.[١]

ومن تعريفات الدين أعلاه وعلى اختلافها سواء كانت لغوية أو اصطلاحية، إسلامية أو غير إسلامية، نرى أنها تجمع على أنه النسق الذي ينظم أو يظهر شكل العلاقة بين الخالق والمخلوق. أو ما يتّصوره أو يفترضه المخلوق على أنه هو خالقه وبالتالي ما يؤديه من التزامات اتجاهه. والنسق الديني يتناول بالدراسة شكل هذه المعتقدات وتأثيرها في المجتمعات البشرية وقوة تأثيرها في تسيير حياة هذه المجتمعات ومدى قوتها في التأثير وضبط حياة الأفراد في احترام هذه المعتقدات والالتزام بها.

١- عليان، رشدي والساموك، سعدون، الأديان، ط١، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦، ص ص ١٩-٢٣.

ويرى دوركهايم الدين، أيضاً، على أنه «نسق من المعتقدات والتطبيقات متصلة بأشياء مقدسة»[1]

وهذا يعني في رأيه أن بإمكاننا أن نلمس الدين من خلال ما يعتقد ويفكر شعب ما بهذا الاتجاه أو بما يتم تطبيقه من الأفكار التي يحملونها والتي تصطبغ بالقدسية، وهذا هو الدين بما ينعكس على المجتمع من اعتقاد وتطبيق.

ويفهم من هذا أن ليس هناك شعب ما مهما كانت درجة تقدمه في الحضارة ليس له دين، ولكن الاختلاف بين الأمم والشعوب في هذه الناحية هو الدرجات المتفاوتة التي عليها أديانها . فأبسطها الأديان البدائية التي تتجسد بصورة معتقدات بسيطة وساذجة ناتجة عن افتراضات وضعها أبناء تلك الشعوب البدائية وامتزجت بممارسات سحرية وطقوس [2] مختلفة تعبيراً عن عقلية أبنائها. وهناك الأديان التي تعبر عن أفكار أشخاص ذوي عقول متقدمة ويعتبرون حكماء ومصلحين وضعوا تصوراتهم بشأن الكون والخليقة، وضعوا لوائح ليهتدي بها البشر في ظل غياب الأديان السماوية أمثال بوذا، وكونفوشيوس[3] وزرا دشت وغيرهم. والأديان السماوية هي أرقى الأديان من حيث درجة إقناعها وحداثتها وكذلك أن من أكثر المجتمعات تقدما في الحضارة تتخذها.

ويتجسد الدين بنسق سلوكي وقانوني أخلاقي، كما تتخذ العلاقة بين العابد والمعبود شكل نسق اجتماعي مقرر ونمطاً ثابتاً. وأهم سمات الدين الإيماني اتخاذ مواقف عاطفية حيال المعبود وسلوك أسلوب محدد في التقرب إليه، وإقامة احتفالات وطقوس.[4]

١- مير، لوسي، مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة شاكر سليم، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢٥٦.

٢- انظر لوسي مير، مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الفصلين الثالث عشر والرابع عشر.

٣- انظر عليان والساموك، الأديان دراسة مقارنة.

٤- لوسي مير، مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية، سبق ذكره، ص ٤٦١.

وللدين تعريفات وفيه وجهات نظر عدة تختلف بحسب العلوم التي تتناوله وذلك من حيث صلته بها وللتركيب الديني للسكان أهمية كبيرة من انه، غالباً، ما يعبر عن الولاء القومي من جماعات معينة. كما أن الاختلافات الدينية والمذهبية تلعب دوراً مهماً في صياغة القرارات المتعلقة بكثير من جوانب الحياة البشرية.

وقد أوصى خبراء الأمم المتحدة بإدخال الدين في تعدادات السكان لسنة ١٩٧٠- ١٩٨٠ كأحد الموضوعات المفيدة من الناحيتين الجغرافية والاجتماعية (١)

الممارسات الدينية للكاولية:

إن الاعتقاد السائد لدى أغلب أبناء المجتمع العراقي أن الغجر ليس لهم دين، كذلك يجهل الكثير عن الممارسات الطقوسية والمراسيم التي يقوم بها الغجر والمتعلقة بكثير من أمور الحياة مثل الزواج والختان و مراسيم تجهيز الميت والدفن وأساليب المعاملات الحيوية الأخرى، سواء كانت عبادات أو معاملات.

ونقول هنا، إن أهم ما يفهم عن الغجر، وفي معظم أنحاء العالم، أنهم يتلونون (كالحرباء)، وفي أهم سياقات الحياة ومنها الدين، واللغة والأزياء مع البيئة التي يحلون فيها.، وذلك نوع من التوافق والتكيّف الاجتماعي، وخاصة في النواحي المادية.

وعلى هذا فإن الغجر هنا في العراق، يتدينون بالدين الإسلامي طالما أن الدين الإسلامي هو دين الدولة الرسمي ودين المجتمع الذي يحلون فيه.

إن التصور الذي يحمله الآخرون هنا عن الغجر ناتج عن امتهان الغجر لبعض الحرف التي تتنافى، كلياً، تعاليم الدين الإسلامي، كذلك ما يصدر

١- حمادي علي، يونس، سبق ذكره، ص ٣٩٤.

عن بعضهم من أفعال مخالفة للقانون وقيم المجتمع أو ما يشاع عنهم من أفكار بعضها خاطئة لدى غير الغجر تجاههم.

إن الغجري، هنا، يعيش ازدواجية كبيرة ، فهو يجيبك حين تسأله عن دينه بأنه مسلم وأنه عالم بحدود الله ودينه. وفي الناحية الأخرى ترى أنه لا يطبق أدنى قواعد الدين الإسلامي، وترى أن المهن والأعمال التي يحترفها، معظمها، تخالف، تماماً، الدين الإسلامي.

وقد وجد الباحث في بعض بيوت المبحوثين المصحف الكريم، وفي الوقت نفسه، يوجد مكان للدعارة في هذا البيت ومحل لبيع المشروبات الكحولية ملحق بالبيت، وأماكن لجلسات السمر والرقص والغناء.

كذلك يتردد معظم الغجر على مراقد الأولياء القريبة من تجمعاتهم، ويلتزم بعضهم في المناسبات الدينية ، لكنه ما يلبث أن يعود إلى سابق حاله.

يلتزم الغجر في معظم جوانب حياتهم الطقوسية خاصة قواعد الدين الإسلامي ومنها ما يطبق على أنها قوانين رسمية في الدولة لتسيير المعاملات. فالزواج مثلاً تتم إجراءاته كما يفعل باقي أبناء المجتمع من المسلمين من اتباع صيغة قانونية، ويتم تصديق عقد الزواج في المحكمة، يسبقه أو يتبعه عقد ديني عند رجل دين يسمى السيد أو الملا أو (المؤمن).

وهذا، عادة، يكون من خارج مجتمع الغجر وحتى وقت قريب، لم يكن يتوفر في أية منطقة من مناطق الغجر من يقوم بهذا العمل، وذلك لجهلهم بالأمور الدينية. ولكن وجد الباحث أن هناك من يقوم بهذه المهمة قد ظهر من بين أبناء الغجر ، بعد أن يكون متقنا أو شبه متقن لها.

وبالنسبة لتعدد الزوجات؛ فإن الغجري يلتزم من هذه الناحية بتعاليم الدين الإسلامي، حيث لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع زوجات. ولاشك أن هذا الالتزام ناتج عن أمور عدة، منها هذه القاعدة الدينية التي أصبحت حكماً قانونياً، أيضاً.

ونرى أن هناك أموراً أخرى تحده، منها الأسباب الاقتصادية حيث ارتفاع المهور وغلاء المعيشة وعدم إمكانية الجمع بين أكثر من زوجة بسبب كثرة المشاكل التي تحدث جراء ذلك، وأيضاً، إمكانية إشباع الغريزة الجنسية في الجو المتاح في المنطقة.

ومن الالتزامات التي يعملها الغجر جراء اعتناقهم الدين الإسلامي، هو عملية ختان الأولاد والتي تتم في أعمارهم المبكرة والتي هي من الالتزامات المهمة، أيضاً، في الدين الإسلامي.

أما بالنسبة للمراسيم الدينية من تجهيز وصلاة على الميت وصيغة الدفن والتي تعمل وفقاً لتعاليم الدين الإسلامي، فإن الغجر جاهلون بها تماماً، وذلك نتيجة جهلهم بتعاليم الدين. وفي هذه الحالة ، فإن الغجري يقوم بتجهيز الجنازة تجهيزاً أولياً ثم تحمل إلى مكان الدفن والذي يقع قريباً، عادة، أو في المنطقة نفسها مكان لغسل الجثمان يسمى (المغيسل). وعموماً، وكنوع من التكيف الاجتماعي الذي أشرنا إليه، فإن غجر المنطقة الجنوبية ومنهم الفوار يدفنون في مقبرة النجف، وكذلك غجر الكمالية، حيث تأثرهم بالتجمعات السكنية التي تحيط بهم (بقية سكان الكمالية من غير الغجر).

وبعد الدفن تقام مراسيم لتقبل التعازي وتقام هذه في بيت ذوي المتوفى، وتسمى هذه (الفاتحة). وتقام لمدة ثلاثة أيام وتتم زيارة المعزين إلى ذوي المتوفى ليقرأوا الفاتحة. وطبعاً، أغلب المهتمين بهذه المراسيم يعرفون قراءة سورة الفاتحة وذلك لحاجتهم تلك.

ويتم تقديم هدايا عينية مثل بعض أكياس من المواد الغذائية مثل الرز أو السكر أو غيرها، وهذه العادة قلت بل تلاشت في ظروف الحصار الصعبة، وعموماً، يتم تقديم نقود تسمى بـ(الواجب) وعلى قدر الإمكانية

المادية لدى المعزين، وتكون كمية النقود هذه في الوقت الحاضر بين (٢٥-١٠٠ دينار نحو نصف دولار إلى دولارين) في المتوسط.

وهذا نوع من التعبير عن التضامن الاجتماعي بين أعضاء الجماعة الغجرية.

ويرتدي أفراد أسرة المتوفى وبعض أقربائه اللون الأسود تعبيراً عن الحزن ونوع من الوفاء للفقيد.

لقد أظهرت الدراسة الميدانية لمنطقتي الكمالية والفوار، أن جميع عينات الدراسة هم من الغجر المتدينين بالدين الإسلامي (علماً أن جميع غجر العراق يعتنقون الدين الإسلامي)، وأن الجميع يعلمون انتماءهم.

لكن الباحث حين وجه السؤال التالي: (ما هو دينكم ؟) إلى ١٨ (ثمانية عشر) تلميذاً وتلميذة في المدرسة الابتدائية التابعة لمنطقة الغجر في الفوار، وجد أن جواب سؤاله هذا هو الصمت، حيث لا يعلم أحد بماذا يتدينون، ولعلهم فهموا السؤال خطأ أو لم يسمعوا، لذلك أعيد عليهم السؤال من معلم التربية الإسلامية !! الذي فوجئ، أيضاً، بإجابة أحدهم أن ديانتهم المسيحية. !!

هذا مع علمهم بمعرفة اسم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض الصحابة. وإن الخالق هو الله تعالى.

لا شك أن هؤلاء الأطفال ينقصهم التوجيه والتنشئة الدينية من الأسرة. فما يتعلمونه من المدرسة هو درس مثل باقي الدروس وهو مجرد تلقين يمكن أن يحفظوه أو ينسوه أو يتناسوه بسرعة.

لقد أظهرت الدراسة الميدانية، أيضاً، احتفاظ بعض أسر الغجر بالمصحف الكريم في بيوتهم وقد وجدنا أن هناك خمسة أشخاص فقط في الكمالية وسبعة في الفوار ممن ادعوا أن لديهم نسخة من المصحف الكريم

وهذا يعني قلة نسبة من يحتفظون بكتاب القرآن المقدس وذلك ناتج عن أسباب عدة أهمها:

عدم الالتزام الديني والأمية الأبجدية والدينية لدى الغجر، وكذلك تعارض سلوك بعضهم مبادئ الدين الإسلامي.

ويظهر أن النسبة تلك ترتفع في الفوار عنها في الكمالية، ونرى أن الأسباب تتعلق بكثرة تردد أبناء منطقة الفوار إلى المناطق المقدسة القريبة (النجف وكربلاء). وأيضاً استمرار اتصالهم بمجتمع محافظ وأقل انفتاحاً عكس ما يواجهه كاولية الكمالية. وهذا لا يعني أن كل من احتفظ بالمصحف الكريم في بيته يقرأه ولكن يمكن أن يكون التزاماً ظاهرياً في الغالب.

وقد اتضح أن نسبة من يقرأ القرآن في الكمالية أكثر من الفوار، وهذا ناتج عن كون نسبة من يعرف القراءة والكتابة في المنطقة الأولى أكثر منهم في المنطقة الثانية.

إن هذه القلة ممن يقرأون القرآن تنطبق عليهم نسبة من يستمعون إلى القرآن، أيضاً، وعلى تعدد قنواته، سواء عن طريق الاستماع إليه من خلال أشخاص أو من التلفزيون أو الراديو أو المسجل وعلى تعدد الأماكن سواء في البيت أو الجامع أو السيارة أو المحل.

ووجد الباحث أن عدداً قليلاً جداً من الغجر من يلتزم بفريضتي الصلاة والصوم وفي منطقتي الدراسة (الكمالية والفوار).

جدول ١٠ - أعداد ونسب من يصلون بالنسبة لأفراد عينة الدراسة.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٣	٦	٥١	٩٤	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مجموع	١٣	١٣	٨٧	٨٧	١٠٠

جدول ١١ - أعداد ونسب من يصومون شهر رمضان من عينة الدراسة.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٣	٦	٥١	٩٤	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مجموع	١٣	١٣	٨٧	٨٧	١٠٠

تظهر نسبة من يصلون في منطقة الفوار أكثر منها في منطقة الكمالية، كذلك من يصوم شهر رمضان إلى من لا يصوم ، ومقارنة المنطقتين، وتفسير ذلك، كما سبق ذكره، أن هذه المنطقة (الفوار) تقع متاخمة لتجمع محافظ، نسبياً وقربها من الأماكن المقدسة عكس منطقة الكمالية التي تقع في منطقة منفتحة أكثر وهي العاصمة بغداد.

وبالتالي انعكس ذلك على المنطقتين. ومن جراء هذا الانعكاس أيضاً فإن منطقة غجر الفوار تمتاز عن نظيرتها في الكمالية بأنها تحتوي على جامع واحد وثلاث حسينيات، وهذه تكون بشكل غرفة الاستقبال (الديوانية)، أو المضيف، وبابها مفتوح إلى خارج البيت. وقد أعدها أشخاص من المنطقة وجعلوها ملحقة ببيوتهم. أو أنهم فتحوا باب غرفة الاستقبال إلى خارج الدار لتصبح جامعاً.

ولا يتم في هذه الأماكن أي شكل من أشكال العبادة سوى أنها مخصصة للضيافة وشرب الشاي والقهوة والتداول بأمور تخص المنطقة من أبنائها وقد لاحظ الباحث واستمع إلى ما يدور فيها من خلال الدراسة الميدانية والمعايشة في المنطقة.

وكنوع من التكيّف الاجتماعي مع بيئتهم المجاورة نرى الكاولية يترددون كثيراً على مراقد الأولياء وخاصة كربلاء والنجف، وذلك تماشياً مع ما يفعله أبناء المجتمع المجاور لهم، ويعملون طقوساً مشابهة لما يفعله أبناء

المناطق المجاورة أثناء الزيارة وذلك من مظاهر احتشام وتقديس، ويتظاهرون بالتزامهم هذا، وخاصة في شهر محرم ويوم (١٠ عاشوراء) والذي يصادف (استشهاد الإمام الحسين بن علي)، وجرياً مع ما يفعله المسلمون الشيعة من مظاهر حزن وتعطيل العمل في هذا اليوم، فإنهم يعطلون أعمالهم وبعضهم يوزعون الثواب(مثل الطعام والشاي).

والحقيقة، أننا نرى أن هذه الأفعال من تعطيل أعمال وغيرها، إنما هي نوع من التكيّف الاجتماعي بالدرجة الأولى كما ذكرنا. وإن نشاطاتهم تنعدم، فعلاً، في هذا اليوم والسبب ليس بإرادتهم بل ناتج عن كون المترددين عليهم ينقطعون في هذه الأيام وفي يوم عاشوراء بالذات. ويحدث هذا خاصة في منطقة الفوار حيث أن غالبية أبناء المناطق المجاورة لهم من الشيعة، أو هو نوع من الطقوس التكفيرية.

أما عند غجر الكمالية؛ فإن هذه المظاهر تكون أخف حدة منها في الفوار وذلك كونها تقع في بغداد العاصمة التي تضم مزيجا من الأديان والطوائف، ولكن سبب التزام غجر الكمالية (النسبي) ناتج عن كون باقي سكان الكمالية والمناطق المجاورة لهم هم من الطائفة الشيعية، ولأسباب التكيّف وتجنباً لاحتمالات التعصب وانتقام بعض الناس المجاورين للغجر ضدهم وذلك نتيجة تماسهم المباشر.

والغجر يؤمنون بالأمور الغيبية والسحر كثيراً. وقد لاحظ الباحث الكثير من المظاهر التي تدل على ذلك، ومنها ما يعتقدون بأنه يجلب الحظ مثل(الخرزة) ومنها(ما يحرس من الحسد) مثل الدعاء والحرز(التميمة)، ومنها(ما يخطف قلوب الآخرين) من الجنس الآخر، كما يعتقد، مثل(البازباند) الذي هو عبارة عن عظم هدهد أو قنفذ أو غيره، يقرأ عليه ساحر ويملكه باسمه، ومنها(ما يجلب الحظ والطمأنينة) مثل الأدعية والسور القرآنية و(العلق) وهو شريط صغير من القماش يجلبونه مقابل ثمن أو مجاناً من أحد المرتزقين في مراقد الأولياء.

جدول –١٢- نسبة الذين يؤمنون بالسحر عن طريق التمائم.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٢٥	٤٦	٢٩	٥٤	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مجموع	٥٥	٥٥	٤٥	٤٥	١٠٠

ويظهر ارتفاع نسبة الأيمان بهذه الأمور نتيجة الجهل بالدين ، والأمية. أما بالنسبة لمنطقة الكمالية، فتنخفض فيها النسبة قياساً بمنطقة الفوار نتيجة الاتصال الحضاري بمنطقة بغداد.

جدول – ١٣- نسبة من يحملون تمائم وأنواعها.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
نوعها	تكرار	٪	تكرار	٪
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
خرزة	٧	٢٨	٦	٢٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
بازباند	٣	١٢	٧	٢٣
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مجموع	٢٥	١٠٠	٣٠	١٠٠

ولم يجد الباحث في الغجر من يزكي أمواله أو يفهم الزكاة على أنها فريضة في الإسلام، وهذا ناتج عن الجهل بأمور دينية كثيرة، منها هذه وثم قناعة معظم هؤلاء أن أغلب أفعالهم منافية للدين الإسلامي، وأن مصادر رزقهم تأتي عن طريق الحرام. والحج باعتباره فريضة دينية إسلامية، فإنها لا تعني الغجر عموماً. وقد حدثني بعضهم بحديث متناقض عن شخصين أو

ثلاثة كانوا قد ذهبوا إلى الحج وان منهم من تاب من أفعال الغجر والتزم دينياً، ومنهم من بقي على حاله بعد عودته.

حين سأل الباحث عينة الدراسة في المنطقتين عن مدى معرفتهم بموقف الدين الإسلامي اتجاه مهنهم، كانت الإجابة :

جدول ١٤ - هل ترى أن معظم مهنكم منافية للدين الإسلامي؟

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
نعم	٤٥	٤٦	١٠٠	١٠٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مجموع	٥٤	٤٦	١٠٠	١٠٠

والإجابات تظهر أن الغجر على علم، تماماً، بموقف الدين تجاه معظم الأعمال التي يمارسونها، كذلك هي منافية لعادات وتقاليد مجتمعنا العربي، وبالتالي فإنهم أصبحوا مرفوضين من المجتمع. ولا شك أن علمهم هذا ناتج عن الاتصال الحضاري الذي تزودهم به قنوات الاتصال المختلفة من الاتصال الحضاري المباشر مع غير الغجر وتأثير وسائل الإعلام القوية مثل أجهزة التلفزيون والإذاعة وغيرها.

وقد سأل الباحث عينة الدراسة وفي المنطقتين سؤالاً يتعلق بمدى تفكير بعضهم بترك أعمالهم والتي معظمها منافية للدين الإسلامي كما ذكرنا.

جدول ١٥ - هل فكرت يوماً أن تترك عملك وتتجه إلى الالتزام بالدين؟

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
نعم	١٠	١٩	١٥	٣٣
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مجموع	٥٤	١٠٠	٤٦	١٠٠

وقد ظهر أن سكان الكمالية من فكروا أو يفكرون بترك مهنهم المنافية لهم عدد قليل جداً قياساً بعينة الدراسة، وأقل مقارنة بنظرائهم في منطقة الفوار.

ولذلك أسباب عدة منها ما ذكرناه سابقاً جراء اتصالهم المستمر بالمجتمع الأوسع في المنطقة (محافظة القادسية) والذي يعتبر كما قلت محافظاً أكثر من مجتمع العاصمة بغداد. وأما سكان غجر الكمالية، فإنهم ومع اتصالهم المباشر والمستمر مع المجتمع المجاور لهم من غير الغجر ومع علاقات الجوار المباشرة وفرصة الاتصال الأكثر لكنهم أقل حماسة من أن يفكروا بترك مهنهم، ولذلك أسباب منها:

١-كثرة متطلبات حياتهم المعيشية بحكم موقعهم ببغداد العاصمة، بجانب صعوبات المعيشة جراء ارتفاع الأسعار.

٢- عدم امتلاكهم المهارات أو الكفاءة العالية أو الشهادة الدراسية التي تؤهلهم لعمل ما، إضافة إلى عدم كفاية المورد من معظم المهن الأخرى.

٣- اعتيادهم الكسب المادي بالطرق السهلة ومنها بالنصب والاحتيال على مرتاديهم. وهذا ينسحب على معظم مناطق الغجر في العراق.

الخلاصة :

١- إن الغجر في العراق يتدينون بالدين الإسلامي، وهو نوع من التكيّف الاجتماعي عرف به الغجر في معظم أنحاء العالم.

٢- إن الغجر، عموماً، لا يلتزمون بتعاليم الدين الإسلامي، ويكون التزامهم في جانب المعاملات فقط من الدين وذلك، وذلك بسبب محاصرتهم بها من المجتمع والسلطة.

٣- كما أنهم يلتزمون ببعض الطقوس والممارسات مثل زيارة مراقد الأولياء والنذور وغيرها. ونرى أن هذه تفسر من بابين أولهما التكيّف الاجتماعي وثانيهما: هو الطقوس التكفيرية [1]

٤- إن غجر منطقة الفوار أكثر تقرباً إلى الدين وأكثر ممارسة لبعض طقوسه من غجر منطقة الكمالية، وذلك جراء موقعهم (الفوار) في منطقة محافظة نسبياً، واقترابها من بعض الأماكن الدينية المقدسة. وهذا يعني أن غجر الفوار أكثر تكيّفاً في هذا المجال.

١- وهو مصطلح وضعه الباحث وعني به شعور الفرد أو الجماعة بالذنب والتأنيب حينما يجدون ان افعالهم منافية للدين. وتكون هذه الطقوس تعبيرا عن الندم بالتضرع والدعاء او تقديم النذور او الهبات وذلك للتكفير عن الذنب.

الفصل السادس

النسق الاقتصادي Economical System :

الطرب (الغناء، الموسيقى والرقص)

تجارة الجنس (البغاء والسمسرة فيه)

العمل التجاري

النشاطات الأخرى

خلاصة

النسق الاقتصادي:

إن النسق الاقتصادي على قدر اهتمامه بالنشاطات الاقتصادية لجماعة ما، أو على ما يقول (Spradely & Meccudley) بأنه يستهدف الكشف عن النشاط الإنتاجي لجماعة من الأفراد. ويستهدف إنتاج وتوزيع وتبادل السلع والخدمات.[1] ولهذا، فإنه يتناول نشاطات أخرى أوسع وذات صلة وتأثير مباشرين في النسق الاقتصادي.

فالسوسيولوجيون والأنثروبولوجيون الذين يدرسون النظم الاقتصادية ينظرون إلى النشاطات الاقتصادية نظرة تختلف عن نظرة رجال الاقتصاد. حيث ينظر هؤلاء إليها من زوايا مغايرة، أنهم أكثر اهتماماً بالتأثيرات الاجتماعية للجوانب الاقتصادية، ولا تقتصر جهودهم على هذه التأثيرات فحسب، وإنما تمتد إلى أوجه أخرى أقل وضوحاً، فعلى سبيل المثال، يتساءلون، ما هي تأثيرات التخصص المهني في الشخصية؟ وما هي تأثيرات هذا التخصص على النشاط التربوي وما تأثيره في الحياة الأسرية؟ كيف تنمو الاتجاهات الأسرية وتتغير؟ ما الذي يدفع الإنسان إلى أن يعمل بعد أن يحقق حاجاته الأساسية؟ [2] وغيرها.

ويعرَّف النسق الاقتصادي بأنه « الدراسة الموسعة للنشاطات والفعاليات التي تتعلق بالانتفاع من مصادر الثروة الطبيعية، وتحديداتها واستعمالاتها والتي تتعلق بالتنظيم الذي له صلة بإشباع الحاجات البيولوجية والاجتماعية»[3].

١- إسماعيل، فاروق، الانثروبولوجيا الثقافية، سبق ذكره، ص ٣٥٥.
٢- المصدر نفسه، ص ١٨٣.
٣- البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٢.

النشاطات الاقتصادية الرئيسة للكاولية:

إن أهم الفعاليات الاقتصادية التي يزاولها الكاولية في العراق هي: حرفة الطرب وتشمل الموسيقى والرقص والغناء، البغاء والسمسرة [1] والتي يطلق عليها الباحث اسم (تجارة الجنس)، والعمل التجاري من امتلاك وإدارة محال أكثرها تبيع المشروبات الكحولية وتقع في مناطق الغجر، وسياقة سيارات الأجرة وصنع وإصلاح بعض الآلات الموسيقية.

وتعد هذه الفعاليات أهم مصادر رزق الغجر في هذا الوقت، وقد كانت هناك مهن سابقة يمتهنها الغجر وهي مهن تقليدية عرف بها أغلب غجر العالم ومنها صناعة الغرابيل والسلال وتركيب الأسنان والحدادة. ومازال بعض الغجر المترحلين [2] ويسمون الغجر الأصليين ويعملون ببعض هذه المهن وخاصة الحدادة (عمل الحدادة وبرادة السكاكين والمناجل هذا إضافة إلى القرج الذين مازال معظمهم يمتهنون مثل هذه المهن.

ويمكن تأشير بعض النقاط بخصوص هذه النشاطات:

١- إن أهم ما يميز الفعاليات الاقتصادية الرئيسة أعلاه والتي تزاول، الآن أنها غير مرغوبة كمهنة عائلية بصورة عامة بالنسبة للمجتمع العراقي والعربي والإسلامي، هذا بالنسبة للموسيقى والغناء والرقص، أما بالنسبة للبغاء والسمسرة فيه فمعروف أنه محرم في الشريعة الإسلامية وباقي معظم الأديان، وتعني اصطلاحاً الاتصال الجنسي بصورة غير شرعية. والسمسرة هنا هي الوساطة بين طرفي العملية الجنسية وإدارتها وتهيئة المكان المناسب لها.

١- إن السمسرة والبغاء مهنة محرمة حسب الشريعة الإسلامية، وكذلك في القانون العراقي وقد صدر قرار رئاسي برقم (١٥٥) بتاريخ ٢١/ ١٠/١٩٩٣ يقضي بوجوب تطبيق عقوبة الإعدام على كل من أدار عصابة من شخصين أو أكثر لأغراض السمسرة والبغاء - جريدة العراق، عدد ٥٣٥٤، الجمعة ٢٢/١٠/١٩٩٣.

٢- لقد أفاد للباحث بذلك بعض الغجر أثناء الدراسة الميدانية.

وكذلك الأمر بالنسبة لتجارة المشروبات الكحولية فحكمها في الشريعة كحكم من يتعاطاها.

٢- كذلك تتميز هذه الفعاليات السائدة، الآن، بأنها نشأت على أنقاض بعض المهن السابقة للغجر ومنها التسول والتجوال والمديح باستخدام بعض القصائد الشعرية المتداولة ومصاحبة آلة الربابة الموسيقية وذلك مقابل ثمن ضئيل هو عبارة عن طعام وجبة أكل أو إعطائه بعض القمح أو الرز غير المطبوخ أو الخبز وغيرها. وقد كان الغجر في السابق حتى وقت قريب في منتصف السبعينيات من هذا القرن يقومون بهذا العمل وخاصة الرجال يستثيرون العربي وخاصة شيوخ القبائل والوجهاء مستغلين قيمة الكرم التي يفخر بها العربي، وقد يحصل الكثير منهم على المزيد من الهبات ويحلون ضيوفاً معززين مكرمين على بعض الشيوخ هم وعوائلهم. وتقوم نساؤهم كذلك بقراءة الطالع وتركيب الأسنان والتسول.

ولما كانت أعمالهم هذه، معظمها يشبه التسول، وبجانب التسول؛ فإنهم كانوا مستضعفين، ولما كانوا ينعمون بضيافة الشيخ رجالاً ونساءً ، ولما كانت المجتمعات الريفية تعمل الفصل بين الجنسين بحكم العادات والتقاليد والدين، فإن الفرصة، هنا، مؤاتية لأن تتعرض نساء الغجر إلى المغازلة من بعض الشيوخ وأبنائهم، كذلك أنهم يمارسون الغناء من خلال المديح الذي يتطلب الجرأة وهكذا نشأت هذه الأعمال التي يساند بعضها الآخر. فالحاجة إلى المال والمعيشة تتطلب التسول الذي كان بصيغة أقل تهذيباً، حيث أخذ شكل المديح والذي تطلب آلة موسيقية تعرف بالربابة والمديح تحول إلى غناء والغناء احتاج إلى مرافقة الرقص وحياة الرقص والغناء أنعشت وانتعشت بمرافقة شرب الخمر ولاشك أن المرحلة

الأخيرة، هذه وفي أجواء مثل هذه، التي دخلتها نساء الغجر كانت تحصل فيها تجاوزات من الآخرين أو برضا الغجر أنفسهم، حيث كانت تحصل في الفترة السابقة لهذه المرحلة والتي بدأت مع بداية الثمانينيات صل حالات أشدها الحصول على قبلة من الراقصة الغجرية مقابل ثمن كان(ربع دينار) أو الجلوس بجانبها أو أن يزيل الوشاح أو الطرحة من على رأسها مقابل ثمن مثل هذا وتسمى هذه(التفريعة) أي يكشف عن شعرها.

وقد حدثت هذه التحولات بعد انحسار الحرف السابقة، أيضاً، وذلك بعد النهوض الذي شهده العراق في تلك الفترة حيث بدأ الاستغناء عن معظم هذه الأدوات والآلات التي سميناها مع غيرها بالمهن التقليدية للغجر.

ولما حصل الاستغناء عن الحرف السابقة، وكذلك سعي الدولة لإيجاد الاستقرار للغجر بعد أن أمنت استيطان الكثير من البدو الرحل، فقد أوجدت تجمعات عدة للغجر منذ بداية السبعينيات والى بداية الثمانينيات وهي(الكمالية[1] ، الرضوانية، أبوغريب في بغداد، أبو طراريد- القادسية وحي الطرب في الزبير – البصرة، والسحاجي – الموصل ، والشراكة الغربية – السماوة ، والعثمانية الأميرية – الناصرية).

ولما كان الغجر لم يحظوا بنصيب من التعليم والمهارة لأية حرفة أخرى متوفرة، فقد بدأت معهم هذه المهن، التي أشرنا إليها في البداية، تزدهر وتنشط وهي الحرف التي كانت تمارس في المعابد وكما ذكرنا ذلك في فصل سابق (راجع فرضيات في أصل الغجر – الكاولية -).

١- بالنسبة للكمالية فقد بدأ الاستيطان الغجري فيها في عام ١٩٥٨، وقد كانت منذ البداية تعيش على هامش المدينة والريف(انظر: الحديثي، ص ٥٠).

أنواع النشاطات الاقتصادية:

الطرب (الغناء، الموسيقى والرقص):

وهي من الحرف الرئيسة التي يعول عليها الغجر في معيشتهم، وقد أظهرت الدراسة كثرة المتهنين لهذه الحرفة. وقد اتفقت هذه الدراسة مع دراسة الباحث طه حمادي الحديثي التي أجريت عام ١٩٧٦ والتي أظهرت نتائج مقاربة. حيث ظهر أن عدد المشتغلين في هذا المجال يشكل نسبة ٨١,٨٪ من مجموع القوى المنتجة للغجر. (١)

وفي السابق كان الغناء عند الغجر يعتمد بصورة رئيسة على مصاحبة آلة موسيقية تقليدية نشأت في البادية ويستخدمها البدو، عادة، وهي آلة الربابة. والربابة صناعتها سهلة حيث تُصنع من خشبة أو صفيحة مربعة تستعمل بأحد جانبيها وتربط عليه خيوط من شعر ذيل الحصان، عادة تمتد، طولياً، إلى ذراع خشبية يثبت ويتم العزف عليها باستخدام قوس من خشب أو سلك بشكل نصف دائري تقريباً تربط إلى طرفيها بخيوط شعر مماثلة.

وأما، الآن، فيتم استخدام آلات موسيقية مثل العود، الكمان، القانون، إضافة إلى استخدام الإيقاعات الشعبية مثل الطبل بأنواعه (خشبة، زنجاري، زنبور وغيرها).

ويصنع هذه الآلات أبناء الغجر كما يتم اصطحاب بعض العازفين المهرة من غير الغجر في بعض الأحيان خاصة في حالة تسجيل أشرطة للبيع أو في حالة إقامة حفلات مهمة. وتتم إقامة حفلات الغجر بصورة مستمرة في مناطقهم باعتبارها عملية تجارية، حيث تقام في أكثر من بيت وفي الوقت نفسه حفلات غنائية وراقصة عدة وذلك على شرف بعض الضيوف الذين

١- الحديثي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨.

يترددون إلى مناطقهم وفي أوقات الليل خاصة، ويدفع الزبون مقابل ذلك الكثير من المال حيث تقدم له المشروبات مقابل أثمان مرتفعة ويدفع المال مقابل مداعبة أو تقبيل الراقصة أو جليسته.

وقد يخرج الأمر عن ذلك ليمتد إلى الاتصال الجنسي مع إحداهن وفي مكان خاص وجاهز في البيت.

والعرف الغجري يمنع حضور الغجري زبوناً إلى بيت جاره أو ابن المنطقة الذي يقيم حفلة ، وقد برر ذلك أحدهم بالعبارة التالية «بناتنا يتونس عليها العربي[1] فكيف أنت يلكاولي بنتك ترقص وتجي عندنا؟».

إن هذه الحالة ممكن تفسيرها على أساس أن ضعف احترام الذات[2] وهو شعور عام من الغجر بتدني منزلة هذا العمل، والشعور بالنقص حتى تجاه بعضهم بعضاً وتفسر ردود الأفعال هذه على أنهم متساوون في المكانة والجاه (prestige).

إن جلسات الطرب هذه تسمى (دق ورقص) [3]

إن الأسرة الغجرية تعول كثيراً على بناتها بسبب طبيعة هذه المهنة كونها تعتمد بصورة رئيسية على المرأة، ولذا تجد كثيراً من الأسر تعتمد على نسائها في إعالتها، ولهذا كان تأخر سن الزواج عند الفتاة الغجرية إلى عمر يتجاوز الـ٢٥ سنة [4] كذلك كان سبباً في ارتفاع المهور عند الغجر.

ويبدأ إشراك الأطفال بأعمار صغيرة في هذه النشاطات، وقد استطلع الباحث عينة من ١٨ تلميذة وتلميذ من مدرسة الإصلاح الابتدائية التابعة

١- كلمة العربي يقصد بها غير الغجري عندهم ويسمى أيضاً كجي في لغتهم
٢- النوري، قيس، الاسرة مشروعا تنمويا، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤، رقم الصفحة مفقود.
٣- كلمة دق وتعني العزف وهي مأخوذه أصلا من الضرب على الطبول.
٤- مع ان العنوسة وتاخر سن الزواج بالنسبة للشباب العراقي بنات وبنين أصبحت ظاهرة عامة بسبب الحروب المتوالية وظروف الحصار على البلد.

لقرية الغجر في الفوار، فوجد أن (ستة أطفال) منهم أخبروه بإشراكهم بعمر (ثماني سنوات) بأعمال الأسرة هذه، التي تدخل في إطار الطرب من أعمال الرقص والغناء والعزف ومن كلا الجنسين.

ولإشراك الأطفال بأعمال الأسرة أهمية كبيرة لدى الغجر ناجمة عن تعميق حب هذه المهنة في أنفسهم وإكسابهم المهارة من خلال التمرين من الصغر، ولعل قناعتهم بإمكانية اشتغال أبنائهم بمهن أخرى مبنية بين تحصيلهم الدراسي، فإن مجموعة من الأسر الغجرية تفضل أن يترك أبناؤها الدراسة ليلتحقوا بعمل الأسرة. وقد كانت نسبتهم ٦٠٪ من عينة الدراسة والتي هي (١٠٠ أسرة) في منطقتي الدراسة مقسمة على منطقتي الدراسة (الكمالية ٥٤ أسرة، والفوار ٤٦ أسرة).

وأظهرت الدراسة أن نسبة من يود أن يكمل أبناؤهم الدراسة في منطقة الفوار أقل منها لدى أرباب الأسر في منطقة الكمالية. ونرى أن الأسباب التي تضاف إلى الأسباب سابقة الذكر هي، بُعد أماكن الدراسة في مراحل ما بعد الابتدائية عن منطقة الفوار عكس منطقة الكمالية التي تقع ببغداد العاصمة التي تتوفر فيها جميع أنواع ومراحل الدراسة وبالتالي تكون تكاليفها أقل. ونرى، أيضاً، أن توفر فرص الاتصال والاحتكاك والاطلاع بالنسبة لغجر الكمالية ببغداد، وأيا لا يغيب عن البال الأمية التي تسود مجتمع الغجر بصورة عامة.

والغجر ارتباطهم قليل بالمؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية، وحتى وقت قريب، وتكاد تقتصر مشاركتهم على إقامة حفلات في المناسبات الرسمية وغير الرسمية حيث يقدمون حفلاتهم، أحياناً، مع فرق ومغنين معروفين من غير الغجر.

ولا يشترط أو يرتبط الغجر بفرق فنية غير غجرية ولم تحصل

سوى حالات قليلة ، والأسباب، على ما نرى، أنهم يخشون استغلال الاَخرين ومضايقتهم للغجر بسبب نظرة الاَخرين إليهم، وأيضاً لقلة ثقافة الغجر وتخوفهم من عدم مجاراة الاَخرين بالثقافة الموسيقية والمجالات الأخرى.[1]

علما أن مصادر الشعر المغنى عند الغجر والموسيقى والألحان التي تغنى جميعها لغير الغجر، وقد قام الباحث بعملية مسح لمجموعة كبيرة من الأشرطة الغنائية لمطربات ومطربين غجر، فوجد أن جميع الألحان مسموعة ومغناة، مسبقاً، من مطربين ومطربات عراقيين وعرب أو غير معروفين من مطربي الريف والتسجيلات.

كذلك حصل الباحث على معلومات مماثلة من الغجر وغير الغجر أثناء الدراسة الميدانية. وهناك الكثير من الشباب الذين يترددون على هذه المناطق(الغجر) والذين لديهم مواهب غنائية عرفوا بها في أوساط الغجر قد قاموا بتسجيل حفلات وأشرطة غنائية مشتركة مع الغجر وفي مناطقهم.

وقد ارتبطت حرفة الطرب بالكاولية(الغجر) في مجتمعنا وفي الموروث الشعبي قيل(عرس عند كاولية) ويضرب المثل لمن يتقن عملاً أو صنعة أو موهبة فتأتي فرصة مؤاتية لإبرازها والتفاني فيها وكما أشرنا إلى ذلك في موضع اَخر.

١- على إنه يجب عدم إهمال استقطاب مسارح بغداد التجارية لبعض المغنيات الغجريات وزجهن بأدوار إغرائية وغنائية وراقصة غرضها استقطاب الجمهور كما هو معلوم.

جدول١٦ - النشاطات الاقتصادية لأرباب الأسر في منطقتي الدراسة.

الحرفة	ذكور	اناث	مجموع	٪	ذكور	اناث	مجموع	٪
مغن	٥	٢	٧	١٣	٤	٣	٧	١٥
بغاء / سمسرة فيه	٣	٢	٥	٩	٢	١	٣	٧
سائق	٦	-	٦	١١	٧	-	٧	١٥
ربة بيت	-	٦	٦	١١	-	١	١	٢
غير محدد	٢	-	٢	٤	-	-	-	-

يتضح من الجدول السابق أن حرفة الطرب بمفرداتها(الموسيقى، الغناء والرقص) احتلت المرتبة الأولى من خلال ممارسيها من أرباب الأسر وفي كلتا منطقتي الدراسة. وجاءت بعد هذه الحرفة، حرفة إدارة محل تجاري أو مشروبات كحولية وذلك في منطقة الفوار. وبالمقارنة مع منطقة الكمالية نجد أن هناك(٥ أفراد) فقط من أرباب الأسر ومن الذكور قد امتهنوها وذلك للضوابط المفروضة على عملية فتح محل في المنطقة السكنية في الكمالية ووجود المحلات والشوارع التجارية المجاورة لها.

نجد أيضاً أن هناك ثلاثة من النساء من أرباب الأسر في الفوار يعملن بإدارة محل وهذه مسألة طبيعية وليس عليها أي مأخذ مثل ما هو سائد في المناطق المجاورة أو العراق عموماً.

تجارة الجنس sex trade :[1]

ما أن تذكر كلمة غجري أو كاولي أمام شخص في العراق حتى يتبادر إلى ذهن ذلك الشخص شيئان رئيسان: وهما الطرب (الرقص والغناء والموسيقى) والجنس (غير الشرعيadultery).

وقد ذكرنا قبل قليل الأسباب التي دفعت الغجر إلى هاتين المهنتين. ويمكن إجمالها في ما يلي:

١- انحسار الحرف التقليدية السابقة بسبب استغناء الناس عنها جراء التقدم التكنولوجي.

٢- لما حصل هذا الانحسار ولشدة مطالب الحياة فقد ركز الغجر جهودهم على امتهان الطرب، حيث كانت لهم الخبرة جراء التجوال والمديح باستخدام الربابة.

٣- إن تجمع الغجر في مناطق معزولة (غيتو) واستمرار الطلب من العامة لهم ليؤدوا الحفلات وليشبعوا رغبات محبي الطرب، وتدفق المال عليهم شجعهم على ذلك.

٤- إن أجواء الطرب تتطلب، كما هو شائع، مرافقة تعاطي المشروبات الروحية وهذه دفعت إلى المزيد من الانحراف، خصوصاً، في أجواء مختلطة بين الجنسين حيث وجود مغنيات وراقصات.

٥- إن أجواء الطرب وفي مثل هذه الظروف، تؤدي إلى (قلة الحياء) وكما يقول المثل الشعبي (الغناء يقلل الحياء) وبالتالي إمكانية تسرب مثل هذه الظواهر والرذيلة إلى النفوس.

٦- إن انعزال هذه المناطق وتوفر المجال فيها لمثل هذه الأفعال جعلها

١- مصطلح وضعه الباحث ليشير به إلى عملية تنظيم الجنس غير الشرعي وإدارته للاستفادة مادياً، وليتخذ كحرفة.

أماكن لجوء وإيواء للمنحرفين والشاذين والمغتربين عن واقعهم ومنهم المومسات (prostitutes) ومرتكبات الخطيئة من غير الغجر.

إننا نرى، هنا، أن خير تفسير لما آلت إليه حالة الغجر هذه هو التفسير الذي تقدمه المدرسة الوظيفية المتمثلة بالعالم الأنثروبولوجي مالينوفسكي(على أنه نوع من التكيّف يقوم به المجتمع وذلك تماشيا مع تطور الحياة، معللاً ذلك بأن الإنسان يتميز بقدرة عالية على التكيّف والتوافق معها وتنظيم طرق إشباع تلك الدوافع بطريقة بالغة الدقة والترتيب)[1]، ممثلاً لذلك بإشباع الدافع الجنسي عن طريق الزواج، ويرى مالينوفسكي الثقافة على أنها «الطرق التي يشبع بها الإنسان حاجاته المتنوعة». [2]

حينما تسأل الكاولي عن أمر تجارة الجنس هذه وعن شرعيتها أو غير ذلك، يقول (إن بناتنا لا تفعل هذا، وإن هذه المومسات هن من غير الغجر، اما يأتين هاربات من واقعهن بسبب ارتكاب خطيئة، يصعب إصلاحها مثل فض البكارة قبل زواجها فتخشى عقاب أهلها وتبقى هنا، أو أنها فقدت أهلها أو من يحتضنها أو سبيل المعيشة فلجأت إلى هنا). والباحث يعرف، فعلاً، قصصاً مشابهة لهذا الحديث لنساء ألقت بهن الحاجة إلى هذا السبيل.

لقد انتهج العديد من العوائل الغجرية وفي جميع مناطق الغجر المعلومة[3] احتضان فتاة أو أكثر من غير الغجر ويتميزون، عادة، بصفات جمالية جيدة وتتم عملية السمسرة عليهن مقابل نقود للأشخاص المترددين على مناطق الغجر. والمبلغ يبدأ بـ(٢٥ ديناراً أي ما يساوي دولاراً واحداً) ويتدرج حسب نسبة الجمال وسن المرأة. وتخصص العائلة التي تدير هذه

١- محجوب، محمد عبده، مقدمة في الاتجاه السوسيوانثروبولوجي، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٧، ١٨٩.

٢- المصدر نفسه، ١٨٩

٣- هناك مناطق غير معروفة للجميع بأنها تجمع غجري وهي تتخذ زقاقاً أو شارعاً وتمارس فيها اعمال الجنس غير الشرعية كما في البصرة وبغداد.

العملية كوخاً صغيراً أو غرفة خاصة وفراشاً متواضعاً، وعادة، يكون المكان ليس نظيفاً ولا صحياً.

ويتم اتفاق الزبون في الباب (باب الدار) مع رجل أو امرأة ينظم عملية الدخول والخروج ويقبض الثمن بنفسه ويسمى هذا الشخص بـ(القواد pimp) . والقواد هذا إما أن يكون من أهل الدار هذه أو مستخدماً، وفي هذه الحالة يكون غريباً عن المنطقة، طبعاً(إما من المتغجرين وهم من المغتربين عن واقعهم والمحبين لحياة الغجر، أو من المغتربين الأجانب العاملين في البلد).

وواجب القواد (pimp) يبدأ من قضائه بعض حاجات البيت مثل التبضع وثم يقف في باب الدار وينادي المارة بعملية تشبه (الدلالية) وبأسلوب ترغيب ويقبض الثمن ويسلمه لأهل الدار. ويمتد عمله إلى حماية المومس من اعتداء أو إساءة الزبائن أو التحايل عليهم أيضاً، أو يمثل دور الشقاوة (الفتوة) لحماية الفتاة.

وتحدث عمليات نصب واحتيال واستغفال للزبائن، وقد صادف أن شاهد الباحث حالات عديدة مثل هذه، أثناء الدراسة الميدانية، للكثير من الزبائن. وتعرض الفتيات أنفسهن بملابس فضفاضة وبألفاظ وأوضاع مغرية للمارة من الزبائن وأحياناً بتوسلات. وبعضهن لا تعرض نفسها إلا إذا اشترط الزبون رؤيتها وإذا ظهرت فبتحفظ شديد، لأن معظم المومسات العاملات هنا لم يكن غجريات؛ فهن إما هاربات ومستقرات هنا لأسباب، ذكرناها سابقاً أو فتيات يقضين أياماً أو ساعات ويرجعن. وخلال هذه الفترة القصيرة يكون الغرض إما لإشباع المتعة الجنسية التي يفتقدنها في بيوتهن لأسباب(غياب أو إهمال الأزواج) أو لقبض مبلغ من المال بسبب العوز المادي.

وهؤلاء النسوة يحرصن حرصاً شديداً على عدم الكشف عن هوياتهن أو وجوههن في الشارع أو المنطقة وبالسهولة المعروفة. ويتم ترتيب استجلاب وعمل مثل هؤلاء النساء إلي المنطقة عن طريق عمليات سرية ومنتظمة ودقيقة بعيدة عن عيون العامة والأجهزة الأمنية. فهناك بعض البيوت للغجر وسط المدن والأحياء الكبرى، ويتم التردد عليها واستقطاب النساء بطرق مختلفة عن طريق نساء أو رجال من الغجر أو المتعاملين مع الغجر. وتتم عمليات يمكن أن نسميها تجارة الرقيق الأبيض. وقد أفاد للباحث أحد ضباط الشرطة بأنه تم القبض على امرأة غجرية ومعها أخرى كانت مفقودة من أهلها وقد علم بأنها قد بيعت لأكثر من مرة بين الغجر لغرض السمسرة وفهم من قصتها أنها استدرجت، أساساً إلى طريق الرذيلة من امرأة كانت تجهلها، ثم ظهرت أنها غجرية ولما صعب عليها أمر العودة خشية عقاب الأهل؛ فإنها بقيت عند الغجر وقد طافت أكثر من منطقة للغجر وبإرادتهم.

إن عملية الجنس غير الشرعية هذه تسمى في المنطقة(ونسة).

إن الغجري هنا لا يشعر بالحرج حينما يدير أو يشرف على مثل هذا العمل أو حين يحدث ببيته، لكن حينما يخرج عن دائرة منطقته؛ فإن العكس يحدث ويحاول أن يبرر بشتى التبريرات منها أنهم يريدون أن يعيشوا.

إن تصرفه ومشاعره في منطقته ومع أبناء جلدته(الغجر) حينما لا يشعر بالحرج هو ناتج عن كون المجتمع متماثلاً بسلوكه وإن الكل متفهم لحالته وظروفه وهي عامة تنطبق على الجميع.

وتوجه للغجر تهمة خطف البنات الصغيرات من غير الغجر وذلك لغرض تهيئتهن لأعمال المستقبل مثل الرقص والغناء والبغاء أو الزواج،

ولم يتأكد للباحث مثل هذا الأمر من مراكز الشرطة أو يرى مثل هذه الحالات.

جدول١٧-نسبة الدور التي تنظم البغاء (prostitution) (الونسة) إلى مجموع العينة في منطقتي الدراسة.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
يوجد	٢٣	٤٣	٢٤	٥٢	٤٧
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مجموع	٥٤	١٠٠	٤٦	١٠٠	١٠٠

نلاحظ من الجدول السابق أن نسبة البيوت التي تنظم الدعارة في منطقة الفوار أكثر منها في منطقة الكمالية (٥٢-٤٣٪)، ونرى أن تفسير ذلك ناتج عن تخوف وتحفظ غجر الكمالية، بل حذرهم الشديد من دوريات الشرطة التي تدهمهم، أحياناً، لأي سبب من الأسباب(حيث كثرة المخالفات التي تحدث في المنطقة ومناطق الغجر عموماً)، وكون المنطقة مفتوحة ولا تتعدى كونها محلة وبيوت وعدة تقع ضمن منطقة سكنية كبيرة يسبب لهم مشاكل مع أهالي المنطقة المجاورين، وذلك لتعارض أعمالهم مع الدين والعادات والتقاليد، كما ذكرنا سابقاً.

وأيضاً، خشية دهم ذوي الموسات وقتلهن أو حدوث مشاكل مشابهة عدة، ولهذه الأسباب يحجم معظم البيوت تلك عن الإفصاح، بصورة مباشرة، عن تلك العملية ويلجأون إلى حيل يعرفها معظم المترددين على المنطقة منها:

- الكتابة على جدار البيت الخارجي عبارة (الدار للبيع، المراجعة مع نفس البيت)

- أو عبارة(بيت عرب) ومعلوم أن الغجر يسمون العامة(غير الغجر) بـ(العرب).

وبهذا فهي حجة للتخلص من أي مأزق مع الشرطة أو غيرهم بأنهم بيت عرب وليس لهم صلة بالموضوع، وقد علمنا أنه لا يوجد أي بيت عرب يتوسط بيوتهم وقد باع معظم الناس بيوتهم تجنباً للشبهة والمشاكل العديدة.

وإن هذه العبارات والطرق التمويهية لا توجد في أية منطقة من مناطق الغجر الأخرى سوى الكمالية، وذلك لخصوصية موقع المنطقة، كما ذكرنا.

إن ما يحدث هنا في موضوع تجارة الجنس ينطبق عليه، تماماً، تفسير النظرية التبادلية، فهي تبدأ تفاعلاً اجتماعياً بين طرفين(المومس التي تأتي أو تستجلب إلى المنطقة -الغجر- وبين العائلة الغجرية التي تحتضنها أو السمسار الذي ينظم العمل عليها) على أنها تبادل منافع، حيث يستغلها مشروعاً استثمارياً، ليدخل الطرف الثالث(الزبون).

ويمكن تطبيق معادلة هيومانز [1] في نظرية التبادل الاجتماعي لتفسير العلاقات الاجتماعية بين الناس: فيصبح الشخص هو المومس التي تأتي لطلب المكافأة وهي الأجر المادي أو تجد من يؤويها ، ويصبح الآخر هو السمسار وهو مكافأته بالمال الذي سيقطعه من الأجر الذي يدفعه(الإنسان الثالث) وهو الزبون، وأن التكلفة التي يخسرها الآخر(السمسار) هي الإيواء والجهد والمسؤولية والمخاطرة التي يتحملها جراء عمله. والإنسان الثالث(الزبون)، في حاجة إلى الآخر(السمسار) ليقدم له العون وهو التوسط(السمسرة).

١- زايتلن، سبق ذكره، ص ١٢١.

ولتوضيح مفهومات(التكلفة، الربح والمكافأة) لكل من الأطراف الثلاثة، نعمل الجدول التالي:

الآخر*	الأجر المستقطع	الأجر الكامل من الزبون	الإيواء + الجهد + المسؤولية + المخاطرة
الإنسان الثالث	المتعة الجنسية	المتعة + التسهيلات	النقود

* ملاحظة: تشير كلمة الآخر إلى السمسار والشخص إلى المومس والإنسان الثالث إلى الزبون.

إن هذه العلاقات يمكن أن نسميها العمليات الأولية بين الأشخاص، كما يشير إليها العالم بيتر بلاو (Peter Blau) على أنها تحقق فهما أفضل لتطور البنيات المعقدة للروابط التي تربط بين الناس.[1]

وقد يظهر(لا توازن وعدم اتساق وتبعية من طرف واحد)[2] في هذا النوع من العلاقات والتي تدعى بالعلاقات المصغرة وذلك جراء دخول بعد القوة في التبادل الاجتماعي. والقوة، هنا، هي القدرة على فرض الإذعان واستمراره بواسطة الجزاءات السلبية. وتنطبق هذه على علاقة السمسار بالمومس التي تتسم، أحياناً، بسيطرة الأول وإذعان الثاني.

١- زايتلن، ص ١٤٢

٢- المصدر نفسه، ص ١٥٠.

العمل التجاري The Commercial Business،

يتضمن هذا النشاط: فتح وامتلاك محال تجارية تقع، عادة، في منطقة الغجر، وهذه المحال تقام على هامش الحياة الغجرية ونشاطاتها(أي أنها تلبي احتياجات المنطقة وحسب نمط معيشتهم ومتطلباتها).

فأغلبها تبيع المشروبات الكحولية وذلك لحاجة المجتمع إليها، هنا، بسبب طبيعة الحياة حيث أجواء الطرب تتطلب ذلك إضافة إلى غياب الضوابط الاجتماعية عليها، حيث بإمكان حتى الطفل أن يتناول المشروبات هذه من دون رادع أو رقيب وقد تشرك معظم الأسر أبناءها في تناول المشروب، وإذا ما منعتهم؛ فإن الأسباب تعود إلى أنهم يحرصون على المشروب لقلته. وقد استطلع الباحث آراء تلاميذ المدرسة الابتدائية في مَنطقة الغجر في الفوار، فأجاب الجميع انه إذا ما منع أحد من تناول المشروب فالسبب خشية أن يفرغ المشروب. وعادة، ما يتناول الأطفال ما تبقى من مشروب في الكأس. وتعمل حانات صغيرة بسعة المحل يمكن أن يجلس فيها الزبون ويتناول مشروبه أو أن يأخذه (سفري). وعادة، يكون البائع في مثل هذه الحانات هو فتاة وذلك لجذب الزبائن.

وأيضاً من السلع التي تلاءم طبيعة الحياة التي تسد حاجة ما، هي مادة الورق الصحي (الكلينكس)، والشامبو وأدوات الزينة ومساحيق الغسيل والثلج والسكائر. وتباع هذه المواد بأسعار غالية جدا قد يصل سعر بعضها إلى ضعف السعر الرسمي في المدن القريبة.

إن أمر فتح محل تجاري ملحق بالبيت يسير جداً في منطقة الفوار، وقد لمس الباحث ذلك من خلال الدراسة الميدانية، حيث كانت المحال كثيرة، وقد حصل الباحث على إحصائية لعدد المحال التجارية تعود إلى عام ١٩٨٧.[١] وهي (٩٥ محلاً تجارياً) ما بين محل بيع مشروبات كحولية أو حانة أو محل تجاري آخر.

١- مصادر وزارة التخطيط.

وتعود سهولة فتح المحال إلى كون المنطقة غير خاضعة للرقابة التجارية وشروطها. ولبعد المنطقة عن المدينة (أقرب مدينة إليها هي مدينة الديوانية ١٢ كم تقريباً).

وأما منطقة غجر الكمالية؛ فهي على العكس من الفوار، تخضع للرقابة التجارية وضوابط فتح المحال التجارية. لذلك تكاد تختفي هذه الظاهرة ببغداد سوى شبابيك صغيرة أو طاولات بيع السكائر (تشمبر) بباب البيت. والجدول التالي يظهر فروق الأسعار في منطقة الغجر والأسعار الرسمية في المدن الأخرى.

جدول - ١٨- فروق الأسعار في مناطق الغجر مقارنة بأسعار المدن لغاية شهر حزيران (يونيو) ١٩٩٤.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مصباح كهربائي	١	٧٠	١٥٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
سيكارة سومر	سيكارة واحدة	٥	١٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ويسكي	بطل واحد	٣٠٠	٤٠٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
قاصر (سائل غسيل ملابس)	بطل واحد	٥٠	٢٠٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
كلينكس	باكيت صغير	١٠	٢٥
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

*(الأسعار بالدينار العراقي المصور، وسعره وقتها بحدود ٥٠ ديناراً للدولار الواحد).

إن هذه الأسعار تمثل الواقع والحال الذي تعانيه منطقة الفوار وسائر مناطق الغجر الأخرى في العراق، ويزيد من هذه المعاناة أن الغجر يجلبون حصصهم من المواد الغذائية التي تنظمها الدولة من وكلاء في المدن القريبة منهم، حيث لم تمنح لهم الجهات المختصة وكالة ولو لأحد من أصحاب المحال التي تقع في مناطقهم. إن من أسباب ارتفاع الأسعار :

١- إن المنطقة بعيدة، نسبياً، عن المدينة، كما ذكرنا، وهذا يعني إضافة فوارق النقل على الأسعار.

٢- لا توجد وكالات للمواد الغذائية وغيرها من تلك التي تدعمها الدولة.

٣- غياب الرقابة التجارية.

٤- ضعف الوازع الديني والأخلاقي.

من ملاحظة النشاطات الاقتصادية الرئيسة السائدة اليوم، نرى أن ارتفاع أو انخفاض الحالة المعيشية لأية أسرة غجرية يعتمد بالدرجة الرئيسية على وجود عناصر نسائية شابة وجميلة في الأسرة وليس شرطاً أساسياً، موهبة الغناء أو الرقص وإن توفرتا فذلك الافضل، طبعاً.

وكما أن دخول بعض الأسر الغجرية مرتفع جداً فإن متطلباتهم كثيرة جداً، وهناك فرق كبير في طبيعة السكن بين منطقتي الدراسة في الكمالية والفوار وعائديته ونوع السكن وعلاقته بالمنطقة وغيرها من البيانات التي ستعرضها الجداول التالية ونتبع كلاً منها بالتحليل إزاءها.

جدول - ١٩ - علاقة نوع السكن بالمنطقة.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٢١٧	-	-	-	-	٢١٧
[illegible]						
الفوار	٢١٠	٥	٢	٣	-	٢٢٠
[illegible]						

إن جميع بيوت الغجر في الكمالية مبنية بالطابوق وعلى وفق خريطة وبناء حديث وهذا ناتج عن ارتفاع الحالة الاقتصادية للأسر هنا بصورة عامة، وتأثرها بطراز السكن في بغداد كذلك بالتخطيط العمراني لمدينة بغداد والذي يقتضي الالتزام بالبناء على وفق خريطة والالتزام بتفصيلات الشوارع الرئيسة والفرعية وتوفر الخدمات ومستلزمات البناء، إضافة إلى ملكية هذه الدور (الطابو) تسجل لمالكها عكس منطقة الفوار التي مازالت الأرض غير مملوكة لهم، حيث تعتبر (تجاوزاً) ويتم استيفاء (المثل) منهم وهو (ضريبة تستقطع لصالح دائرة عقارات الدولة) [١]

جدول - ٢٠- يبين عائدية السكن وعلاقته بالمنطقة.

الكمالية	١٧٣	٤٤	-	-	٢١٧
الفوار	٢٢٠	-	-	-	٢٢٠
مجموع	٣٩٣	٤٤	-	-	٤٣٧

يظهر الجدول أعلاه أن (٤٤) داراً مؤجرة من قبل الغجر في منطقة الكمالية وهذا يعني أموراً عدة منها:

١-إن هذا يعني أعباء اقتصادية مضافة إلى بعض الأسر الغجرية في الكمالية، خصوصاً، إذا قارنا نسبة أسعار إيجار البيوت المرتفعة كون المنطقة تقع في بغداد العاصمة.

٢- إن هذا الأمر يعني ارتفاع المستوى المعيشي في منطقة الكمالية من

١- قائممقامية قضاء الديوانية، مقابلة مع كاتب التحرير السيد فاهم بتاريخ ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٩٤.

خلال توفر فرص عمل أفضل وارتفاع الأجور، هنا بحكم، موقعها ببغداد الأمر الذي أدى إلى زيادة الهجرة إليها.

٣-كذلك يعني تبرير هذا وجود السكن المشترك لأسر عدة سواء ترتبط بعلاقات قرابة أو غير قرابة لتخفيف الأعباء الاقتصادية.

جدول ٢١- يبين المرافق المتوفرة في المسكن مقارنة لمنطقتي الدراسة.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٢١٧	٢١٧	٢١٧	٢١٧	١٠٠	١٠٠	-
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	١٠٠	٢٠٠	٢١٠	-	-	-	-
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

إن هذه البيانات تكشف وبمقارنة سهلة مدى الفارق من حيث الخدمات المتوفرة لدى منطقتي الدراسة، فإذا علمنا أن الخدمات المذكورة أعلاه، إذا ما توفرت، فإنها توفر جواً معيشياً جيداً ومن أجل تخفيف الأعباء الاقتصادية على الأسرة فإنها عامل مهم يساعد على التكييف الاجتماعي من خلال مسايرة المجتمع الأوسع وتقليل الفوارق المادية والنفسية أيضاً.

الأنشطة الاقتصادية الأخرى:

وتتمثل في مجموعة نشاطات أهمها(سياقة سيارات الأجرة) تصليح بعض الآلات الموسيقية والبيع والشراء فيها .

ومهنة سياقة السيارات مهنة مفضلة لدى الكاولية لأنها تقضي المزيد

من احتياجاتهم وتجنبهم جشع السواق الآخرين، وعموماً، هناك قلة قليلة من الغجر ممن وظفوا أحوالهم في شراء سيارة خاصة أو سيارة أجرة، وكما علمنا أن الغجر وبرغم مدخولاتهم العالية، فإنهم لا يدخرون أموالهم، وذلك لأسباب منها كثرة متطلبات حياتهم ومجالات إنفاقهم ومنها المقامرة حيث يلجأ الكثير منهم إلى المقامرة والتبذير وقد شاهد الباحث أثناء الدراسة الميدانية مظاهر عدة للمقامرة منها لعب الورق أو المشاركة في مسابقات الخيل(ريسز كما تسمى باللهجة العراقية) ومراهنات مصارعة الديكة. ومن أسباب عدم ادخارهم هو كثرة مشاكلهم التي يتطلب حل معظمها إنفاق الأموال وحتى في حل خصوماتهم وأيضاً، غياب الحس التجاري لديهم وعدم ثقتهم فيمن يتطلب الأمر التعاون معه لاستثمار أموالهم .

وهذا لا يمنع من القول: إن بعضهم قد تملك عقارات واستثمر أمواله في مشاريع جيدة وينطبق ذلك خاصة على بعض غجر الكمالية.

وتكاد تختفي الطبقية في المجتمع الغجري، خاصة تلك المبنية على أساس اقتصادي مع العلم أن منطقة الكاولية في الكمالية تمتاز بوضع اقتصادي أفضل وخدما ت جيدة بحكم موقعها ببغداد. وفي المنطقة نفسها هناك بعض البيوت التي يدل بناؤها وأثاثها على ارتفاع الحالة المادية و المنزلة الأفضل مثل بيت أولاد الشيخ نمر(محمد وغضبان).

وتظهر المقارنة قلة الخدمات المتوفرة لدى منطقة الفوار عنها لدى الكمالية ولأسباب كثيرة أبرزها :

١ . إن منطقة الكمالية التي تقع، الآن، ضمن حدود أمانة بغداد وهي ذات أهمية كبيرة لابد أن تحظى برعاية كبقية مناطق العاصمة على عكس منطقة الفوار التي تقع منعزلة بمسافة (١٢كلم) عن مدينة الديوانية مركز محافظة القادسية.

٢. إن منطقة غجر الكمالية تقع ضمن رقعة جغرافية مسكونة مشاركة بين غجر الكمالية وباقي السكان من الناس العرب (كما يسميهم الغجر) ولا يفصل بينهم سوى شارع بعرض نحو (١٠ أمتار).

ويمتاز ساكنو منطقة الكمالية من الغجر بارتفاع مستوى دخلهم المادي مقارنة بمناطق الغجر الأخرى ومنها الفوار، علماً أن المصداقية تكاد تغيب في إجابات المبحوثين بسبب تخوف مجتمع الدراسة من إعطاء بيانات صحيحة، وذلك بسبب سوء الظن بالغريب الذي يرافقهم جراء تخوفهم بسبب عدم شرعية معظم الأفعال التي يقوم بها وكثرة مشاكلهم مع مرتاديهم. ومن ثم عدم ثبات الأجور وعدم انتظام العمل الذي يؤدونه بسبب طبيعته. لكن عموماً، أن مستوى الدخل الشهري لمنطقة الكمالية أعلى مما هو عليه في الفوار وذلك بسبب موقعها من بغداد والذي يعني كثرة من يرتادهم بسبب كثرة الكثافة السكانية لبغداد والمجهولية التي تغلف مجتمعها والانفتاح الذي يوجد فيها وكثرة فرص العمل فيها ومنها كثرة الملاهي الليلية وارتفاع المستوى المعيشي لمدينة بغداد.

وتظهر مواهب في الغناء والرقص لدى الغجر في باقي مناطقهم فيهاجرون الى بغداد وذلك من أجل الحصول على دخل أفضل، إضافة إلى توفر فرص البروز أمام وسائل الإعلام ومكاتب التسجيلات التي تسجل لهم الأشرطة وتطبع صورهم.

لقد بينت بيانات الدراسة الميدانية ارتفاع تكاليف المعيشة في منطقة الكمالية مقارنة بمناطق الغجر الأخرى، ومنها الفوار بمحافظة القادسية وذلك ناتج عن أسباب منها كثرة متطلبات الحياة في منطقة تقع في العاصمة، إضافة إلى غلاء الأسعار في بغداد أكثر منها في محافظة القادسية، هذا مع ملاحظة بعض الأمور التي جاءت عكسية من هذا التفسير؛ فمثلاً إن عدم إيصال الماء الصافي بالانابيب إلى منطقة الغجر في الفوار أدى إلى ارتفاع التكاليف

التي تنفق لهذا الغرض حيث يصل الماء عن طريق سيارات تانكر إلى القرية ويباع بأسعار مرتفعة جداً(مثلا ملء تانكي الماء متوسط الحجم للبيت يعادل دولاراً واحداً تقريباً) واستخدامات هذا لا تتجاوز اليومين لأغراض بيته ، أما أغراض الاستحمام فيتعذر على معظم السكان القيام به في بيوتهم لذلك يلجأ أهالي المنطقة إلى المدن القريبة وخاصة مدينة عفك التي تبعد بنحو (٢٠ كلم) شمال شرقي القرية ويتوفر فيها حمام شعبي كبير مخصص فيه يومان للنساء هما يوما الاثنين والخميس وقد شاهد الباحث استمرار تردد الغجر إلى هذا الحمام .

إن عدم إيصال الماء بالأنابيب إلى هذه المنطقة سبب معاناة كبيرة لأهلها وأضعف من كلف المعيشة وكذلك كان سبباً في جعلها منطقة طرد سكاني بعد أن كانت منطقة استقطاب لفترة قريبة .

إن مجالات الإنفاق على الحمام والزينة(المكياج) ضرورية جداً بالنسبة للمرأة الغجرية وذلك لتعلق الأمر بالمهن التي تزاولها فمجالسة الرجال الزبائن (الكيافة) [١] كما يسميهم الغجر . والرقص والغناء أو الجلوس بمحل تجاري أو محل بيع مشروبات كحولية يتطلب النظافة والمظهر الجميل.

من مقارنة مجال النقل نلاحظ الفرق أكثر في جانب منطقة الكمالية لقربها من بغداد وتيسر وسائل النقل عكس منطقة الفوار المنعزلة والتي لا يصل إليها خط مباشر سوى سيارات أجرة صالون (تاكسي) تعمل على خط بأجرة وصلت إلى (ما يعادل النصف دولار) للنفر بين الديوانية والقرية، لكن الأمر يتضح أن سبب هذا كثرة تردد غجر الكمالية على مناطق بغداد وباستمرار .

١- هي كلمة عامية في اللهجة العراقية ومأخوذة من كلمة (كيف) والتي تعني المزاج الرائق والراحة النفسية ومنها يقال (بكيفي أي بمزاجي) واصبحت كلمة كيف تطلق على الغناء والطرب.

ويظهر الفارق الاقتصادي بين منطقة الغجر في الكمالية كنمط من استيطان الغجر وغيرها من تجمعاتهم الأخرى حيث أن ذلك ناتج من جراء ارتفاع الدخل في منطقة الكمالية الناجم عن توفر فرص العمل فيها. إن وجود المزيد من مثل هذا الأثاث يعني الاقتراب والتماثل مع المجتمع الأوسع والتكيّف مع التكنولوجيا .

حيث أن توفر أجهزة منها جهاز التلفزيون الذي هو أهم أجهزة الإعلام يعد عاملاً مهماً في التأثير والتوجيه في أي مجتمع كان فكثرة توفر أجهزة التلفزيون والراديو تعني أن بإمكاننا أن نسيطر قدر الإمكان على توجيه وإيصال خطط الدولة وسياستها والطابع القومي ورموز الحضارة وإزالة الفوارق الثقافية بين الثقافات الفرعية .

مما شاهده الباحث، أثناء الدراسة الميدانية في منطقة الفوار، استخدام التنور التقليدي الطيني وهو جانب اقتصادي جيد لبعض الأسر حيث يوفر عليهم شراء قناني الغاز التي تباع بأسعار مرتفعة تصل إلى (مايعادل النصف دولار) أحياناً حينما تباع في منطقتهم. ويستخدم مع التنور الطيني الحطب الذي يجلب من دون كلفة مادية من المناطق الزراعية المجاورة .

الخلاصة :

وعند إلقاء نظرة شاملة على النشاطات الاقتصادية نستطيع أن نخرج بخلاصة موجزة مشخصة بالتالي :

١. إن معظم النشاطات الاقتصادية للغجر، غير مرغوبة من المجتمع العراقي، كذلك معظمها مخالف للشريعة والقانون والعرف .

٢. إنها لم تكن إنتاجية أو تسد حاجة غذائية أو ملبس أو تجهز السوق بل هي استهلاكية خدمية ترفيهية .

٣. إن مدخولات الغجر المادية كبيرة لكن متطلباتهم وإنفاقهم كبير،

أيضاً، لذلك نرى غياب الطبقية المبنية على أساس اقتصادي في مجتمعهم وخاصة في منطقة الفوار .

٤. إن الاقتصاد الغجري يمتاز بخطورة كبيرة؛ فهو مرهون بظروف عديدة يمكن أن تؤثر فيه، منها سياسة الدولة والظروف الاجتماعية وكذلك أنهم لا يمتلكون مهارات أو كفاءات علمية تؤهلهم لتحول مهنهم بسرعة .

٥. إن العائلة الغجرية تعتمد باقتصادها على شخص واحد، أحياناً، ولذلك نرى ارتفاع نسبة البطالة .

٦. إن الاقتصاد الغجري يعتمد بصورة رئيسة على المرأة بسبب طبيعة نشاطاتهم الاقتصادية .

إن أهم تأثيرات العلاقة الاقتصادية لنشاطات الغجر في البناء الاجتماعي لمجتمعهم يمكن أن توجز في التالي :

١. إن العمل في مهنة محتقرة من الآخرين تجعل الشخص يحتقر نفسه وينظر إلى نفسه نظرة انتقاص، وعلى الأخص عندما يكون في أوساطهم، وهذا ما يسمى حسب ما ذكرنا سابقاً بضعف احترام الذات والذي له انعكاسات عديدة منها انغماسه وتعلقه في ثقافته الفردية وبالتالي بطء تكيّفه الاجتماعي .

٢. إن العلاقات المادية البحتة التي تكاد تغلف حتى علاقات أبناء الأسرة الواحدة تؤدي إلى نمو شخصية قلقة ومغتربة في كثير من الأحيان.

٣. إن هذه الفعاليات الاقتصادية الرئيسة(الطرب تجارة الجنس التعامل في المشروبات الكحولية) التي تتم في الوسط العائلي تعني اطلاع كل أبناء الأسرة عليها حتى الأطفال ويعني اطلاعهم على واقع ذويهم وبالتالي، إما أن يتعلق هؤلاء الأطفال متأثرين بذويهم وأعمالهم وإما أن ينشأوا متقاطعين متضادين مع ذويهم. وكلا الأمرين مشكلة كبيرة. كما أن طبيعة ممارسة مثل

هذه الفعاليات الاقتصادية التي تمتاز، عموماً، بالانشغال المستمر واللامبالية وقلة المسؤولية والإحساس بالذنب، طالما أن المجتمع يرفضها كل ذلك يؤدي إلى التفكك الأسري. وقد لاحظ الباحث قلة الاهتمام بالأبناء وخاصة البنين بينما تلقى البنت عناية خاصة وذلك لتأهيلها مستقبلاً، لتكون ناجحة في مجال فنون الطرب. كذلك لاحظ الباحث إهمال كبار السن والعجزة من قبل ذويهم وهذا الأمر ناتج عن ضعف العلاقات الإنسانية وأن منزلة الشخص ورعايته حتى في الأسرة الواحدة مرهونة بما يقدمه من عطاء أو مردود مادي وهو ما يؤكد النقطة (٢) من أعلاه وما نصت عليه النظرية التبادلية .

الفصل السابع

الضبط الاجتماعي في مجتمع الكاولية

مصادر الضبط في مجتمع الكاولية:

١. القانون (الشرطة)

٢. الدين

٣. الأعراف، الجزاءات العشائرية

الضبط الاجتماعي social control :

إن للضبط الاجتماعي أهمية كبيرة في فهم واستيعاب أي مجتمع يراد دراسته، لذلك نرى أنه لا تكاد تخلو أية دراسة لمجتمع ما منه، وقد جاء في تعريفات الضبط الاجتماعي «إنه محور ارتكاز مهم بالنسبة لعلم الاجتماع اليوم ووصل اهتمام بعض الباحثين به إلى أنهم يتصورون أن كل مسائل علم الاجتماع يمكن أن تدرج تحت هذا الموضوع بالرغم مما في هذا الرأي من مبالغة كبرى».(١)

ويستعمل هذا المصطلح (الضبط الاجتماعي) في ذلك الجزء من النظرية الاجتماعية الذي يهتم بدراسة أساليب المحافظة على النظام والاستقرار . أو قد يستعمل بمعناه الضيق الذي يشير إلى الوسائل الاخصائية التي تستعمل للمحافظة على النظام كالقوانين والمحاكم وقوات الأمن والشرطة وأحياناً، يستعمل في دراسة المؤسسات الاجتماعية وعلاقتها الواحدة بالأخرى وقت قيامها بالمحافظة على الاستقرار الاجتماعي وهذه المؤسسات هي المؤسسات الشرعية والدينية والسياسية .(٢) .

والجماعات الغجرية في العراق تعد في نظر باقي فئات المجتمع العراقي خارجة على القانون والعرف والدين، فإذا هي خارجة على نطاق الضبط الاجتماعي العام، فكيف ننظر إليهم وكيف ندرس الضبط الاجتماعي، هل ندرسه على أساس أنهم جزء من المجتمع العراقي وينطبق عليهم ما ينطبق عليه أم ندرس الضبط كثقافة فرعية مع باقي الأنساق ليشكلوا ثقافة فرعية في ثقافة المجتمع العراقي الشاملة؟.

وستكون دراسة ذلك شاملة وتوفيقية بين النظرتين على أساس

١- الخشاب، أحمد، الضبط الاجتماعي: أسسه وتطبيقاته العملية، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٩.

٢- دنكن، ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان الحسن، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٨١.

تابعيتهم وعدم اقتطاعهم من بناء المجتمع الشامل مع النظرة إليهم كثقافة فرعية متمايزة

المجتمع الغجري كيف يسير أموره؟ هل هناك أنظمة تحكمه؟ قواعد للسلوك؟ وسائل ضبط؟ أم أنه مجتمع فوضوي، طالما أن معظم مهنه خارجة على القانون والشريعة وقواعد المجتمع الشمولي (مجتمع الدولة العراقية التي تحتضن هذه الجماعة) .

لا شك، أن ليس هناك مجتمع على وجه الكرة الأرضية ليس له قواعد ونظم تحكمه وإن كان هذا المجتمع فإن وسائله لذلك بدائية أيضاً، وبسيطة وتنظم حياته وتساعد على عدم هدم كيانه وبنائه الاجتماعي الذي امتاز به. وقد أكدت ذلك الدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها علماء الأنثروبولوجي أمثال (مالينوفسكي، ايفان بريتشارد، لوسي مير، مارغريت ميد ورادكليف براون وغيرهم) وذلك على مجتمعات بدائية وبسيطة جداً في طريقة حياتها، بل معزولة، تماماً، عن العالم وحتى وقت قريب وفي أماكن معزولة كما في وسط أحراش إفريقيا والمحيط الهندي والمحيط الهادي والقطب الشمالي).

وأهم مصادر الضبط الاجتماعي في المجتمع الغجري:

أولاً: سلطة القانون (الشرطة):

وهي الخشية الشديدة من رجال الشرطة ولا شك هذه ناتجة عن أسباب عدة هي :

- القسوة الشديدة التي يعامل بها أفراد الشرطة الكاولية، وذلك ناتج عن الفكرة التي يحملها

رجال الشرطة عنهم كونهم خارجين على القانون والشريعة والعرف.

- كثرة المخالفات والمشاكل التي تحدث في مناطق الكاولية.

- قناعتهم بأن الشرطة هي أقوى سلطة وحلولها تفوق الجهات الأخرى مثل مجلس العشيرة أو المختار أو غيرها .

والكاولي، هنا، لا يفهم القانون سوى(شرطة) وما يخشاه من الشرطة هو(العقوبات الجسدية، السجن، الغرامة المالية، تجريده من بعض أشيائه غير الشرعية مثل حيازة سلاح غير مرخص أو حتى خشية أن ينكشف أمره في حالة إيوائه لفتاة مومس فيلحقه جزاء ذلك عقوبات بعد تجريده منها.

ومشاكل الغجر كثيرة، كما ذكرنا، وهي ناتجة عن طبيعة مهنهم وعن تصور الناس عنهم وعن كون بعض المترددين عليهم خارجين عن القانون أو انهم يخلقون لهم مشاكل بسبب السكر وغيره.

ودعاوى الغجر كثيرة في مراكز الشرطة وهي إما أن تكون بين الغجر انفسهم وتبدأ من أدناها كالاختلاف عن بعض الأمور أو الشجار أو مشاكل الطلاق أو مخالفات البيع أو مشاكل ناتجة عن النساء(المتغجرات) أو شرب الخمر وجلسات الطرب، أو مشاكل ناجمة عن علاقات الجيرة أو القرابة أو المصاهرة أو أن تكون بين الغجر وغيرهم من المترددين عليهم أو المتعاملين معهم سواء في المدينة أو مناطقهم.

وشيء طبيعي أن تحدث مشاكل في أي مجتمع وأن تصل إلى مراكز الشرطة هو شيء عادي جداً ، لكن أن تصل إلى حد مبالغ فيه ومثال ذلك في مناطق الغجر، وكما أفاد لي السادة المسؤولون في مراكز الشرطة المعنية بمنطقتي الدراسة وقد كان في السابق قبل منح الجنسية العراقية للغجر، يشخص المعني إذا كان غجرياً بكلمة(كاولي أو غجري) في سجلات الشرطة وكان يمكن إحصاء أو تشخيص دعاوي الغجر بسهولة، لكن الآن

وبعد أن عوملوا عراقيين بعد منحهم الجنسية، يصعب البحث في سجلات الشرطة لتشخيص إذا كانت الدعوى تخص غجرياً أو غيره إلا بعد تشخيص نوعها.

وكثرة الدعاوى المرفوعة إلى الشرطة، إلى حد كبير مقارنة بمشاكل العامة(غير الغجر)، يشير إلى أمور يمكن إيجازها بالتالي:

١. خروج معظم سكان هذا المجتمع على القانون والدين والعرف الاجتماعي السائد في المجتمع الكبير، والمتمثل إما ببعض مهنهم أو ما يترتب عليها من سلوك وتصرفات.

٢. ضعف عوامل الضبط الاجتماعي الداخلية لهم .

٣. ضعف تكيّفهم أو صعوبة تقبل الناس لهم .

جدول رقم – ٢٢- يمثل الجهة أو وسيلة الضبط التي يحسب لها أكثر حساباً عند الغجر.

الكمالية	٤٩	٣	١	١	٥٤
الفوار	٣٥	٦	٥	-	٤٦

تظهر بيانات الدراسة الميدانية أن الشرطة هي أكثر جهة يحسب لها حساباً من الغجر ومن كلتا المنطقتين. ونرى أن السبب هو ضعف عوامل الضبط الأخرى مقابل قوة وسطوة الشرطة تجاههم واطلاعهم على بعض الجزاءات التي تقع بحق المخالفين.

جدول - ٢٣- يبين بعض العقوبات والأحكام الصادرة بحق أفراد أسر العينة.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٤	١٨	٢٥	٩	-	٥٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٣	١٠	١٣	٧	-	٣٣
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

من مقارنة نسبة العقوبات والتي استحصلت بياناتها من عينة الدراسة من الأسر في منطقتي الدراسة تظهر النسبة مرتفعة في منطقة غجر الكمالية عما هي عليها في الفوار، والسبب هو كثرة المشاكل فيها(الكمالية) بسبب موقعها ببغداد ذات الكثافة السكانية العالية ووقوع منطقة سكن الغجر على تماس مباشر مع غير الغجر مما يؤدي إلى حوادث كثيرة، إضافة إلى قرب مركز الشرطة من المنطقة مما يؤدي إلى سهولة القبض أو التحري عن الجاني هذا كله عكس منطقة الفوار التي يكون اقرب مركز شرطة إليها هو(حي النهضة) في الديوانية ويبعد نحو(١٥ كلم) .

إن هذه الأحكام والجزاءات لها دور كبير في ضبط سلوك الأفراد وهو الأمر الذي جعلهم يحسبون حساباً أكبر للشرطة وقد علم الباحث أثناء الدراسة الميدانية أن هذه الأحكام جاءت جراءارتكاب بعضهم جرائم كبيرة منها القتل العمد والخطف والتهرب من الخدمة العسكرية أو الاعتداء أو السرقة وأقلها مخالفة سواق السيارات منهم .

ثانياً : الدين :

ويأتي في المرتبة الثانية باعتباره عامل ضبط في مناطق الغجر. ومع الاهتمام الظاهر، أحياناً، ببعض الطقوس الدينية لكنها لا تعد عامل ضبط

رئيساً في حياتهم وقد فسرنا ذلك في فصل النسق الديني.

وقد أظهرت استمارة المقابلة ردوداً متنوعة إزاء بعض الأسئلة التي طرحت وهذه جداول البيانات :

جدول -٤٢- يبين ما إذا كان المبحوث ينظر إلى أعماله التي يقوم بها على أساس مبدأ الحلال أو الحرام.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	١٥	٣٩	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٢٠	٢٦	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

إن البيانات أعلاه تظهر إن من يمتلك نظرة عن الأعمال التي يفعلها مبنية على أساس الحلال والحرام هم اقل من النصف عموما ، لعينة البحث في منطقتي الكمالية والفوار . وفي منطقة غجر الكمالية نرى ان النسبة قليلة وهي (٢٨٪) من عينة البحث في الكمالية وهي (٥٤ أسرة) وهي اقل من نظيرتها في منطقة الغجر في الفوار والتي وصلت في هذه الأخيرة إلى (٤٣ ٪) وهي، عموماً، اقل من نصف العينة لهذه المنطقة، أيضاً .

إن تفسير هذا الفارق هو راجع، كما ذكرت مسبقاً،(راجع فصل النسق الديني) إلى وقوع منطقة غجر الفوار في منطقة تقرب، نسبياً، من الأماكن المقدسة في كربلاء والنجف والكوفة ، وفي مجتمع محافظ نسبياً قياساً بمجتمع بغداد العاصمة الواسع بالنسبة للكمالية وكثرة ترددهم إلى هذه الأماكن المقدسة وهو نوع من التكيّف مع المجتمع الكبير(الشمولي) . كما ان الأمر يعني جهل وتجاهل معظم هؤلاء بالمبادئ الدينية.

ويلجأ الغجر مثل محيطهم الاجتماعي الشعبي إلى أداء القسم. إن القسم(اليمين) ويسمى(الحلف) يعد من عوامل الضبط الاجتماعي المهمة

وخاصة عند الغجر، ويعد القسم في مراقد الأولياء والأئمة أهم مرجع لكل الإشكالات التي تقتضي القسم حلاً. فإذا وصل الأمر إلى هذه المرحلة لدى الغجر، فإن الأشخاص المعنيين يجهزون أنفسهم فيغتسلون ويتطهرون ويقصدون أحد مراقد الأولياء وخاصة مرقد الإمام العباس بن علي بن أبي طالب في كربلاء، فيؤدون القسم هناك والشخص في هذه الحالة أشد خشية وتهيباً وذلك لقناعتهم بان الله سيصيبه بأذى بسبب منزلة العباس عنده ويلقبونه(العباس أبو راس الحار) أي أنه سريع الغضب حينما يقسم عنده أحد ما كذباً.

ويقصد هذا المكان من معظم مناطق الغجر وخاصة من الفوار وفي الكمالية يقصدون مرقد الإمام الكاظم في بغداد إن لم يقصدوا كربلاء أو النجف.

ويؤمن معظم الغجر أو الكاولية في العراق بأمور تعد غيبية من وجهة النظر العلمية ومنها ما يعرف بالشارة[1] عند السادة أو البخت.

حيث أنه كما لدى الكثير من المجتمعات الدينية والمجتمعات التي تعتمد الغيبية في حياتها(أي غير العلمانية) فإن هناك كثيراً من المعتقدات التي تضبط سلوكها في جوانب معينة من الحياة ومثال ذلك« المانا عند البلونيزيين والميلانيزيين»[2] والكرامة عند المصريين وغيرها.

وقد وجد الباحث أن الغجر وخاصة في منطقة الفوار يخشون الشارة عند السادة ويتجنبون التجاوز عليهم ولو بكلمة وبعد استطلاع عينة البحث ظهرت النتائج أعلاه ويظهر التفاوت بين منطقتي الدراسة وقد

١- الشارة تعني الكرامة التي يمتلكها الشخص ذو المنزلة الدينية الكبيرة والتي يهبها الله له لتقواه وزهده، او لنسبه - كالسادة المنحدرين من نسب علي بن ابي طالب وزوجته فاطمة بنت النبي محمد- والكرامة او – الشارة – هنا قابلية باراسايكولوجية او خارقة على إصابة من يؤذيهم او يسيء إليهم.

٢- مير، لوسي، ٤٦٤مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٤.

شرحت الأسباب التي تفسر ذلك في شرح للجداول السابقة المماثلة في هذا الفصل.

وبالرغم من أن الغجر لا يعيش في أوساطهم أحد من السادة أو أصحاب البخت والشارة لكنهم يتجنبونهم، ونرى أن ذلك ناتج، بصورة عامة، عن ترددهم إلى مراقد الأولياء وما يسمعونه بهذا الشأن، كذلك نرى أنه نوع مكمل للطقوس التكفيرية التي سبقت الإشارة إليها.

مما شاهده الباحث، أيضاً، هو شدة المبالغة بهذا الجانب حيث (يقسمون ببعض السادة مثل سيد مالك وهو شخص مازال على قيد الحياة وله منزلة جيدة وشهرة بهذا الجانب ويعيش في النعمانية بمحافظة واسط).

ثالثاً: الأعراف (mores):

هي مجموعة النماذج السلوكية التي يجب الالتزام بها من قبل أفراد المجتمع لما لها من أهمية تقليدية واجتماعية بالغة[١].

إن الأعراف أداة مهمة من أدوات الضبط الاجتماعي، وهي تمثل الدائرة الصغيرة للثقافة الفرعية لمجتمع ما وما امتاز به من عادات وتقاليد وقيم سار عليها. وذلك للمحافظة على البناء الاجتماعي وكيانه الداخلي العام.

والأعراف لدى المجتمع الغجري هي الضوابط الداخلية الأخرى التي تحدد وتقيد سلوك أبناء هذا المجتمع من غير أدوات الضبط الأخرى(القانون والدين)، التي ذكرت سابقاً، والتي تتعلق بعادات وقيم وتقاليد هذا المجتمع.

إن الشخص إذا ما سار بسلوك مخالف لسلوك مجتمعه نجد أن الرادع

١- المصدر نفسه، ص ٤٦٤.

يأتيه إما عن طريق قوة خارجية تمثل القانون أو الدين أو العرف العام (كمجلس القبيلة أو الأسرة أو الرأي العام) وإما من قوة داخلية من ذات الشخص ندعوها بتأنيب الضمير.

وقد طالعنا في بداية هذا الفصل وفي الجدول (٤٠) أن العرف (والذي صنفناه تحت اسم انتقاد الآخرين) انه يأتي بالمرتبة الثالثة، طبقاً لحسابات الغجر باعتباره وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي.

والمجتمع الغجري يمتلك أعرافاً تعد أداة ضبط لكنها ضعيفة في بسط نفوذها وسطوتها على أفرادها ومن يخرج عليها يكون تهديده ضعيفاً منها وقياساً بما كانت عليه في السابق وذلك لأسباب:

١. إن المجتمع الغجري يعيش مرحلة تفكك لبنائه الاجتماعي والأخلاقي.

٢. إن انفتاح المجتمع الغجري (كثقافة فرعية) على المجتمع الشمولي الأوسع (العراقي) أدى إلى اطلاع الغجر على حقيقة موقعهم من الثقافة السائدة وكون أن ثقافتهم تتسم ببعض القيم التي تصطدم بقيم ومعايير المجتمع الأوسع وهذا الأمر يعرضهم إلى الرفض أو النبذ الاجتماعي وهذه قاعدة عامة.[1] وأن ثقافتهم هذه ممكن أن نسميها ثقافة متقاطعة.

٣. التفكك الأسري الذي تعيشه الأسرة الغجرية بسبب طبيعة مهنهم.

ويظهر الجدول التالي من ممارسات أبنائها لبعض الأعمال التي تعد شاذة وغير مرغوبة من حيث المبدأ العام وحسب تصريحهم أيضاً، وأنها تقود إلى الانحراف وإلى الأضرار الصحية والاقتصادية وتخل بالعرف العام، ويأتي ذلك بالرغم ممارسة معظم كبارهم وأولياء الأمور لها.

١- انظر النوري، قيس، الثقافات الفرعية وإشكالية الإنماء المهني في الخليج العربي، مجلة دراسات عربية، العدد ٤، السنة ٢٩، كانون الثاني (يناير) - شباط (فبراير) ١٩٩٣، ص ٧٠.

جدول – ٢٥- يبين مدى سعي الأسرة لوضع ضوابط على أبنائها لمنعهم من ممارسة بعض الأفعال التي تعد إنحرافية.

الأفعال	نعم	٪	لا	٪	مجموع	نعم	٪	لا	٪	مجموع
البغاء	٥١	٩٥	٣	٥	٥٤	٤٣	٩٣	٣	٧	٤٦
التدخين	١٥	٢٨	٣٩	٧٢	٥٤	١٨	٣٩	٢٨	٦١	٤٦

عند مطالعة الجدول أعلاه يجب الانتباه لما يلي:

١- إن المقصود بالضوابط، هنا، قد تبدأ من التوجيه أو التحذير أو التوبيخ وتتدرج إلى المنع باستخدام القسوة أو أية وسيلة أخرى.

٢- إن كلمة الأبناء تشمل (الأولاد والبنات) وقد أراد الباحث بذلك الأحداث والذين هم دون سن الرشد (١٨ سنة)، وقد حاول أن يفهم ذلك لعينة البحث من أرباب الأسر.

٣- يجب أن تكون هناك محاذير كثيرة تتعلق بمدى صدق المعلومات التي يدلي بها أفراد العينة من مجتمع البحث، وذلك لحساسية الموضوع لأنهم يتحفظون جداً أمام الشخص الذي يأتيهم من غير الغجر، ومن جانب الحكومة ويتصورون أنه أتى ليأخذ معلومات عن قضية تخص مخالفاتهم أو يبحث عن شخص خارج على القانون. كما أنهم يتظاهرون بأنهم يماثلون المجتمع الأوسع (العراقي) بكل شيء.

٤- في معظم المجتمعات يكون هناك فصل في الضوابط المفروضة على البنت عن تلك التي تفرض على الولد، ولاشك أن ذلك موجود في مجتمع الغجر، لكن لو وضع في استمارة المقابلة، لكانت النتائج متوقعة وهي اتخاذ صفة المثالية وعلى وفق ما يبعد أية شبهة يتصورون أنها ستأتي عليهم.

ويأتي دور الدراسة الميدانية من خلال الملاحظة والمشاركة للباحث في بعض المواقف والتداخل مع مجتمع البحث، فإنه لاحظ بهذا الخصوص ما يلي:

١- ما يتعلق بشرب المسكرات، فإن الأسر إن وضعت ضوابط أو منعت أبناءها من ذلك، فإنها لأسباب اقتصادية وليست قيمية وأخلاقية. كما لاحظ الباحث الكثير من مشاهد شرب الخمر يشترك فيها الأطفال (بنين وبنات) مع أسرهم أو أصدقائهم.

٢- في ما يخص البغاء، هناك تأكيد شديد يدعو الفتاة إلى أن لا تمارسه، وذلك لأسباب سنبينها لاحقاً.

إن تأكيد احتفاظ البنت ببكارتها قبل الزواج مهم جدا عند معظم الغجر والأسباب لا تتعلق بالشرف عند معظم الغجر وإنما لأهمية ذلك في الزواج الأول عند الغجر، حيث يكون صفقة كبيرة خصوصاً إذا كان العريس من غير الغجر وخاصة أنه، يتم أحياناً، بدون عقد زواج شرعي في المحكمة أو عند رجل دين(مؤمن).

٣- أما في ما يخص لعب القمار والتدخين، فإذا ما حصل المنع ومراقبة الأبناء، فالأسباب اقتصادية بحتة، وهي خشية الأهل من الخسائر المادية التي تلحق بهم. وقد لاحظ الباحث أن مظاهر لعب القمار تتم بصورة منتظمة وبجلسات تخصص، أحياناً، لأشخاص مهمين من خارج مجتمع الغجر، وهم من ذوي الدخل المادي المرتفع وتشاركهم فتيات الغجر او المقيمات عندهم باللعب.

٤- وأما ارتداء الملابس الشاذة أو الغريبة، فقد لاحظ الباحث ارتداء تقليعات من الملابس، قد لا تخطر على بال وخاصة لدى الفتيات مثل(ارتداء ملابس خفيفة جداً وشفافة)، أو ارتداء تنورة قصيرة جداً(مثل تنورة لاعبات التنس) وسوتيان(حمالة الصدر brassiere) مع ترك باقي أجزاء الجسم مكشوفة. كما أن هناك من يرتدين ملابس تماثل ملابس الرقص الشرقي التي نشاهدها في الأفلام العربية. أو ارتداء سراويل وبناطيل بأنواع وموضات مختلفة.

وطبعاً، أن أمر ارتداء مثل هذه الملابس مفهوم وهو لأغراض الإغراء حيث تخرج الفتاة إلى الباب وتقف بأوضاع مختلفة كما تعمل المعاكسة والحرشة وهي عكس (الحرشة) التي اعتدناها في المدن، حيث الفتى يعاكس الفتاة.

أما في حالة خروج الكاولية إلى المدن، فإنهم يحرصون على ارتداء ملابس مماثلة لملابس المجتمع الذي يقصدونه وبعضهم يتحفظ ويبالغ في

تحفظه. فبعض النساء يرتدين العباءة وبعضهم يرتدي العباءة الإسلامية وخاصة عندما يقصدن الأماكن المقدسة لغرض التبضع أو لقصد حمام المدينة. وهو نوع من التكيّف الاجتماعي وللابتعاد عن مضايقات بعض العامة أو إشارة إليهم.

وتؤدي التنظيمات العشائرية دوراً جيداً في ضبط سلوك أفرادها، كما تؤدي أدواراً إدارية وتنظيمية أخرى. وتتوقف قوة دور العشيرة على ضعف الأدوار الأخرى لبعض مصادر الضبط الاجتماعي كالسلطة المستندة إلى قانون وضعي، ومدى استجابة وتكيّف هذا المجتمع وخضوعه لتلك السلطة.

والمجتمع الغجري يستند بطبيعته إلى نظام عشائري، فرئيس العشيرة أو الفخذ أو الجماعة الغجرية المترحلة هو المسؤول أمام الجهات الرسمية أو الشعبية عن جماعته. وهو الذي يلجأ إليه أفراد جماعته لفض بعض النزاعات والخصومات. ويمتلك قوة معنوية تؤثر فيهم. ومع تغيّر طبيعة حياة المجتمع الغجري، من خلال الاستقرار والاتصال الحضاري المستمر وخضوعهم لسلطة القانون (الدولة)، وتغيّر مهنهم بأخرى تغيرت معها طبيعة قوة التأثير العشائرية، حيث وهنت وأصبحت سلطتها ضعيفة ومرهونة بحل بعض الأمور التي يكون شبه متفق عليها، وخصوصاً تلك التي يترتب عليها اللجوء إلى الشرطة تبعات ثقيلة مثل الخطف والإغتصاب والنزاعات بين أفراد الوحدة القرابية.

الجزاءات العشائرية:

لا توجد هناك (سواني)[1] مكتوبة لدى الغجر مثل باقي معظم العشائر

١- السانية: هي القانون العرفي المحلي المكتوب لكل عشيرة أو مجموعة عشائر، تكاتبت عليه. ويتم فيها تحديد عقوبات وجزاءات تجاه كل مخالفة أو جريمة ترتكب وكذلك الحلول تجاه مشاكل ونزاعات تحدث داخل العشيرة نفسها او احد افرادها ضد شخص من عشيرة اخرى.

العراقية. ويتم حل النزاعات والاختلافات بين أفرادهم بواسطة الشيخ، وهو شيخ أحد أكثر العشائر عدداً في موقع هذه الجماعة الغجرية والتي تتألف عادة من أسر تنتمي لأكثر من عشيرة.

وفي مجلس الشيخ حيث يجتمع كبار ووجهاء الجماعة الغجرية ويفرضون (يفتون) بحكمهم في القضية التي يتم اللجوء فيها إليه ويصبح فرضهم (قرارهم) سارياً وتطبيقه واجباً لامناص منه.

والغجر مشاكلهم كثيرة جداً سواء في ما بينهم أو بينهم وبين الزبائن الذين يرتادون مناطقهم. ويتم البت، عادة، في المشاكل التي تحدث بين أفراد الجماعة الغجرية التي تقطن هذا المكان أو أفرادها وأفراد جماعة غجرية أخرى. وإن الأحكام التي تصدر من الشيخ ومجلس العشيرة أو الجماعة الغجرية تكون خاضعة للتقديرات الشخصية وللظروف الآنية وهي متأثرة دائماً بالظروف الاقتصادية.

ومثال الجزاءات ما يلي:

١- إن دية القتيل كانت وحتى وقت قريب (١٥-٢٥ ألف دينار)، وتصل الآن إلى (٥٠ ألف دينار، ما يقرب من ٢٥٠٠ دولار) وفي حالة القتل العمد يتم ترحيل القاتل من المنطقة إلى أخرى. وهذا المقدار ليس متفق عليه، بل خاضع للتقديرات الشخصية.

٢- إن ثمن جريمة الاغتصاب أن يدفع الجاني مهراً للفتاة مضاعفاً، والمهر يقدره أصحاب المجلس و الشيخ، وهو يصل إلى (١٠٠ ألف دينار) أو أكثر. وكذلك يتحمل الجاني الفرشة(وهي تكاليف الطعام والشراب لجلسة حل هذه المشكلة).

٣- إذا أحدث أحد ما عاهة مستديمة في شخص آخر وبقصد، فإن فصلها يصل إلى ما يعادل نصف دية القتيل.

٤- أما باقي الجزاءات، فهي تحدد آنياً في جلسات الشيخ ومجلس الجماعة الغجرية في المنطقة. ويلاحظ المرونة والمطاطية في العقوبات والجزاءات التي تفرض وهي خاضعة للظرف الاقتصادي وقوة الدينار، كما يقولون، وحسب ظروف الحصار.

٥- يتحمل الجاني أو المخالف في معظم هذه الأمور (الفرشة) أيضاً، وهي تكاليف جلسة حل المشكلة. وتشترك الجماعة القرابية برفع التكاليف معه وحسب عددهم (على الرؤوس) كما يسمونها، ولا تلزم كل العشيرة بذلك لتنصل بعضهم وفقر بعضهم الآخر أو سكن بعضهم في منطقة أخرى.

٦- إن بعض الجرائم الكبيرة والمعيبة مثل القتل والزنا يتحملها الجاني فقط.

لقد بدأت تحل سلطة الدولة في كل جوانب حياتهم، تقريباً، ومن خلال قوة الشرطة التي تتردد وتجوب الشوارع بصورة مستمرة، تقريباً، في منطقة الكمالية بسبب كثرة المشاكل التي تحدث فيها وبصورة متقطعة أو إذا اقتضت الضرورة كما في الفوار.

ويؤدي المختار، الآن، دوراً كبيراً، فهو حلقة الوصل بين الدولة والغجر وقد بدأت تحل محل الشيخ في كثير من الأمور.

وتظهر بيانات الدراسة الميدانية النظرة إلى العشيرة ودورها في الضبط الاجتماعي قد أصبح قليلاً وضعيفاً. وفي منطقة غجر الكمالية بصورة خاصة، حيث أن نسبة ٩٠٪ من عينة الدراسة لا تعير لها اهتماماً وتقابلها نسبة ٧٢٪ في الفوار. وذلك لاشك ناتج عن الاستغناء عن دور العشيرة وضعف العلاقات القرابية.

وتظهر بيانات الدراسة، أيضاً، أن نسبة ١٤٪ فقط في الكمالية ممن

يشاركون في دفع الدية مع العشيرة، ولكن ترتفع هذه النسبة إلى ١٩٪ في الفوار.

إن الالتزامات العشائرية هذه بقدر ما تكون نوعاً من التضامن الاجتماعي social solidarity ، فإنها تشكل عبئاً ثقيلاً على العائلة فضلاً على أنها تشجع على ارتكاب الجرائم أو المخالفات حيث يشعر الفرد مسبقاً بالاطمئنان إلى أن هناك من يخفف العبء ويتحمل ويشاركه في تحمل النتيجة. كذلك تقلل هذه من دور القانون والسلطة الرسمية.

خلاصة الضبط الاجتماعي:

١- يتأثر الغجر، بصورة عامة، بوسائل الضبط الاجتماعي العامة للمجتمع العراقي وذلك من خلال تكيّفهم مع بعضها، ولو جزئياً ومحاولة تطبيقها في معاملاتهم الرسمية أو مع العامة.

٢- إن الغجر في نظر غيرهم خارجون على الضبط العام(القانون والعرف والدين)، وهم بهذا يشكلون ثقافة متقاطعة معه ويتعرضون إلى النبذ الاجتماعي أو التحيز.

٣- إن أهم عوامل الضبط الاجتماعي عند الغجر هو سلطة القانون (الشرطة) وهو رادع رئيس لهم ويأتي بالدرجة الأولى، ومن ثم يأتي دور الدين وبعدها العرف من خلال الالتزامات العشائرية. وأخيراً الرأي العام والشعور بالانتماء للجماعة الغجرية والتي أشد ما يربطها ويحفظ بناءها هو عامل التوحد في إطار الجماعة الغجرية والشعور بوحدة المصير جراء التهديد من الخارج والنبذ الاجتماعي والتحامل ضدهم من خارج الجماعة الغجرية.

٤- لا توجد عوامل ضبط مشددة على الأطفال في مسائل تناول المسكرات والقمار والتدخين، وإن توفرت؛ فإنها لأغراض مادية بحتة

تهدف إلى عدم تبذير المال أو المزاحمة العائلية على هذه المواد بين الأطفال وآبائهم.

٥- تمتاز منطقة الغجر في الفوار بأنها أكثر امتثالاً لعوامل الضبط الاجتماعي من منطقة الغجر في الكمالية، وبهذا تكون أقرب تكيّفاً مع المجتمع الاوسع.

الفصل الثامن

الاتصال والتفاعل

Communication & interaction

الاتصال

التفاعل الاجتماعي

نماذج التفاعل الاجتماعي بين الكاولية
ومحيطهم الاجتماعي

خلاصة الاتصال والتفاعل

الاتصال communication:

الاتصال عملية اجتماعية يتم خلالها نقل وتبادل الأفكار والمعلومات بين طرفين أو أكثر داخل نسق اجتماعي سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وباستخدام وسائل اتصالية تعتمد الكلمات والرموز المكتوبة أو المرئية أو المسموعة ، بقصد الإعلام والمعرفة أو الاقناع والتأثير أو الإيحاء بأفكار واتجاهات معينة ، على أن تحدث استجابات معينة أو ردود أفعال إزاء المنبه أو الرسالة الاتصالية.(١)

والاتصال هو العملية أو الموقف أو الأداة، التي تتم بواسطتها نقل مكونات الثقافة من مصدر يسمى المرسل إلى آخر يسمى المستقبل . وتتم عملية النقل هذه عبر قناة واحدة أو قنوات اتصالية عدة وأهم قنوات الاتصال هي :

اللغة :

الاشارات وحركة الجسم .

الفنون:

الراديو

التلفزيون

الصحف والمجلات

النشرات والبوسترات ومطبوعات الإعلانات .

وبالإمكان إضافة وسائل الاتصال الحديثة المرتبطة بشبكة الإنترنت، مثل الايميل(البريد الإلكتروني) والمسنجر والبالتوك والمواقع الإلكترونية، ووسائل الإعلام الإلكترونية الأخرى.

١- عارف، أنثروبولوجيا الاتصال، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠، ص١٤.

وتختلف أشكال الاتصال الحضاري باختلاف الأسس التي تعتمد عليها في دراسته ومن هذه الأشكال:[١]

الاتصال المباشر وغير المباشر، والاتصال الحربي والسلمي والاتصال الأولي والثانوي

أما التفاعل الاجتماعي social interaction فهو التأثير المتبادل بين سلوك الأفراد والجماعات من خلال عملية الاتصال والتفاعل ويقصد به، أيضاً، ما ينتج عن الطبيعة البشرية من تأثير متبادل بين القوى الاجتماعية والثقافية ذاتها، هو نتاج التفاعل الاجتماعي[٢]. إن الاتصال الذي يحدث بين المجتمع الغجري باعتباره ثقافة فرعية للمجتمع العراقي باعتباره مجتمعاً شمولياً (ثقافة سائدة) هو اتصال مباشر ومستمر وقد احدث تفاعل اجتماعي بصورة تغير وتبدل بكثير من انماط الحياة لدى الغجر ويثمر، أيضاً، عن تقارب وتكيّف بكثير من أوجه الحياة الاجتماعية.

وحقيقة الاتصال هي انتقال أو إفشاء أو تبديل الأفكار أو الآراء أو المعلومات بالكلام، الكتابة أو الإشارات التي توصل أو ترسل وثيقة أو رسالة أو وجهات نظر متنقلة أو مادة.[٣]

وقد أتيحت للغجر فرص الاتصال عن طريق جميع قنوات الاتصال وبدرجات متفاوتة. فالاتصال المباشر تام ومستمر بين الغجر والمجتمع العراقي، وذلك عن طريق التعامل والتفاعل اليومي من خلال مهن الغجر، والتي تتطلب التعامل مع غير الغجر، وكما اطلعنا في النسق الاقتصادي. وكذلك من خلال ترددهم على الأسواق والدوائر الرسمية للدولة. وقد أدى ذلك إلى تكوين علاقات صداقة أو جوار وعلاقات اقتصادية(بائع

١- عارف، المرجع نفسه، ص ١٥٢.
٢- شوغرمان، باري، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٤.
3- New Webster dictionary. p. 321.

ومشتر ووسيط). وإن كانت أغلب هذه العلاقات مصلحية (تبادل منفعة وفقاً لنظرية التبادل الاجتماعي التي أشرنا إليها وسنشير إلى ذلك أكثر في التكيّف الاجتماعي)».[1] إن هذا يعني مشاركة جميع أنساق البناء الاجتماعي في عملية الاتصال والانتشار الحضاري وبالتالي فإن التغيّر سيمتد ليغلب هذه الأنساق أو الأعضاء، وهو الأمر الذي نهدف إليه، حيث ذلك يعني أن التغير سوف يكون موجهاً نحو التكيّف قدر الإمكان مع المجتمع الأوسع أو بعض سماته الحضارية. إن الاتصال الثقافي يفعل فعله في إحداث التغيّرات الثقافية التي تصيب المجتمعات (المتثاقفة) جراء(الاتصال الثقافي) وقد يمتد هذا التغيّر ليصيب إحدى البنى الاجتماعية لطرف من الأطراف المتفاعلة في هذه العملية حيث يصيب التحلل والتفسخ أحد نظمها الاجتماعية القائمة مثال ذلك تغلغل دين ما وانتشاره في أحد المجتمعات فيحدث تغيرات كثيرة في معظم المدن والمؤسسات الاجتماعية.

وقد أشار إلى ذلك والى أهمية الاتصال والتأثير العالم(ارفنغ هالوول) قائلاً: «أخذ العلماء في السنوات الأخيرة يظهرون اهتماماً متزايدا بدراسة التأثر والتأثير المتبادلين بين الثقافات المختلفة حتى إن هذا الموضوع أصبح يحتل مكان الصدارة في الأبحاث الأنثروبولوجية الثقافية».[2] ويمكن أن يكون التأثر والتأثير متبادلاً بين الغجر كثقافة فرعية والمجتمع الأوسع.[3] وقد طالعنا تأثر الغجر بالثقافة السائدة، أما تأثيره في المجتمع، فلاشك إن

1- Palmor, Hirsch & Ariffin, International Communication and the Diffusion of Family Planning in West Malaysia- Demography Publication of the Population on Association of America. vol. 8, No. 3, August, 1971, p. 413.

٢- لينتون، رالف، الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث،ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٧، ص ٣٠٠.

٣- السامرائي، متعب والهاشمي، حميد، أثر خصائص الوسط في السلوك الاجتماعي ، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الاول لكلية اداب جامعة القادسية، ١٩٩٤، غير منشور.

وجودهم والأعمال التي يمارسونها، فإنهم عامل جذب مستمر لقطاع كبير من الشباب(المترددين عليهم كزبائن أو من المتغجرين ومن كلا الجنسين) وإن كان التأثير في الإناث من الشباب أقل من الذكور، وذلك بسبب طبيعة مجتمعنا المحافظ.

إن للاتصال الحضاري نتائج مهمة، وهي تصنف إلى أربعة أنواع : [1]

١- الانصهار

٢- الاحتفاظ

٣- المقاومة والانفصال

٤- الصراع والثورات.

إن هذه النتائج خاضعة للظروف التي تتعرض إليها الجماعات المتثاقفة التي تتعرض إلى الإتصال الحضاري.

نماذج التفاعل الاجتماعي بين الكاولية ومحيطهم الاجتماعي :

بسبب سكن غجر الكمالية في منطقة مفتوحة ومتصلة مع مناطق سكنية لغير الغجر وبسبب كون منطقة الكمالية تقع ضمن العاصمة بغداد، فهذا يعني الاتصال والتفاعل المستمر والمباشر بين الغجر وغير الغجر على وفق مصالح متبادلة.

أما منطقة الفوار، وكنموذج لباقي مناطق سكن الغجر، فإنها تقع بمسافة بعيدة تقريباً(١٢ كلم عن أقرب مدينة) (الديوانية). وكذلك إنها قرية خاصة بالغجر معزولة وأقرب قرية تحدها هي قرية الجمعية على مقربة (٢ كلم)، لذلك وجدت فيها محال تسد بعض حاجات أهل المنطقة ، مما نتج عن ذلك قلة تردد السكان إلى المدينة واتصالهم بها أو بالقرى المجاورة

١- عارف ، أنثروبولوجيا الاتصال ، سبق ذكره، ص ١٥٩.

مقارنة بمنطقة الكمالية. ومع ذلك تظهر بيانات استمارة المقابلة أن نسبة (٥٧٪) من أسر عينة البحث تشير إلى ترددها المستمر إلى المدينة للتبضع . ونرى أن أسباب ذلك هي ارتفاع الأسعار الشديدة في منطقة الغجر مقارنة بأسعار المدينة مع أن أجور النقل مرتفعة بين المنطقة والديوانية أو المدن القريبة الأخرى . ولا شك أن حساب الفارق المادي هو الذي يدفعهم إلى ذلك، كما أن محال القرية لا تسد حاجاتهم.

جدول -٢٧- يبين المجالات التي دخلها بعض أفراد الأسر.

	[illegible]			[illegible]		
	ذكر	أنثى	مجموع	ذكر/	أنثى	مجموع
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
دورة موسيقى	٣	-	٣	٢	-	٢
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
فرقة فنية	٧	٨	١٥	-	-	-
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مجموع	٢٥	١٦	٤١	٨	٦	١٤

إن الدخول بمثل هذه الدورات والاشتراك في أعمال مع غير الغجر مؤشر كبير للاتصال والتفاعل بين الغجر والمجتمع العراقي .

وتظهر البيانات أعلاه في هذا المجال ارتفاع عدد المشتركين أو الداخلين بالدورات المشار إليها أعلاه من الذكور أكثر منه لدى الإنـاث، عدد المشتركات في دورات رقص أو المنتميات لفرق فنية؛ فإن جانب الإناث

يرجع على جانب الذكور ولم يظهر في عينة البحث أن هناك من دخل دورة سياقة من النساء أو اشترك في دورة تعليم موسيقى. ويرتفع العدد ولكلا الجنسين ممن انتموا لفرق فنية أو جمعية أو نقابة، وإن كان أقل مما يجب أو يتوقع خصوصاً أن مهنة الطرب من المهن الرئيسة لهم، ويتوجب إنماؤها وتوجيهها سواء منهم أو بتوجيه من الدولة ومما يرفع عدد المنتسبين لفرق فنية أو جمعية أو نقابة هو للحصول على إجازة العمل في الملاهي الليلية والأماكن التي تتطلب ذلك.

من مقارنة منطقتي الدراسة يلاحظ أن فرصة الاتصال متاحة أكثر لغجر الكمالية بسبب موقعها من مدينة بغداد العاصمة عكس غجر الفوار في الديوانية .

جدول رقم – ٢٨- يبين مكان عمل المكياج والزينة وتسريحة الشعر بالنسبة لفتيات العينة.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	١٥	٣٠	٩	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٢٠	-	٢٦	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

تتردد فتيات الغجر على صالونات الحلاقة في المدن، وباستمرار، مما يعني اتصالاً وتفاعلاً مستمراً وهو مبني على أساس(تبادل المنفعة)، طبعاً لكنه يعني، بلا شك، عملية نقل حضاري، أيضاً، من خلال الاحتكاك وتعلم واستخدام طرائق حضارية في التزيين وتصفيف الشعر، إضافة إلى تأثر وتأثير في السلوك ومن خلال المحاكاة والتقليد يكون التأثير متبادلاً.

وبمقارنة منطقتي الدراسة بهذا الشأن يظهر تردد الغجريات في الفوار على صالونات الحلاقة في المدن القريبة (الديوانية وعفك) أكثر منه مقارنة

بغجر الكمالية وإن كان أقل من نصف العينة يعملن زينتهن في البيوت ونرى ذلك عائد إلى ما يلي :

١- إن منطقة غجر الفوار لا يوجد فيها صالون حلاقة نساء.

٢- إن منطقة الكمالية توجد فيها صالونات حلاقة كثيرة قريبة من مساكن الغجر.

٣- وارتفاع نسبة من يتزين في البيوت في الفوار عنها في الكمالية.

ومما تجدر الإشارة إليه في سياق الاتصال المباشر، هو تردد الغجريات على حمام المدينة وذلك يتم بصورة كبيرة جداً، في الفوار (راجع الفصل الاقتصادي) .

جدول - ٢٩ - مكان تفضيل معالجة المريض.

الكمالية	٣١	٢٠	٣	٥٤
الفوار	٢٥	١٥	٦	٤٦

إن أماكن مثل المستشفى والعيادات تعد أماكن مهمة يمكن أن تؤدي دوراً مهماً في عملية الاتصال والتفاعل بين الجماعات الإثنية المختلفة. حيث أن ترددها على مكان واحد يشعرها بنوع من المرونة والتسامح، وذلك ناتج عن كونها تخضع لإرادة واحدة وتبنى على مقاييس واحدة، وتشعرها بالشعور الواحد. وقبل ذلك يدل على خضوع هذه الجماعة إلى منطق العلم الحديث وواقعه وتكيّفها معه وتفوقها على قوقعتها الخاصة المعروفة بـ(الطب الشعبي) في هذا المجال .

وعلى هذا الأساس، يمكن قياس هذه الناحية لدى الغجر من الاتصال، نجد أن النسبة تكاد تكون متقاربة في منطقتي الدراسة (الكمالية والفوار)

وإن كانت النسبة لمن يفضلون الطب الشعبي في منطقة الفوار أعلى منها في الكمالية، ونجد أن القول المناسب لتفسير ذلك، هو أن معظم هؤلاء يعانون أمراضاً يستعصي علاجها في عيادات الأطباء والمستشفيات مثل(العجز الجنسي والأمراض النفسية والعقلية) ويرون أن أسبابها ناتجة عن أنواع من السحر(الخرز: أي أن تقوم امرأة بعمل سحر– يوضع في الأكل – للرجل لأجل شده أو منعه من الزواج من أخرى أو لتعجيزه جنسيا) ويرون أن علاج ذلك عن طريق السحر، أيضاً، أو اللجوء إلى مراقد الأولياء.

ومما يفسر كثرة عدد المترددين على عيادات الأطباء، وكما علم الباحث ذلك من بعض المخبرين، هو أن معظم هؤلاء مرضى بأمراض تناسلية (سيلان، سفلس وربما الإيدز) [1]

إن سبب مراجعة مرضى هذا النوع من الأمراض إلى العيادات وليس المستشفيات هو راجع إلى رغبة عدم كشف هذا الأمر لأجهزة الدولة ذلك لأن هذه الأمراض ناتجة عن الاتصال الجنسي غير الشرعي عادة. كما أن تجارة الجنس مهنة رئيسة لديهم وهم يخشون من تبعات ذلك عليهم عامة.

جدول ٣٠- يبين ما إذا كان هناك من يقرأ الصحف في أسر المبحوثين.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	١٦	٣٨	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٨	٣٨	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

١- لم نحصل على تأكيد أو نفي قاطع لوجود مرض الإيدز ، وذلك حين مقابلتي للجهات المسؤولة منها د. حسن علوان مسؤول الوقاية الصحية في مستشفى الطليعة في الديوانية ، وهي جهة مسؤولة عن مثل تلك الحالات وعن إرسال فرق صحية إلى القرى ومنها قرية الفجر في الفوار . وقد ذكر لي الدكتور علوان إن عينات فحص الإيدز ترسل للوزارة ويتم التكتم عليها ، حيث لم يتم رسمياً حتى الان الإعلان وجود حالات مرض الإيدز في العراق.

إن لوسائل الإعلام وباختلاف أنواعها(المقروءة والمسموعة والمرئية) دوراً كبيراً في ايصال مفردات الثقافة، بل التأثير الكبير في توجيه طابع وحياة وأسلوب الأفراد من حيث يشعرون أو لا يشعرون. ويتوقف تأثيرها في نوعية ما تطرحه ودرجة تعليم المتلقي ومدى تواصلها معه. وللصحف والمجلات دور مهم في هذا الجانب ، فمطالعة الصحف من الأسرة الغجرية مثلاً تعني أنها تطلب مزيداً من الثقافة وتود الاطلاع على ما يجري في البلد والعالم وهذا يعني القابلية على التعلم والتفاعل مع البلد والعالم وإمكانية التأثر به.

وهي تعني المرونة في العقل ليتقبل ما يرسل إليه وأيضاً الشعور بإزالة الحواجز النفسية والمادية بينه وبين غيره وأيضاً بينه وبين أبناء المجتمع. كما يعني إمكانية التأثير، إيجاباً، في أبناء أسرته وعمومته. وعن طريق الصحف والمجلات يمكن أن تقتبس الفتيات أشكال المودة وتتحرك معها. وبالنسبة لعينة الدراسة من منطقتي الغجر في الكمالية والفوار أظهرت بيانات استمارة المقابلة أن نسبة من يقرأ في أسر العينة في الكمالية أعلى منه في الفوار والأسباب هي:

١ .ارتفاع عدد المتعلمين في المنطقة الأولى عنها في الثانية.

٢. إن المنطقة الأولي (الكمالية) تقع ببغداد العاصمة وهذا يعني توفر الصحف أولاً والتأثر بأجوائها الثقافية نوعاً ما.

وعن جهاز التلفزيون الذي يعد أخطر الأجهزة الإعلامية، كما يقال، وذلك نتيجة لدرجة تماسه مع العائلة وبصورة مباشرة وأنه يؤثر في الصغير والكبير دون استثناء والتأثير سلباً أو إيجاباً، فهو يتوفر عند جميع أفراد العينة في منطقة غجر الكمالية وأقل من ذلك بقليل في منطقة الفوار وعلى العكس ترتفع النسبة في الفوار لمن يمتلكون جهاز راديو وجهاز مسجل على نظرائهم في الكمالية وربما تعويض جهاز التلفزيون.

وبالنسبة لمالكي أجهزة الفيديو، فإن النسبة أعلى كما يظهر في الكمالية وهي نتيجة لارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي .

وتتميز منطقة غجر الكمالية عن باقي تجمعات الغجر في العراق بامتلاكها خطوط الهاتف وذلك بسبب موقعهم ضمن بغداد العاصمة عكس باقي المناطق التي لا تقع حتى ضمن حدود بلديات المدن القريبة إليها. وتؤدي السيارة دوراً مهماً باعتبارها أداة اتصال مباشر، ولسائق سيارة الأجرة نصيب كبير من الاتصال بأنواع مختلفة من السلوك البشري المتباين، ومن خلال ذلك يكتسب مرونة كبيرة في التعامل ويتأثر بالكثير منها . كما أن السيارة أداة تساعد على سرعة الاتصال من خلال اختصار المسافة والزمن.

خلاصة الاتصال والتفاعل الاجتماعي:

١- تتوفر للغجر فرص كبيرة من الاتصال الحضاري مع المجتمع العراقي الأوسع وبقنواته المتعددة.

٢- إن الغجر في منطقة الكمالية أوفر حظاً من نظرائهم في الفوار من ناحية وسائل الاتصال والتفاعل الاجتماعي وذلك لوقوعها (الكمالية) في بغداد وأنها منطقة مفتوحة وتتعرض إلى شتى أنواع الاتصال والتفاعل اليومي وتتوفر لها خدمات كبيرة تسهم في التفاعل والتكيّف مع المجتمع الأوسع.

٣- إن تفسير النظرية التبادلية للتفاعل الاجتماعي والذي يقدمها العالم هومانز بقوله (إنه تبادل للمنافع والخدمات، يحاول كل فاعل من خلاله أن يختزل التكاليف ويعظم من الأرباح) [1] ويسمي هومانز هذا التفاعل المباشر بين الأفراد (السلوك الاجتماعي الأولي).

١- زايتلن ، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩.

٤- تحققت فرضية البحث القائلة:(إن عملية التفاعل الاجتماعي تؤدي إلى نوع من التكيّف) وذلك من خلال دراسة وتحليل التفاعل الاجتماعي الحاصل بين أفراد المجتمع الغجري والمجتمع العراقي .

الفصل التاسع

التكيّف الاجتماعي:

مدخل

نماذج للتكيّف الاجتماعي

القبول الاجتماعي

نظرة الغجر لواقعهم

خلاصة

التكيّف الاجتماعي Social Adaptation :

إننا ندرس التكيّف الاجتماعي، هنا، على انه: كل العمليات أو المحاولات الفردية أو الجماعية (البشرية) التي تسعى للمواءمة مع البيئة الطبيعية والثقافية السائدة، أو تلك العمليات المشابهة المقصودة من خارج الفرد أو الجماعة تجاههم تحقيقاً للغرض نفسه، وقد تؤدي هذه العمليات إلى اندماج تام أو شبه تام مع البيئة الثقافية أو الاجتماعية أو الطبيعية السائدة.

وقد عرفت اللجنة الفرعية لجمعية البحوث الاجتماعية (Sub Committee of the Social Research Council)، أن التكيّف الثقافي يشير إلى الظواهر التي تنتج عن الاتصال المباشر والمستمر لثقافتين، وما يترتب عليه من تغيرات لاحقة في أنماط الثقافة الأصلية.[1]

وهذا الأمر هو ما سوف نركز عليه في دراستنا للتكيّف الثقافي والاجتماعي للغجر كثقافة فرعية داخل المجتمع العراقي.

إن تحليل التغييرات الثقافية يسير على النهج التالي:

يبدأ بتجريدات وصفية للأشكال الثقافية المستقرة أو ينطلق منها ليمر بسلسلة من العمليات المرتبطة بالظروف التي دفعت الأفراد إلى تعديل طرق تكيّفهم ثم يعود إلى آثار التكيّف المعدل وانعكاساته على الأوضاع الاجتماعية، فيصفها على اعتبار أنها أشكال ثقافية جديدة أو معدلة. وهكذا يمكن القول إن مشكلات التغير الثقافي تتصل بالأوضاع والعمليات التي تؤدي إلى تعديلات تكيّفية في السلوك الفردي من النوع الذي اكتسب دلالة اجتماعية خاصة.[2]

١- فاروق العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية، ط٣، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ١٩٨٦، ص ٢٧٦.

٢- لنتون، الف، مصدر سبق ذكره، ص ص ٣٠٩-٣١٠.

ومن اصطلاحات التكيّف الأخرى(التثاقف)، ويشار في هذا الصدد إلى درجة أن التثاقف يتضمن عدداً كبيراً من المتغيرات والعمليات وهي:[1]

١- درجة الاختلاف الثقافي.

٢- ظروف الاتصال وشدته.

٣- مواقف السيادة والتبعية.

٤- وسطاء الاتصال.

٥- اتجاه التدفق.

وتؤدي بعض هذه العمليات أدوارها في وقت واحد وهي:

١- الإحلال

٢- الإضافة

٣- التوفيقية

٤- التفكك الثقافي

٥- التجديد

٦- الرفض

وتؤدي هذه العمليات بالنتيجة إلى تغيرات بالأشكال التالية:

١- التوحد أو التمثل.

٢- الاندماج

٣- الانقراض

٤- التكيّف

١- بيلز، رالف وهويجر، هاري ، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، ج١، ترجمة محمود الجوهري، دار النهضة، مصر، ١٩٦٥، ص ٨٠٣.

إن عمليات التغير التي يتعرض إليها الغجر لا ينطبق عليها أحد هذه العوامل، أو الأدوار بدرجة تامة. وقد كانت شاملة لمعظمها، فمثلاً كان الإحلال والإضافة لكثير من المظاهر والنظم والمؤسسات.

واتسم اقتباسها بالتوفيقية، حيث اندمجت سمات قديمة مع أخرى جديدة، وحدث التفكك الثقافي في معظم النظم الاجتماعية.

أما أشكال التغيرات فقد كانت توحداً وتمثلاً لكثير من السمات الثقافية، وإدماج بعض السمات الأخرى. ولم يصل المجتمع الغجري إلى الاندماج التام مع المجتمع العراقي، كما أنه لم يتعرض إلى الانقراض، كما حدث لبعض الجماعات العرقية في أميركا الشمالية والجنوبية.

أما التكيّف الاجتماعي فهو يمتاز بالانتقائية والتفرد، حيث ينتقون السمات ويتكيّفون معها ويتفردون عن غيرهم في طرائقهم الثقافية.

وقد ركزنا على نماذج أو مظاهر للتكيّف الاجتماعي تستحق الإشارة والبحث وهي:

١- الدين (لم نتطرق إلى الدين، هنا، بالتفصيل لأننا بحثناه في فصل مستقل من الدراسة)

٢- الاستقرار

٣- اللغة

٤- الأزياء كتغيرات أو تكيّف مظهري.

٥- الصداقة

٦- المصاهرة (التزاوج مع غير الغجر)

٧- الجوار

٨- الانتماء الوطني، كتغييرات جوهرية وأكثرها حساسية، وهي التي تدل على القبول الاجتماعي.

نماذج من التكيّف الاجتماعي للكاولية مع محيطهم الاجتماعي:

أولاً: الإنتماء الوطني (الشعور بالانتماء للمجتمع الكبير (Nationalism).

تعد وثيقة الجنسية، وهي أهم الأمور التي تساعد الشخص أو الجماعة على التكيّف والاندماج مع المجتمع الكبير، وبدونها فإن الفرد يفقد الاطمئنان لمستقبله ويواجه صعوبات عديدة تغمط حقه كإنسان في العيش السوي، وبالتالي تقلل من عطائه وإنجازه، وحرصه على المصلحة العامة وتزيد من عزلته أو عزلتها(الجماعة)، وتزيد من تحامل الثقافة السائدة (المجتمع الأوسع) ضدها.

لقد كانت مشكلة الجنسية من أهم المشاكل التي يعانيها الغجر في العراق وذلك حتى بداية الثمانينيات، حيث كانوا يعاملون معاملة الأجانب بسبب عدم منحهم الجنسية العراقية.

وقد اعتبرتهم القرارات الصادرة في أعوام ١٩٢٤ و ١٩٥٩ و ١٩٦٢، فالقرار ٢٤ الذي صدر عام ١٩٢٤ لم ينص على اعتبارهم أجانب. والقرار ١٦٣٩٠، لعام ١٩٥٩ اعتبرهم أجانب عديمي الجنسية. والقرار رقم ٦ الصادر عام ١٩٦٢، وافق على منحهم الجنسية بشروط.[1]

والأمر الوزاري ١٤١٦٧ في ١-٨-١٩٦٤ اقتضى تشكيل لجنة لهذا الغرض وأقرت منحهم بشروط وهي:

١- أن يكون مسجلاً كاولياً في أحد سجلات النفوس العامة.

٢- أن يجيد تكلم العربية.

١- مديرية شؤون الجنسية فرع محافظة القادسية، كراس يتضمن ملخصاً عن الغجر وهو داخلي التداول.

٣- أن لا يكون من الرحل المتنقلين.

٤- أن تكون له مهنة معلومة.

٥- أن لا تكون تبعيته لدولة أجنبية.

الا أن اللجنة فشلت نظراً لوجود برقية سابقة من وزارة الداخلية تؤكد فيها أنهم من الرحل ومن الذين لا يمنحون الجنسية العراقية.

في عام ١٩٧٤ صدر تعميم من مديرية الأحوال المدنية العامة يؤكد تجميد قيود المسجلين من الغجر. [1] وقد عانى الغجر، جراء ذلك مشاكل عدة لعل أهمها:

١- مشكلة الملكية، حيث توضع قيود على الأجانب في حق التملك.

٢- مشكلة العمل والتوظيف.

٣- مشكلة الخدمات والتعليم.

إن عدم منح الجنسية وما يترتب عليها من أضرار مادية ونفسية يؤدي، بلا شك، إلى النفور وعدم التكيّف و الانسجام من الغجر مع المجتمع العراقي، وكذلك موقف المجتمع العراقي منهم في الجهة الأخرى.

إن هذا الأمر ينتج بالتأكيد ضعف الانتماء والشعور به تجاه المجتمع الأوسع وهو من أهم معوقات التكيّف الاجتماعي.

جدول -٣٢- يبين مدى شعور الغجري بالانتماء إلى المجتمع الأوسع.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٥٤	-	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٤٦	-	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

١- الحديثي، طه حمادي، الغجر والقرج في العراق، طبع جامعة الموصل، ١٩٧٩، ص ١٥٧-١٥٨.

يظهر الجدول أعلاه أن جميع أفراد العينة في منطقتي الدراسة يشعرون بانتمائهم للمجتمع الأكبر وهذا يعني خطوة مهمة في طريق الاقتراب من التكيّف والاندماج الاجتماعي Social Integration.

ثانياً : الاستقرار Stability :

يعد الاستقرار مكسباً كبير لكل مجتمع أو جماعة مترحلة. وقد كانت سمة الترحال أهم سمات الغجر، حتى إنهم يوصفون بأنهم بدو في كثير من دول العالم بسبب طبيعة حياتهم هذه.[1]

وإن عدم الاستقرار هو من السمات المشتركة للغجر في العالم ومنهم غجر العراق، ونرى أن أسباب الترحال هذه هي :

امتهانهم مهناً مهينة محتقرة في نظر معظم الشعوب، التي يمرون بها، وكذلك أن صفة الترحال هذه جعلتهم يسيئون ويعيثون في طريق مرورهم، مما يلحق الأذى بالمجتمعات التي يمرون بها، وهذه صفة لدى أغلب المارين (المارقين)، وهو عدم الشعور بالمسؤولية، وذلك لاعتقادهم بعدم تحملهم التبعات المترتبة على فعلهم وعدم ثبوتها عليهم وبسبب مرورهم السريع ومراوغتهم.

ومن الأفعال التي اتهموا بها (السرقة، الخطف – خطف النساء والأطفال-، السحر والشعوذة وحتى الكانيبالزمية – أكل لحوم البشر-) [2]

إن بعض غجر العالم يفخرون بصفة الترحال هذه ويبررونها بأنها رمز الحرية وعدم الخضوع لسلطان، بل انهم سادة الأرض ولذا فإن الترحال بإرادتهم.

1- see Greenfield. Howard. Gypsies. Crown Publishers. Inc. New York. 1977.

2- Greenfield. op. cit. 11.

وينظر الغجري إلى بقية الناس من غير الغجر نظرة ازدراء ويلقب غيره بلقب (كاجو Gadjo) وتعني فلاحاً أو مراوغاً ، ويقصد منها الذل والتحقير تماماً، كما تعني كلمة(جلف) أو(غير مهذب) أو(قن)، أما هم فسادة الأرض.[1]

وقد سمع ولاحظ الباحث إطلاق كلمة كاجو هذه وإن كانت تلفظ بغير (الجيم المصرية) بل تلفظ كاف وقد لحق الكلمة حرف ياء كي تلفظ كاجي أو (كه جي Kadji) وتعني غير الغجري والذي يسمونه، أحياناً، عربياً.

ثالثاً: اللغة:

يعد تعلم واستعمال لغة المجتمع الأوسع (الثقافة السائدة) من الجماعة الأقلية(الثقافة الفرعية) أهم أدوات التكيّف الاجتماعي. فاللغة وسيلة التفاهم والتقارب والتبصير بقوانين وقيم وأعراف المجتمع الأوسع، فتعلمها يختصر المسافة التي تفصل في طريق التكيّف الاجتماعي.

وكما ذكرنا مسبقاً أن الغجر سريعو التكيّف وخاصة في مجال اللغة والأزياء والدين.

وهكذا يظهر الغجر في كل بلد يتكلمون لغة ذلك البلد بالرغم من أن لهم لغة أصلية، ولكن اتساع المسافات التي فرقتم في العالم، وطبيعة معيشتهم، جعلت أن تحتفظ بعض الجماعات الإقليمية بلغة خاصة هي خليط من لغات عدة، وذلك من جراء ترحالهم واختلاطهم المستمر بمختلف الشعوب.

وقد خصصت مجلة (International Journal of the Sociology of Language)[2] عدداً خاصاً لبحوث تناولت لغات ولهجات جماعات

١- كليبر، جان بول، الغجر: دراسة تاريخية فولكلورية، ترجمة لطفي الخوري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٦، ص ٩.

2- International Journal of the Sociology of Language. No. 19. Choncsworth & Co. Ltd. Great Britain.

الغجر في أوروبا وأميركا.

وفي العراق استطاع الغجر أن يستوعبوا اللغة العربية، تماماً وبدقة وبلكنة قريبة من اللكنة(اللهجة البدوية).[١]

ويكاد ينسى معظم الغجر لغتهم الأصلية، بل أن أبناءهم الصغار لا يعرفون تماماً لغتهم إلا مفردات معدودة.

إن هذا ناتج عن أمور عدة منها:

١- عدم وجود أبجدية مكتوبة لهم.

٢- الأمية التي تسود مجتمعات الغجر.

٣- تشتتهم وتفرقهم إلى مجاميع صغيرة في معظم القرون التي مرت.

٤-الترحال الدائم وعدم الاستقرار والاختلاط بمجتمعات عديدة الأمر الذي يعني اكتسابهم مفردات جديدة وثم التخلي التدريجي عن لغتهم الأصلية.

ويستخدم الغجر في العراق، الآن، مفردات من لغتهم الأصلية، والتي هي مزيج من لغات عدة[٢] وهي (الفارسية، العربية، الكردية والتركية) ويستخدمون مفردات منها كلمات سر أو الغاز عند الحاجة وخاصة بحضور شخص غريب (كجي) من غير الغجر.

فمثلاً، إذا أراد أحد أن يخبر أهله أو أبناء منطقته بقدوم الشرطة، فانه يقول لهم:(امد رستي ها) وتعني (جاءت الشرطة)، أو (رستي، رستي) أي (شرطة، شرطة).

١- ربما تكون حياة الترحال السابقة المشابهة لحياة البدو والاحتكاك بهم في كثير من الأحيان، خصوصاً في مناطق البادية القريبة من الموصل وكركوك والفرات. وأيضا تشبههم بالبدو وذلك تجنبا للإحراج الذي يصيبهم مع الاخرين وهو نوع من التكيف.

٢- راجع في هذا: الحديثي، طه حمادي، الغجر والقرج في العراق، سبق ذكره.

ما موقف الآباء حين يرون أبناءهم لا يعرفون لغتهم الأصلية؟

إنهم يشعرون بخيبة أمل في معظم الأحيان، وبالحرج في أحيان كثيرة. لقد حدث موقف من هذا القبيل بوجود الباحث أثناء الدراسة الميدانية، حيث قال رب الأسرة لولده الصبي (جيب كاوي)، أي (اجلب ذبيحة)، ولم يفهم الابن ما يريد الأب. وبهذا الشأن أظهر السؤال التالي، النتائج أدناه:

الجدول - ٣٣- ، هل تسعى لتعليم ابنك أو ابنتك لغتك الأصلية؟

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٧	٤٧	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	١٠	٣٦	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

إن هذه البيانات تظهر أن نسبة من يسعون لتعليم أبنائهم لغتهم الأصلية من ،سر العينة من الغجر في منطقة الدراسة قليلة، وأن هذه النسبة القليلة يقتصر تعليم أبنائهم على مفردات معدودة للأغراض سابقة الذكر.

إن دافع (العرقية أو الاعتداد بالجماعة) [1] غير موجود بمعناه الدقيق، هنا، لدى الفرد الغجري، بل إن الغجري يشعر بالنقص تجاه غيره من غير الغجر.

أخيراً، نقول إن استخدام الغجر (باعتبارهم جماعة أقلية) للغة المجتمع السائدة هو من أهم مظاهر التكيّف الاجتماعي.

١- العرقية أو الاعتداد بالجماعة: مصطلح وضعه العالم غراهام سمنر في كتابه Falk Ways ويعني به اعتقاد الفرد الجازم بسمو ورفعة جماعته (ميشيل دنكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان الحسن، ١٢٩)، كما يشير هذا المصطلح إلى شعور الفرد أن جماعته الاجتماعية تتميز عن بقية الجماعات بطرائق معيشتها وأنماط تكيفها، ويصاحب هذا الشعور احتقار عام لكل الجماعات الاجتماعية الاخرى. (لوسي مير مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة شاكر سليم، ص ٤٧٨).

الجدول ٣٤-: بعض الكلمات من لغة الغجر ومعناها باللغة العربية.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
رستي	شرطة - حكومة	خاردين	أكل
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
او	ماء	خدا	الله
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
كاوي	ذبيحة	الوهي	شمس
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
جوقا	عباءة	كجي	غريب (غير غجري)
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
بندكو	عقال	دنتراك	ولد
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
كارها	اغراض	امد	جاء
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

رابعاً: الأزياء Fashion:

لقد تميز الغجر بتكيّفهم السريع وخاصة في المظاهر المادية مع الشعوب التي يعيشون في كنفها ومن ذلك الأزياء. حيث يرتدون أزياء تلك الشعوب وخاصة تلك الشعوب التي تمتلك حساسية كبيرة تجاه أعمالهم المختلفة. هذا عدا بعض البلدان التي عرفوا بأزيائهم المميزة فيها.[١]

وارتداء الثقافة الفرعية أزياء الثقافة السائدة، لا شك هو مظهر تكيّفي بارع يحقق نوعاً من التماثل الاجتماعي مع الغير، وإن كان بالمظهر. وقد استعمل الغجر هذه الطريقة وذلك لإثارة عطف المجتمع الأوسع الذي يعيشون في ظله من جانب وإزالة الشبهة عنهم وكي لا يتميزوا من جانب

١- لقد أفاد الباحث الأستاذ الدكتور مجيد عارف بأن غجر بلغاريا وفنلندا يمتازون بأزيائهم المزركشة والمميزة عن باقي سكان تلك البلدان.

آخر، كون معظم الجماعات والشعوب تحذر منهم، وذلك لما عرف عنهم من أعمال غير مرغوبة.

والغجر في العراق يماثلون بأزيائهم المجتمع العراقي. فأزياء الرجال هي الزي العربي (دشداشة أو صاية أو زبون) [1] ويشماغ أو كوفية وعليها عقال. وحذاء جلد أو نعال جلد، والعباءة الرجالية، أيضاً. وهو يماثل الزي البدوي أو الريفي.

أما أزياء الشباب فهي: البنطلون والقميص، عموماً، وخاصة وقت النزول إلى المدن والأسواق، والدشداشة وتحتها سروال طويل أحياناً، وهذه في أوقات الراحة والأوقات الاعتيادية.

وأما ملابس النساء، فتتكون من الثوب النسوي، وترتدي عليه عباءة عند النزول إلى المدينة.

وترتدي الفتيات الملابس العصرية (التنورة و القميص أو الفساتين النسوية العصرية)، وترتدي عليها العباءة العادية أو العباءة الإسلامية.

كما أن بعض الفتيات ترتدي السراويل (البناطيل) النسوية أو الملابس القصيرة والتي تضفي الجاذبية والإغراء، ويحدث هذا خاصة في أوقات العمل أو إقامة الحفلات (راجع فصل النسق الاقتصادي).

جدول - ٣٥- يبين مدى حرص الغجر على تقليد الآخرين في المدن والقرى الأخرى بأزيائهم.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٢٨	٢٦	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٣٥	١١	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

١- الصاية أو الزبون: هي رداء طويل من دون أكمام (ردان) ومفتوح طولياً من الأمام، ويثبت من وسطه بحزام جلدي او قماش.

إن البيانات أعلاه تظهر أن الذين يحرصون أكثر على ارتداء ملابس تماثل ملابس المجتمع القريب منهم في منطقة الفوار أكثر من نظرائهم في الكمالية.

وهذا ناتج عن حرص غجر الفوار على أن لا يتعرضوا إلى مشكلات المعاكسة (التحرش الجنسي) بالنسبة لنسائهم خاصة، والمضايقات التي قد تصادفهم في ما لو لم يتقيدوا بأزياء المجتمع القريب منهم خصوصاً، إذا ما عرفوا بأنهم غجر (هذا مع العلم أن أشكالهم وسماتهم الفيزيقية تميزهم بسهولة عن غيرهم) (راجع فصل خصائص الغجر).

بينما لا يكترث معظم غجر الكمالية إلى التقيد بزي معين أو أن يتحفظوا أكثر، وذلك لأنهم يعيشون في منطقة متاخمة لبغداد، بل هي إحدى ضواحي بغداد. ومعروف أن العاصمة بغداد تضم مزيجاً من الثقافات وتنوعا في الأزياء ومجهولية كبيرة. وهذا يعني أنه لا توجد مشاكل مثل تلك التي قد تصادف غجر الفوار في محافظة القادسية، وبالتالي، بالإمكان تعميم هذا على مناطق الغجر الأخرى المماثلة في العراق.

نتيجة:

إن ارتداء الغجر أزياءً تماثل أزياء المجتمع الذي يعيشون في كنفه هو شرط ضروري لتجنب المشاكل التي قد تخلق لهم إذا ما اختلفوا في ذلك، وهذا يعني مظهرا آخر من مظاهر التكيّف الاجتماعي للغجر.

خامساً: القبول الاجتماعي

Social Acceptance:

القبول الاجتماعي مؤشر مهم على التكيّف الاجتماعي وهو دلالة الرضا من طرفي التعامل.

وتعد أمور الدخول بأعمال مشتركة والتعامل والصداقة والزواج والجوار أهم مؤشرات القبول الاجتماعي.

ونستطيع أن نقول إن هذه الأمور تعد تغيرات جوهرية وليست مظهرية، أو أنها أمور لا تقبل المجاملة.

فالزواج يعني الاندماج والعيش تحت سقف واحد وتحمل مسؤوليات مشتركة وإباحة كامل الأسرار وتبادل العواطف وإنجاب أطفال ليكونوا نتيجة العملية الاجتماعية هذه.

والصداقة تعني إلغاء الفوارق الطبقية والطائفية والعنصرية وتعني التقارب الذهني والعاطفي.

وأما علاقات الجوار فإنها تدل على القبول بالتفاعل والعيش المتقارب والتسامح، وفي الموروث العربي يقال (الجار قبل الدار)، وهذا يعني أهمية علاقة الجوار، فالجار يمكن أن يؤثر كثيراً في جاره سلباً أو إيجاباً.

وأما الدخول بأعمال مشتركة مع الغجر، مثل استثمار رأس المال والشراكة في المتاجر والعمل معاً أو علاقات البيع والشراء وغيرها، فإن لها أهمية كبيرة في أن تعكس لنا مدى القبول والرضا الاجتماعيين.

يجدر بالذكر أن نشير أولاً أن الغجر لا يدخلون بأعمال مشتركة مع الغير ما لم يحسبوه حساباً مادياً، وأن تكون نتائجه مضمونة بجانبهم، وبذلك تنطبق عليهم النظرية التبادلية.

جدول ٣٦ – يبين مدى تفضيل أفراد عينة الدراسة من الفجر أمر الدخول بأعمال مشتركة مع غير الفجر، مقارنة بين منطقتي الدراسة.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٢٠	٣٤	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٧	٣٩	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

من الجدول السابق تظهر النسبة أعلى في الكمالية عنها في الفوار لمن يفضلون الدخول بأعمال مشتركة مع غير الغجر في المنطقة الأولى وذلك بسبب انفتاحها على بغداد عكس المنطقة الثانية. كذلك توفر مستلزمات أعمالهم التي سيدخلونها، فمثلاً إذا كانت تدخل في مجال أعمال الطرب، فهناك كم هائل من المطربين(مغنين وموسيقيين وراقصات وراقصين)، وشركات تسجيل الأغاني والحفلات وأيضاً، توفر أماكن إقامة الحفلات مثل الملاهي الليلية والمسارح والفرق الفنية (راجع فصل النسق الاقتصادي).

وإذا كانت الأعمال الأخرى تجارية فإن فرصها، أيضاً، أكثر مما هو في المنطقة الثانية، وإمكانية من يدخلوها بدون تحفظ من غير الغجر هناك أكثر، وذلك للمجهولية الكبيرة بسبب سعة المجتمع البغدادي وتنوعه، عكس منطقة محافظة القادسية، حيث من يدخل بأعمال مشتركة مع الغجر تكون وصمة عار عليه، بسبب كون المجتمع محافظا هنا. وهذا الأخير ينطبق على عرب الكمالية المجاورين للغجر. حيث التحفظ والتحامل (Prejudice) الذي يحملونه على الغجر، وأيضاً، عدم كفاءتهم العلمية والمهارية والخبراتية تجاه غيرهم.

ومما ظهر للباحث ويجدر ذكره، أيضاً، هو خوف الغجر وبصورة عامة من غير الغجر خصوصاً إذا ما خرجوا خارج مناطقهم، وذلك لعدم ثقتهم

بغير الغجر بسبب رفض ونبذ (Ostracism) المجتمع لهم، وخشية أن يصادفهم أحد ممن تعرضوا إلى الضرب أو الشجار أو النصب في مناطقهم فينتقم منهم. ومعروف أنهم كثيراً ما يتعرضون إلى مثل هذه الحوادث.

وتحدث في مناطق الغجر مشكلات كثيرة وباستمرار مع الزبائن (الكيّافة) وذلك ناتج وكما أشرنا سابقاً (فصل النسق الاقتصادي) عن أمور عدة أهمها:

١- إن أجواءهم تساعد على خلق المشكلات والشجار بسبب طبيعة أعمالهم مثل (الطرب) وشرب الخمر وتجارة الجنس.

٢- التهور الذي يحصل من الطرفين، كون الغجر تسودهم الأمية وشعورهم بالخروج عن الدين والقانون والعرف العام يدفعهم لذلك. وكذلك أغلب المترددين هم من الشباب الطائش وشعورهم بالتعالي تجاه الغجر واحتقارهم لهم مما يثير استفزاز الغجر في أغلب الأحيان.

٣- غياب رقابة الشرطة وخاصة في المناطق المعزولة للغجر ومنها الفوار.

جدول -٣٧- يبين مدى معاناة الأسرة مشكلات مع بعض الناس في المدن والمناطق المجاورة، (مقارنة بين منطقتي الدراسة).

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٥	٤٩	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٢٥	٢١	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

تظهر النتائج أعلاه وبمقارنة منطقتي الدراسة أن غجر الفوار يعانون أكثر عند نزولهم إلى المدن القريبة منهم، وذلك لسهولة تمييزهم من الآخرين وبسبب صغر مجتمعات المدن هذه وطبيعتها المحافظة.

وتكون المشكلات هذه على أنواع وحسب الجدول الآتي:

جدول – ٣٨- يبين بعض المشكلات التي يتعرض إليها الغجر عند نزولهم للمدن.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٢	٢	١	-	٥
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	١٢	٨	٥	-	٢٥
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

نلاحظ من الجدول أعلاه وتكملة للبيانات في الجدول السابق؛ فإن الفرق بين منطقتي الدراسة هو ارتفاع هذه المشكلات التي يتعرض إليها الغجر مع الآخرين في منطقة الفوار. ويلاحظ ارتفاع النسبة بين المشكلات في التحرش والمعاكسة من الآخرين والسبب هو ما يحمله غير الغجر من أفكار وتصورات تجاه الغجر. وتنعكس هذه الصورة، أيضاً، في مشكلة الانتقاص منهم وأسماعهم العبارات المهينة.

سادساً: الصداقة Friendship:

هي إحدى العلائق الإيجابية التي تربط بين شخصين أو أكثر بحيث تستوعب دائرتها شروط هذه العلاقة على أساس التقارب الفكري أو العرقي أو الديني أو المهني أو المناطقي.

ويرى تونيز (Tonnies) أن الصداقة مستقلة عن القرابة والجوار وهي نابعة من المشاركة الوجدانية التي قد تحدث نتيجة للتشابه في العمل واتجاهات التفكير.

ويرى ميشا تايتف (Misha Titieve) أن الصداقة تلعب دورها في تماسك أفراد المجتمع الذين لا يرتبطون بروابط القرابة. [1]

وفي الموروث العربي قيل (الصديق وقت الضيق) و (صديق واحد ولا ألف عدو) و (رب أخ لك لم تلده أمك) وهي إشارة للصديق.

وكل هذه وغيرها تؤكد أهمية الصديق والصداقة باعتبارها علاقة إنسانية يمكن أن تؤدي دور القرابة أو أكثر.

والصداقة مؤشر مهم على القبول الاجتماعي بل إنها تمهد الطريق إلى التمثيل الثقافي. [2]

إن دراستنا للصداقة في هذا البحث تأتى لغرض معرفة درجة القبول والتكيّف الذي بلغه الغجر في العراق وإلى معرفة طبيعة هذه العلاقة، إن وجدت.

جدول ٣٩- يبين ما إذا كان لدى الغجر أصدقاء من غير الغجر.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٣٧	١٧	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٣٠	١٦	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

تظهر بيانات الجدول أعلاه أن نسبة من لديهم أصدقاء من خارج مجتمعهم الغجري من منطقتي الدراسة، مرتفعة في الكمالية عنها في الفوار.

ونرى أن الأسباب تتعلق بغير الغجر، بالدرجة الأولى، وذلك من خلال نظرة هؤلاء إلى الغجر وطبيعة تعاملهم معهم. فالنظرة أشد تحفظاً في المحافظات عنها في بغداد تجاه التعامل مع الغجر.

١- إسماعيل، فاروق، العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية، ط٣، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ١٩٨٦، ص ص ١٦٨-١٦٩.
٢- المصدر نفسه، ص ١٦٨.

وثم لا ننسى أن هذه العلاقات مصلحية، أي مبنية على أساس المصلحة المتبادلة للطرفين، ويظهر ذلك من كونها وقتية مرهونة بالظرف والمصلحة التي تحكمها.

جدول ٤٠- يبين ما إذا كانت علاقات الصداقة مع غير الغجر وقتية أم مستمرة.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٣٧	١٧	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٣٠	١٦	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

تظهر بيانات الجدول السابق أن معظم العلاقات وقتية وبنسبة عالية جدا، وفي منطقتي الدراسة، وهذا يعني أنها مبنية على المصلحة الوقتية، وان هذه العلاقة مرهونة بالظرف الذي يحكمها.

فحين تسأل الغجر، من أصدقاؤكم؟

يجيبون (إنهم : ضابط الشرطة فلان، والضابط علان، وشيخ فلان، وآخر رجل أعمال، وآخر رجل مهم ذو جاه ويحددهم بالأسماء).

إن هذا يدل على عدم كفاءة هذه العلاقة، وهم يدعون هذه علاقة صداقة بالرغم من علمهم بعدم دوامها، إن وجدت، ويدعونها لكي يعطوا لأنفسهم أهمية ويجاملوا ذوي الجاه لعلمهم بأنهم في حاجة دائمة لهم بسبب كثرة مشاكلهم (الغجر).

كما أن هناك صداقات أخرى مبنية على أساس المنفعة المتبادلة، وهذه مع طالبي (اللذة والطرب)، وخاصة الأغنياء منهم، ويعدون لهم جلسات، ونساء وأوقات خاصة لهم، وتكون هذه، عادة، في الليالي، وأماكنها إما في بيوت الغجر وإما في بيوت هؤلاء الأشخاص الخاصة (مثل البساتين والفيلات).

وفي بعض بيوت الغجر تجد أن هذه الفتاة مخصصة للشخص الفلاني (وهو معروف طبعاً لغيره) ولا تعرض هذه على أحد.

وهذه العمليات تتم مقابل مبالغ طائلة تنفق من هؤلاء(الأصدقاء) للغجر.

ودليل على أن هذه العلاقات ليست متكافئة؛ فإن الزيارات المتبادلة لا تتم ومن المرجح أن أهل أصدقاء الغجر هؤلاء؛ دائماً، ليسوا على علم أو رضا بهذه الصداقة وقد أبلغ الباحث بعض المخبرين من غير الغجر. وعما إذا كان هناك تزاور بين الغجر وبين أصدقائهم. وهل يزور الغجر أصدقاءهم من غير الغجر هؤلاء في بيوتهم، فإن الجدول التالي يبين ذلك.

جدول - ٤١- يبين مكان التقاء الغجري بصديقه غير الغجري في حالة حدوث ذلك.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٢	٧	٤	١	١٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	١	٦	٢	١	١٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

وكما ذكرنا؛ فإن هذه النسب (أعلاه) تظهر ضعف هذه العلاقات والأساس الذي بنيت عليه.

نتيجة:

إن علاقات الصداقة، التي تتم بين أفراد من الغجر وآخرين من غير الغجر، هي علاقات مادية مصلحية، وينطبق عليها تفسير النظرية التبادلية في العلاقات الاجتماعية مبنية على أساس المصلحة الذاتية وعلى أساس مقدار الربح الحاصل.

سابعاً: المصاهرة Affinity :

المصاهرة علاقة اجتماعية تقوم بين الأفراد والجماعات المرتبطة بالزواج، وقد تجتمع رابطتا المصاهرة والنسب في الأصهار، وذلك حين يكون الزوج والزوجة مرتبطين بعلائق النسب، كأن يكونا من عائلة واحدة (أبناء عمومة أو خؤولة) أو من فخذ واحد. [١]

والمصاهرة علاقة اجتماعية تتسم بالمتانة وتفرض على أعضائها التزامات متفاوتة وحسب درجة قربهم ونوع صلتهم.

والذي يهمنا، هنا، هو علاقة المصاهرة التي تقوم بين الغجر من جهة وبين غيرهم من العراقيين من جهة أخرى.

إن هذا النوع من الزواج يكون ما يسمى بالعائلة المختلطة وهي(جماعة صغيرة تتكون من زوج وزوجته، يختلفان في خلفيتهما الاثنولوجية أو الثقافية أو القومية أو الدينية، بل حتى العرقية، أما أطفال العائلة فيشتركون في الصفات الاثنولوجية والقومية لأحد الأبوين وتجاهلهما الآخر). [٢]

إن ما يجعلنا نطلق هذا على مثل هذا التزاوج (بين الغجر وغيرهم من العراقيين) هو الإجماع بعدم الرغبة في إقامة علاقات من هذا النوع مع الغجر، الأمر الذي يعني أن هناك حواجز كبيرة تفصل جماعة الغجر عن المجتمع الأوسع وهو خصائصهم المهنية، بالدرجة الأولى، وثم الثقافة.

ويعتبر الزواج أهم مؤشر على درجة القبول الاجتماعي بين الجماعات العرقية، هذا وان حالات التزاوج التي حدثت من هذا النوع (المختلط) كانت زواج رجل عربي (غير غجري) من فتاة غجرية. وان هذه الزيجات يرفضها أهل الزوج رفضاً تاماً، وما حصل من حالات زواج، فإنها تتم ليس بالطريقة العرفية المتواترة لدى المجتمع العراقي.

١- مير، لوسي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٤.

٢ - الحسن، مشكلات الزواج المختلط والعوائل المختلطة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٤.

جدول – ٤٢- يبين مدى حصول حالات زواج أبناء الغجر من نساء غير غجريات.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٤	٥٠	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٣	٤٣	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

تظهر البيانات أعلاه قلة عدد من تزوج من رجال الغجر من نساء غير الغجر وذلك راجع الى ما يلي:

١- ليس هناك بين الناس من غير الغجر من يقبل أن يزوج ابنته لغجري.

٢- إن معظم النساء اللائي تسنح فرصة الزواج منهن، هن ممن يترددن على مناطق الغجر أو ممن ألقت بهن ظروفهن إلى (الرذيلة): (راجع فصل النسق الاقتصادي، تجارة الجنس)، لذلك لا يفضل شباب الغجر الزواج منهن لأنهن (بغايا).

إن حالات زواج الرجال (للغجر من غير الغجريات) هي أن هؤلاء الرجال إما أن يكونوا قد التقطوهن قبل انغماسهن في الخطيئة أو أن بعضهم قد قبل الزواج منهن على أحوالهن حتى وإن كن عاهرات، وذلك لغلاء المهور عند الغجر.

وقد أظهرت الدراسة أن في جميع حالات الزواج هذه تقيم الزوجة مع الزوج في منطقته.

جدول - ٤٣ - يبين مدى حصول حالات زواج رجل غير غجري من بنات الغجر حسب عينة الدراسة ومقارنة بين المنطقتين نموذج الدراسة.

الكمالية	١٠	٤٤	٥٤
الفوار	٩	٣٧	٤٦

لقد حدثت حالات مصاهرة بنسبة لا بأس بها في هذا الجانب وكما يظهر في الجدول أعلاه وبنسبة متقاربة في المنطقتين.

إن هذه الزيجات تتسم بما يلي:

١- إنها تتم مقابل صفقات كبيرة من المال حيث يحرص الغجر على أن يزوجوا بناتهم كزواج أول مقابل مبلغ مالي كبير، حيث وصلت مبالغ بعض المهور (bride price) إلى مئة أو مئة وخمسين ألف دينار (ما يقرب من أربعة إلى ستة آلاف دولار) وهو مبلغ كبير جداً بلا شك على المواطن العراقي العادي في ظروف الحصار. حيث يتم تزويج الفتيات لرجال متمكنين مادياً.

٢- إن هذه الزيجات وقتية حيث الغرض منها إشباع الرغبة الجنسية ونزوة الحب والإعجاب لدى هؤلاء الرجال المعجبين، فيتم الزواج مقابل مبلغ كبير من المال، ثم تعود الزوجة إلى أهلها بعد فترة قصيرة وقد تكون أسابيع أو أياماً.

٣- إن معظم هذه الزيجات غير شرعية أو غير قانونية، حيث لا تسجل في المحاكم أو عند رجل دين.

٤- إن اغلبها لا تكون عوائل صحيحة، وذلك بسبب طبيعتها أو الأساس

الذي بنيت عليه. وغالباً ما يكون الأبناء ضحايا لمثل هذه الزيجات، حيث يجهل بعض الأبناء أو عوائلهم حتى أسماء آبائهم. وقد وجد الباحث طفلة في مدرسة الإصلاح التابعة لمنطقة الفوار، اختلفوا في كون أبيها (مصرياً أو سودانياً)، وهي تجهل، تماماً، حتى اسمه وقد سجلها أهلها باسم جدها (لأمها). كما أن هناك العديد من زملائها بهذه الصفة حيث سجلوا بأسماء أجدادهم أو أخوالهم.

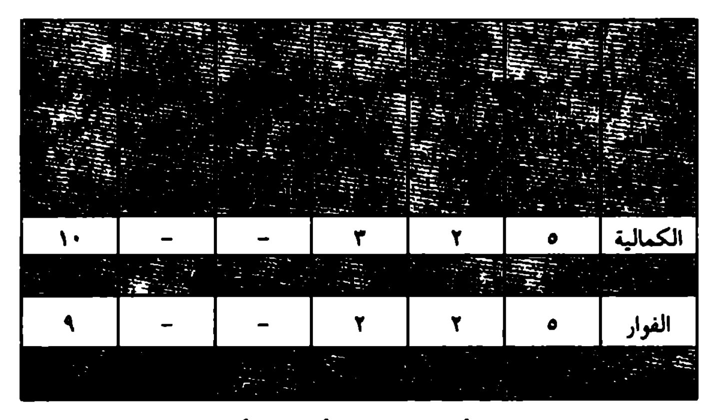
كما أن بعض الزيجات وان كانت شرعية لكن الآباء يتركون زوجاتهم الغجريات في مناطقهن وبتعهد أهاليهن، أو أن يقسموا على أن لا يمارسن أي عمل من أعمال الغجر هذه، ويقوم الأزواج بالتردد عليهن على أن ينفقوا عليهن وعلى أطفالهن.

جدول - ٤٤ - يبين استطلاع عينة البحث فيما إذا كانت هذه الزيجات ناجحة أم لا.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٣	٧	١٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٣	٦	٩
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

تظهر نسبة نجاح هذه الزيجات متقاربة في المنطقتين، وهي الثلث تقريباً. إننا نشك في مسألة استمرار نجاح هذه الزيجات، وربما، هي كذلك لحداثتها، حيث أن بعض مثل هذه الزيجات لم تستمر، وإن دامت لمدة عشر سنوات، كما علمنا، حيث حصل انفصال الطرفين، وكما حدث ذلك في بعض الزيجات بمحافظة القادسية، حيث تبقى مثل هذه الزيجة وصمة عار على الزوج. وإن مثل هذا الزواج سائد لدى الجماعات العشائرية في المنطقة في السابق، حيث يتزوج الشيخ امرأة من خدمه ويسمى ابنه (ابن الخادمة) أو (العبدة)، وكذا الحال (ابن الكاولية) ولا يسمى ابن الشيخ تفريقاً له عن ابن الزوجة الأصيلة، كما يقولون.

جدول - ٤٥- مكان إقامة الزوجة الغجرية للزوج غير الغجري لدى حالات الزواج السابقة.



[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٥	٢	٣	-	-	١٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٥	٢	٢	-	-	٩
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

يظهر من الجدول أعـلاه، وكما أسلفنا، أن معظم سكن وإقامة الزوجات الغجريات هو في مناطقهن وفي أحضان عوائلهن وقد شرحنا أسباب ذلك سابقاً.

ثامناً : الجوار Neighborhood :

الجوار هو أحد العلائق الاجتماعية التي يرتبط بموجبها شخصان أو عائلتان أو أكثر، أو جماعتان أو أكثر أو حتى تشمل دولتين بموجب التقارب المكاني.

ويعرفها كوين Queen، وكابنتر Carpenter أنها تشير إلى منطقة تعيش فيها مجموعة من الأفراد يعرفون بعضهم بعضاً، وقد يتبادلون الخدمات والأشياء المادية كالأدوات والمعدات، وبصفة عامة يقومون بأعمال مشتركة. وتعرفها روث غلاس Roth Glass أنها جماعة محلية يتقابل أعضاؤها من أجل دوافع مشتركة من خلال منطقتهم. لهم اتصالاتهم الاجتماعية

المنظمة على الرغم من أنها تلقائية.[1] ومن التعريفين الأخيرين نلاحظ أن الأول خص المنطقة بعلاقات أفرادها الداخلية، في حين أن الثاني خص الجماعة المحلية ودوافع أفرادها المشتركة التي تنتج عنها العلاقات هذه. ويتفق كلا التعريفين على أن العلاقات تقوم على أساس ودوافع مشتركة لأطراف العلاقة.

ونحن هنا في دراستنا هذه، نأخذ علاقة الجوار التي تربط أعضاء جماعة الغجر كجماعة (أقلية) بالجماعات غير الغجرية المجاورة وطبيعة هذه العلاقة وليس شرطاً أن تكون هذه العلاقة طيبة أو مبنية على أساس مصلحة مشتركة، فقد تكون علاقة (نفور Aversion)، أو (تعارض Antagonistic) أو (عداوة Feud) ... إلخ.

علاقة الجوار في الكمالية:

إننا نقصد، هنا، العلاقات التي تقوم بين سكان الكمالية من الغجر والمتمركزين في المحلة (٧٥٧) وقسم من المحلة(٧٥٩)، وباقي سكان الكمالية من غير الغجر وخاصة المجاورين الملاصقين لهم، ومهما كانت طبيعة العلاقات التي كانت تقوم بينهم.

لابد من إعادة التذكير بأن سكان الكمالية من غير الغجر أو العرب كما يسميهم الغجر، هم من النازحين من (جنوبي العراق) ويقدر عددهم بما يقرب من(٢٠ ألف نسمة) (عام ١٩٩٤) وقد كانت نهايةً عقد الستينيات والسبعينيات ذروة نزوحهم. وتتميز طبيعة هذا المجتمع (عرب الكمالية) غير الغجر بما يلي:

١- احتفاظ معظمهم بقيمه العشائرية، ويظهر ذلك من خلال وجود شيوخ عشائر وأفخاذ في المنطقة والتجاور، القرب في السكن ووجود مضايف

١- اسماعيل، فاروق، المصدر السابق، ص ١٥٧.

لبعض الشيوخ والوجهاء. وأيضاً مما يؤكد ذلك، وجود الألقاب المبنية على أساس النسب العشائري ووجود مخططات ومشجرات النسب لدى الكثير منهم.

٢ إن هؤلاء من المسلمين الشيعة وأغلبهم محافظون وملتزمون دينياً وقد أقاموا جوامع وحسينيات، ويحرصون على الالتزام بالمناسبات الدينية وإقامة الطقوس.

٣- مازالت بعض المهن الريفية موجودة ومنها تربية الجاموس لدى بعض سكان الفضيلية في أطراف المنطقة.

٤- هناك علاقات وجذور قوية تربط هؤلاء السكان بأقاربهم في مناطقهم الأصلية.

وبما علمنا عن طبيعة المهن التي يمارسها الغجر، وما التصق بهم من تهم وصفات، فإنه ومن دون أدنى شك سوف ينتج ما يلي:

١- التعارض القيمي بين العرب والغجر، حيث أن ممارسة أعمال مثل: تجارة الجنس(البغاء والسمسرة به) والطرب (الغناء والرقص والموسيقى) وما يترتب على هذه الأعمال التي تعارض القيم العربية.

٢- التعارض الديني، حيث أن الإسلام يرفض ويحرم مثل هذه المهن بصورة عامة.

قال تعالى: «ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا». [1]

وقال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون» [2]

١- الآية ٣٢، سورة الإسراء، وللمزيد أنظر الآية ١٦ من سورة النساء، والآيات ٢، ٣، ٣٣ من سورة النور.

٢- الآية ٩٠-٩١، سورة المائدة، وللمزيد أنظر سورة البقرة الآية ٢١٩.

٣- وجود تمايز ثقافي وعرقي والإحساس بالمنزلة العالية.

٤- خشية أهل المنطقة (العرب) من فساد أبنائهم وبناتهم وانزلاقهم في طريق الخطأ بتأثير الغجر.

٥- مشاكل تحدث نتيجة التقارب السكاني، حيث يحدث سوء فهم من بعض المترددين على الغجر وبالخطأ يقصدون بيوت العرب فتحدث المشاكل أو يحدث أن يأتي أقرباء العرب من مناطق أخرى ويدخلون الشوارع الداخلية لبيوت العجز فيتعرضون إلى مشاكل النصب والاحتيال.

٦- غياب أنماط من العلاقات الاجتماعية المعروفة بين الجيران وعلاقة المصاهرة والتعاون وغيرها. هذا ما عدا العلاقات التجارية بين الغجر وأصحاب المحال.

وقد برزت المشاكل بالشكل التالي:

١- يوجه العرب (غير الغجر) تهماً عدة إلى الغجر عدا ممارسة البغاء والسمسرة فيه والتي أسميناها (تجارة الجنس) ويوجهون إليهم تهماً أخرى هي: خطف البنات (صغيرات أو كبيرات) السن والتجارة بهن (أي رقيق أبيض)، وجرائم سلب ونصب واحتيال، انتشار بعض الأمراض التناسلية ومنها الإيدز.

٢- إن معظم سكان الكمالية من العرب يخجلون من ذكر عنوانهم الصريح، ويحدث ذلك خاصة في سلك الجيش والطلبة والموظفين خوفاً من اتهامهم بأنهم غجر، وتجنباً لحدوث أية مشكلة بهذا الخصوص، وقد حصلت حوادث تدل على هذا منها (إن بعض الجنود من المنطقة الذين (استشهدوا) في الحرب كانت عناوينهم غير دقيقة، وقد تم التعرف على بعض جثثهم من خلال عناوين رئيسة مثل مركز شرطة بغداد الجديدة أو المشتل ومن قبل المختارين في المنطقة). [1]

١- مقابلة مع مختار المحلة ٧٥٩ السيد جميل المياحي وهو عربي أي غير غجري.

٣- قام عدد من الناس المجاورين للغجر ببيع دورهم المجاورة لبيوت الغجر تجنباً للشبهة، علماً أن البيوت بيعت للغجر أو لأشخاص استأجروها.

٤- صعوبة اختراق الشوارع الداخلية الفرعية لمنطقة الغجر هذه، بسبب حوادث النصب والاحتيال والاعتداء المباشر وبطرق مختلفة.

وقد كانت ردود فعل ساكني المنطقة من العرب ما يلي:

١- قيام سلوك عدائي وتحامل شديد منهم ضد الغجر وقد وصل الأمر إلى حدوث فورات وعصبية تجسدت في الاعتداء بالضرب على بعض الغجر وأخرى يحمل أحدهم بندقية (رشاش) واقتحام بيت أحد جيرانه من الغجر وفتح النار على العائلة وقتل ثلاثة أشخاص منهم وجرح عدداً آخر كما تحدث مشاكل شجار كثيرة ويتعصب الطرفان كل لبعضه.

٢- قيام عدد من مختاري المنطقة من العرب ووجهائها بتقديم التماسات وشكاوى إلى وزير الداخلية ورئيس وبعض أعضاء المجلس الوطني (البرلمان)، والى مديرية ناحية بغداد الجديدة وإلى قائممقامية قضاء الرصافة والى الشعب والمنظمات الحزبية لغرض إيجاد حل لمشكلتهم هذه، ويقترحون نقل الغجر وإبعادهم إلى أي مكان آخر.

٣- قامت وزارة الداخلية واستجابة لشكاوى السكان العرب بدهم للمنطقة وجمعت أعداداً كبيرة من الرجال والنساء من الغجر وعوقبوا بحلق رؤوسهم وتوقيفهم ثم إعادتهم. وقد كانت هذه الحادثة عام ١٩٩٣.

٤- في إثر حادثة المداهمة تلك وسريان شائعة مرافقة لها مفادها أن الحكومة تقوم بتهجيرهم من هذه المنطقة، خرج بعض سكان المنطقة العرب إلى الشوارع مبتهجين فرحين ويهنئ بعضهم بعضاً وقد عبّروا عن فرحهم بهوسات واهازيج، ذهبت وفود منهم تشكر الجهات الرسمية مثل مركز الشرطة والمنظمة الحزبية.

وقد كانت ردود فعل الغجر بالشكل التالي:

١- التحفظ والاحتراس من أي سلوك عدواني ضدهم من قبل العرب، ويتمثل بعدم الثقة بأي شخص غريب، وتجنب المرور والاحتكاك بمن يجاورهم من العرب.

٢- سلوك المراوغة وذلك بكتابة عبارة (بيت عرب) أي غير غجر على جدران بيوتهم أو أبوابهم وذلك لخطب ود العرب أو إيهامهم وإيهام الشرطة إذا ما كانت تشدد رقابتها على ممارساتهم على أنهم عرب، ولا علاقة لهم بما يفعله الغجر، وإن كانت تفسر هذه العبارة على أنها لغز أو كلمة سر للزبائن الذين يترددون على الغجر على وجود ما يطلبونه في هذا البيت أو يستعاض عنها بعبارة الدار للبيع (راجع فصل النسق/الاقتصادي – فصل تجارة الجنس)

٣- سعي الكاولية إلى توطيد علاقتهم أو ادعائهم ذلك مع بعض ضباط الشرطة أو بعض المسؤولين وذلك لتقوية موقفهم في هذا الأمر.

٤- اتخاذهم (الغجر) بعض المظاهر التكيّفية مثل احترام (حرمة شهر عاشوراء) والتوقف عن العمل في يوم العاشر منه.

نتيجة:

من كل ذلك نصل إلى نتيجة مفادها أن طبيعة علاقة الجوار التي تربط بين الغجر والعرب في الكمالية، هي علاقة عداء ونفور وتحامل من جانب العرب وخوف وحذر ومحاولة الخروج من مأزق من جانب الغجر.

وقد تأكد مصداق هذا القول وهذه النتيجة لدراستنا الميدانية عقب انهيار الحكم السابق وحدوث فوضى وغياب الأمن، قام بعض الأفراد المتدينين في الكمالية بتحريض الناس ضد الغجر وبالإغارة على بيوتهم وسلب ونهب بعض ما يمتلكون وإجبارهم على الرحيل من المنطقة برغم

من أن عدد الغجر فيها يقرب ٢٠٠٠ شخص، بحجة أنهم «مباءة للجريمة والمخدرات والدعارة. ويتهمهم بعضهم بأنهم كانوا يتمتعون بحماية أركان نظام صدام لأنهم كانوا يقيمون الحفلات والترويح والدعارة لهم... وبمجرد طرد الغجر هدم أناس بيوتهم وأخذوا الأبواب والشبابيك والطابوق وقد تركت أكوام من الأنقاض الصدئة تمتد لمسافة كيلومترين... وقد وجد الغجر مأوى آخر، الآن، فهم يقيمون في مجمع عسكري قديم دمره القصف في الحرب على مسافة بضعة كيلومترات من مكان إقامتهم القديم. ويقضون أيام الصيف القائظ في أكواخ مؤقتة أسقفها من الحديد أو غرف من دون سقف. يحصلون على الماء من الصنبور العام بينما التيار الكهربائي متقطع في أفضل الأحوال مثلما يحدث حالياً في كل أرجاء العراق.» [1]

علاقات الجوار في الفوار:

تتمثل هذه في العلاقة بين الغجر في الفوار وأقرب جيران لهم من العرب وهم الفلاحون الساكنون في قرية الجمعية، وهي تقع على مقربة(٢ كم) شمال قرية الغجر. ويمر طريق قرية الغجر من أمام القرية وبين مزارعها. ولا يحد قرية الغجر، بصورة مباشرة، سوى بعض المزارع وعلى بعد بضع مئات أو عشرات الأمتار.

وتمتاز هذه العلاقة بما يلي:

١- لما كان سكان القرية المجاورون هم من الفلاحين ويحتفظون بعلاقات قرابية في ما بينهم، حيث أن معظمهم من عشيرة (آل حمد)، فإنهم مجتمع محافظ، يرفض، جملة وتفصيلاً، كل أعمال الغجر هذه، وينظرون إليهم نظرة احتقار ويرون في رجالهم (قوادين سماسرة بغاء) ونسائهم (زانيات) ولا يقيمون معهم علاقات مودة واحترام فضلاً على المصاهرة.

١- جريدة الشرق الأوسط اللندنية، ٨-٧-٢٠٠٣.

٢- لقد نتج عن قرب الموقع الغجر منهم مشكلة تتكرر دائماً، تلك هي مشكلة نزول أو تردد بعض القاصدين لمنطقة الغجر أول مرة بالخطأ في قريتهم وسوء تقدير هؤلاء أن أهل القرية هم الغجر، وقد حدثت مشاكل شجار عديدة مع هؤلاء (زبائن الغجر).

لذلك حمل هؤلاء الفلاحون شعوراً هو ليس بحدة الشعور الذي وجدناه عند عرب الكمالية تجاه الغجر أي أقل كراهية وتحاملاً، وذلك لعدم وجود احتكاك مباشر معهم، حيث أن قرية الغجر منعزلة عنهم. وهم أكثر تحفظاً وتماسكاً ولا توجد مجهولية في محيطهم، لذا لا يخشون فساد أبنائهم وبناتهم، لأنه ليس، من السهولة على بنت، أن تذهب إلى منطقة الغجر بهذا الشكل وعلى مرأى من أهل القرية الذين يعتبرون جميعاً أهلها.

إن الشعور السائد، هنا، هو أسف من وجودهم (الكاولية) قربهم.

٣- توجد علاقات اقتصادية في بيع بعض الفلاحين في المنطقة (قرية الجمعية) بعض منتوجاتهم إلى الغجر مقابل أثمان.

٤- الإحساس الإيجابي بالذاتية والعرقية بالنسبة للفلاحين يقابله السلبي والشعور بمركب النقص لدى الكاولية.

نتيجة :

إن طبيعة علاقة الجوار التي تربط بين جماعة الغجر في الفوار وجيرانهم الفلاحين في قرية الجمعية هي علاقة تجنب اتصال وحذر.

وبالمقارنة مع ما حصل للكاولية في الكمالية من جيرانهم بعد انهيار سقوط النظام وتدهور الوضع الأمني، فإنه لم يحصل لنظرائهم في الفوار ما حصل لهم، وبقيت علاقة التحاشي ولكن ازداد حذر الكاولية في الفوار وتقلصت بل انعدمت، تقريباً، نشاطاتهم السابقة، وهاجر الكثير منهم إلى خارج العراق خاصة من لديهم إمكانيات مادية جيدة أو لديهم مواهب

فنية ومؤهلات أخرى وتحديداً الفتيات الجميلات ليعملن راقصات في ملاه ليلية في بعض دول الجوار العراقي مثل سورية والأردن والإمارات. وشكل بعضهم فرقاً فنية راقصة تشترك في أعمال الفيديو كليب لفنانين عراقيين.

نظرة الفجر إلى واقعهم:

جدول - ٤٦- إجابة عينة البحث على سؤال في ما لو كانوا يتمنون لو أنهم غير غجر.

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	٤٧	٧	٥٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٤١	٥	٤٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

يظهر من بيانات الجدول أعلاه أن عموم الغجر غير راضين عن كونهم غجراً، ويتمنون لو أنهم لم يكونوا كذلك، وقد لمس الباحث هذا الأمر أثناء الدراسة الميدانية، فحين يتحدث الغجري عن نفسه او مجتمعه أمام أحد من غير الغجر أو أمام مسؤول أو شخص اَخر له اعتبار أمامهم يقول(إحنا الكاولية مكرم السامع) وهذا الكلام الذي يقال من الكاولية، أحياناً، بحق أنفسهم هو إقرار بلا شك بدنو مكانتهم الاجتماعية.

كما أنه يدل على ضعف الاعتبار الذاتي لدى هؤلاء وهو إقرار بالرفض لمهنهم ووضعهم السائد ولا شك هو السبب.

وهو ناتج، أيضاً، عما يلاقونه من مصاعب جراء اصطدامهم بالمجتمع الأوسع الذي يرفضهم.

إن هذا الشعور وهذا الوضع سيؤثر حتماً في بناء شخصية الغجري والتي ستنشأ ضعيفة ومهزوزة وسلبية. وكذلك في تنشئة أبنائهم والذين تكثر في صفوفهم الانحرافات وبصورة مبكرة جراء الإهمال وسوء التربية.

جدول -٤٧- يبين مدى تفضيل عينة البحث لتغيير مهنهم.

[illegible]	نعم	[illegible]	المجموع
الكمالية	٨	٤٤٦	٥٤
٪	١٥	٨٥	١٠٠
الفوار	٣٣	١٣	٤٦
[illegible]	٧٢	[illegible]	[illegible]

من مطالعة البيانات في هذا الجدول نلاحظ الفرق الشاسع في إجابات عينة أسر غجر الكمالية منها في إجابات غجر الفوار، ففي المنطقة الأولى كانت (١٥٪) فقط تفضل أن يتغير نمط معيشتها مقابل (٧٢٪) في الفوار.

إن فرق الإجابة راجع إلى ما يلي:

١- إن غجر الكمالية أيسر حالاً من غيرهم من باقي مناطق الغجر في العراق، وذلك بسبب توفر فرص العمل لهم في موقعهم هذا ببغداد وتوفر الخدمات المقدمة.

٢- أهمية موقعهم في قيمة ما يمتلكونه (مثلاً ارتفاع قيمة مساكنهم كونها تقع ببغداد العاصمة) وكذلك ما يمتلكونه من عقارات أملاك أخرى.

٣- قناعة من لم يفضلوا تغيير نمط معيشتهم بعدم وجود حل بديل مناسب أفضل من الحال الذي هم عليه.

٤- هذا عكس سكان منطقة غجر الفوار الذين يعانون أموراً عدة منها:

١- سوء حالة مساكنهم.

٢- قلة الخدمات المقدمة لهم.

٣- بعد موقعهم نسبياً عن المدن وتحملهم تكاليف النقل المرتفعة.

٥- هذا فضلاً على وجود تأثر ديني واجتماعي نسبي، (تكيّفي) أو جراء ضغط المجتمع ونبذه وبالتالي ليفضلوا تغيير نمط معيشتهم. وكان علينا أن نطرح حلولاً بديلة لنمط المعيشة الحالي للغجر واستطلاع رأي عينة الدراسة في المنطقتين (النموذج) فكانت الردود التالية:

جدول ٤٨- ما هي الأعمال التي تفضل ممارستها في حالة تغيّر وضعكم؟

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكمالية	-	-	٣	٣	-	٢	-	٨
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفوار	٢	١٤	٣	٢	٤	٧	١	٣٣
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

ظهر أن العمل في التجارة والعمل بفرق فنية منتظمة تحتلان المرتبة الأولى بالنسبة لغجر الكمالية ممن يرغبون في تغيير مهنهم، وتأتي بعدها سياقة سيارة أجرة. وغياب تفضيل العمل في مهنة حكومية (ربما لقلة أجورها وعدم توفر المهارات لديهم)، وكذلك العمل في مصنع، وأيضاً، في الزراعة، لأنهم اعتادوا العيش في ظل المدن.

أما بالنسبة لغجر الفوار فإن مهنة الزراعة احتلت المرتبة الأولى وبنسبة (٤٢٪) وجاء بعدها العمل في سياقة سيارة أجرة بالمرتبة الثانية بنسبة (٢١٪) ثم العمل في مصنع ، والعمل التجاري والمهنة الحكومية والعمل بفرقة فنية وغيرها لم تحدد على التوالي.

ويظهر تفضيل الزراعة، بالمرتبة الأولى، وذلك لأنها عمل سهل ولا يحتاج إلى مهارة ، كما أن مكاسبه المادية كبيرة. وأما سياقة السيارة فلأنها مرغوبة لديهم بسبب حاجتهم الملحة إليها ومعاناتهم في التنقل وارتفاع الأجور.

خلاصة التكيّف الاجتماعي:

بعد بحث فصل التكيّف الاجتماعي يمكن إيجازه بالتالي:

١- إن تكيّف الغجر يتسم بالتوفيقية، حيث تم إحلال سمات ثقافية اقتبست من الثقافة السائدة مع الاحتفاظ بسمات ثقافية أخرى، والنتيجة أن الغجر، أو الكاولية، في العراق امتازوا بالتكيّف والتفرد وهذه سمة عرف بها الغجر في العالم.

٢- إن التكيّف كان في نوعين هما ذاتي (للغجر) مثل (الدين، الأزياء، اللغة، الاستقرار وأنماط الأكلات وغيرها).

وآخر يتطلب طرفي العلاقة (عرب – غجر) يتمثل في: الصداقة، الجوار، المصاهرة، التعامل المتفاعل وكذلك الشعور بالانتماء الوطني (المواطنة) بعد اكتسابهم الجنسية العراقية. وهذا يعني درجة من القبول الاجتماعي من الدولة الأقل وشعورهم بأنهم جزء من المجتمع العراقي، والعمل في ظل ذلك الشعور. لكن هذه العلاقة تقوم على المصلحة المادية من الطرفين أن حدثت ولا تعبر عن الرضا، العام خصوصاً، من العرب.

٣- إن التكيّف الاجتماعي، هنا، على وفق رؤية النظرية التبادلية(هو انبثاق أو ظهور وهو ناتج عن تفاعل العناصر التي خلقت صفات جديدة لم تكن متأصلة في العناصر وغير متوقعة مسبقا من تفاعلها في ضوء فحص العناصر المنفصلة والمستقلة ذاتها.[1] وهذه، أيضاً، مبنية على أساس حساب الربح والخسارة المادية ومثالها في جميع أشكال التكيّف التي بحثت.

٤- إن غجر الكمالية أكثر تكيّفاً مع المجتمع الشمولي (الثقافة السائدة)، وذلك من خلال تفاعلهم الأوسع مع غير الغجر وهذا بسبب توفر الفرص لهم أكثر من غيرهم من غجر المناطق الأخرى مثل الفوار،

١- زايتلن، ارفنغ، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

هذا إذا استثنينا علاقات الجوار مع سكان المحلات أو الدور المجاورة لهم في الكمالية، حيث تتسم بالعداء الشديد أو التحامل من العرب تجاه الغجر والخوف والحذر من الغجر.

الفصل العاشر

أوضاع الكاولية في العراق اليوم

أهم مشاكل الكاولية في العراق

أهم نتائج الدراسة

مقترحات وتوصيات لمعالجة واقع الكاولية في العراق

أوضاع الكاولية في العراق اليوم

بعد انهيار النظام السابق في عام ٢٠٠٣، ساءت أحوال الغجر في العراق، وأصبحوا أكبر المستضعفين بين فئاته المتنوعة، وذلك ناتج عن سيطرة الأحزاب والمليشيات الدينية المتطرفة في مختلف أنحاء البلد، وللصورة النمطية الشائعة عن الكاولية، من ممارستهم لأعمال تعد مخالفة للدين والقيم الاجتماعية. فقد كانوا هدفاً «مشروعاً» بالنسبة لهذه الجماعات. ويصعب على جماعات صغيرة مثل الغجر حماية أنفسهم في مثل هذه الظروف، كونهم أقلية لم تعتد على الصراع الجماعي المنظم والمسلح، وكذلك كونها اعتادت العيش في كنف وحماية غيرها، مذ كانوا قبائل مترحلة تعيش في حماية شيوخ القبائل التي يحلون في مضاربها.

ومن أمثلة ما تعرضوا إليه، هو ما حصل للكاولية في منطقة الكمالية ببغداد من تهجير[1] وتشريد، أقدم عليه نفر غير مسؤول من أبناء الكمالية، وذلك بعد التغيرات السياسية التي حدثت في العراق ابتداءً من يوم ٩ نيسان (ابريل) ٢٠٠٥، وبداعي أن هؤلاء (الكاولية) (مأوى للدعارة وخارجين على الدين، وأن وجودهم في هذه المنطقة المحافظة هو مصدر مضايقة وإزعاج مستمرين لأهلها). وقد ساعد الإنفلات الأمني، الذي حدث عقب سقوط النظام السابق، على تنفيذ هذه الإجراءات الجائرة

١- لقد جرت محاولات سابقة لترحيل الكاولية من حي الكمالية وعن طريق المجلس المحلي، حسبما أورد موقع إسلام اونلاين http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/alhadath2000-oug- 23/alhadath-4.asp، ،3-8-20002 ذلك "قرر مجلس شعبي مدينة بغداد الثلاثاء 22-8-2000 ترحيل الغجر من العاصمة إلى خارجها بسبب مشاكلهم الاجتماعية الكثيرة وشكاوى الاهالي ورجال الدين". ويبدو ان الحكومة لم تستجب لهم، في وقتها، فبقي الحال، كما هو عليه، حتى حانت الفرصة للاهالي في هذه المنطقة وغيرها لترحيل الكاولية قسراً.

وذكر أحد أعضاء المجلس في تصريح صحفي أن الغجر الذين يتجمعون في ضاحية الكمالية شرقي بغداد يمارسون اعمالا منافية للاداب والتقاليد الاجتماعية واصبحت منطقتهم وكرا للمجرمين والخارجين على القانون

التي لم تراع القيم الإسلامية في اتباع سياسة حكيمة، تتمثل في توجيه الإنذار الأولي إليهم مثلاً، بالامتناع عن الممارسات السابقة، التي عدت تهماً لهم، ومسوغاً لترحيلهم قسراً من المنطقة التي عاشوا فيها عشرات السنين. وبالتالي تشريدهم في خرائب أو معسكرات سابقة للجيش في أطراف بغداد، هذا فضلاً على القيم الإنسانية في استثناء الأطفال والشيوخ والمرضى من هذا العقاب الجماعي.

إننا نجزم أن قيم وتعاليم الدين الإسلامي تقتضي اتباع أساليب غير تلك التي اتبعها هؤلاء، حيث تأخذ تدرجاً يبتدئ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولعله لا ينتهي بمثل ما ابتدأ به هؤلاء. ولنا في ما أقدم عليه الإمام محمد صادق الصدر إبان تصديه للمرجعية الدينية في تسعينات القرن العشرين، وفي ظروف صعبة، وجه لهم نداء، من أجل التخلي عن مهنهم وطرق كسبهم وعيشهم، وخاطبهم بالتي هي أحسن، [١] وكان رد فعل الكثير منهم إيجابياً، حينما قدمت أعداد منهم تبايعه، بالرغم من تمتعهم بحماية النظام السابق وعدم حاجتهم إلى السيد الصدر وقتها، وبالرغم من خطورة ما أقدموا عليه في ذلك الوقت، حيث تشديد النظام عليه ومراقبة تحركاته ومن يقدم إليه. حتى إن كل من مكتبي السيد السيستاني والسيد الصدر قد أعطاهم وعودا بعدم الاعتداء عليهم، بعد الذي حصل لهم في أزمتهم الحالية، كي يعودوا إلى ديارهم. [٢]

لقد حاولت الكثير من الجهات الأجنبية إسقاط ما حصل على الدين الإسلامي عامة والتسامح العراقي خاصة، والذي اهتز بعد حدوث التغيّرات السياسية الأخيرة، وأن ما تعرض إليه الكاولية في العراق هو نموذج لها. ومن أمثلة هذه (إضافة إلى التقارير والمقالات العربية والأجنبية

١- خطبة الجمعة رقم ٤٥.
٢- تقرير وكالة رويترز للانباء والذي نشرته جريدة الزمان الدولية في ٥-١-٢٠٠٦.

التي استشهدنا بها، هنا) المقال المنشور في موقع «صفحة الأديان» The Region's homepage ، والمعنون (في العراق المتدين الآن، لا تسامح مع الغجر In now-religious Iraq, no tolerance for Gypsies)[1] والذي يصور حال الغجر البائس الذي يصعب على أي إنسان، حيث عدم الرحمة واللاإنسانية ألقت بهؤلاء الناس من دون مأوى ولا كهرباء ولا ماء ولا سكن ملائم، ولا خدمات صحية ولا حماية أمنية، التجأوا إلى معسكرات سابقة للجيش أو احتموا بالقوات الأجنبية الموجودة على أرض العراق، الأمر الذي جعلهم يحنون إلى أيام صدام حسين ويعتبرونها أكثر إنسانية ممن تبعه. بعضهم باع بيته مضطراً لجيرانه أو أبناء منطقة الكمالية، وبسعر يقل عشر مرات عن سعره الحقيقي حسب ادعائه.

وأوضاع الغجر هذه الآن فقد كان لبعض القوات الأجنبية المتواجدة على أرض العراق، ومنها القوات الإسبانية التي كانت موجودة في محافظة القادسية (الديوانية) في جنوب وسط العراق، فضل في توفير نوع من الحماية لهم، بعد أن التجأوا إليها ونصبوا خياماً بباب مقرها العسكري طلباً للحماية، بعد أن هجرتهم المليشيات الدينية. فقامت هذه القوات بإعادتهم وتقديم بعض الدعم الذي عوضهم عن جزء مما فقدوه وعن الأضرار، التي لحقت بهم وذلك في عام ٢٠٠٤. ولكن بعد انسحاب هذه القوات عادت أوضاعهم إلى أسوأ مما كانت عليه.

توجه الاتهامات إلى المليشيات الدينية المسلحة وخاصة «جيش المهدي» باستخدام العنف والانتهاكات ضدهم. يذكر موقع محطة «PBS» الإعلامية الأميركية أنه «في الأسبوع الأخير من شهر آذار- مارس ٢٠٠٤، دهم (جيش المهدي) قرية صغيرة يسكنها من الغجر مابين ١٠٠٠ - ١٥٠٠ نسمة،

1- http://www.philly.com/mld/philly/news/11823843.htm . 6-6-2005.

وبداعي أن هؤلاء يمارسون الغناء والرقص، فقد سوّت بيوتهم بالأرض، وقتلت عددا منهم وعذبت وشردت الآخرين» [١]

كما يذكر موقع (Relief Web) نقلاً عن مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، [٢] وتحت عنوان (الغجر ينادون بحقوق أكبر)، وبتاريخ ٣ آذار- مارس ٢٠٠٥، (إنه في عام ٢٠٠٣، وفي أعقاب سقوط النظام السابق، قامت ميليشيا ((جيش المهدي)) بمهاجمة بيوت الغجر في الديوانية، وقطعت عنهم الكهرباء ودمرت المدرسة الوحيدة في قريتهم)[٣].

إن هذه المليشيات الدينية تطبق (أحكاماً تعتقد أنها من الشريعة) مثل الجلد وحلاقة الرأس، وغيرها، حتى بحق من يعتقد أنه قاصد لقرية الكاولية في الفوار، وليس على الكاولية فقط.

وقد تناقلت الأخبار أن (مجموعة من مفارز (جيش المهدي) في محافظة الديوانية قامت بإلقاء القبض على كل من يذهب من الشباب -المنحرف- إلى منطقة الرذيلة والفساد (الكاولية) ومعاقبته أمام الناس، حيث بلغ عدد -المنحرفين- في أول أيام عيد الفطر المبارك ما يقرب من ١٠٠ شخص وفي ثاني أيام العيد بلغ عدد المعتقلين ٧٥٠ شخصاً ومن محافظات عدة، كما ألقت مفارز جيش الإمام على عدد من مولي المخدرات والمشروبات الكحولية ومن جنسيات غير عراقية وتسليمهم إلى مديرية الشرطة في المحافظة). [٤]

1- PBS Media Website. An Interview with prof. Dr. Adeed Dawisha. "Adeed Dawisha. is professor of political science at Miami University of Ohio – he>s written extensively on the politics of the Middle East". http://www.pbs.org/newshour/bb/middle_east/jan-june04/turmoil_4-5.html

٢- ذكرت ملاحظة إن هذا التقرير لا يمثل راي الامم المتحدة.

3- Relief Web. http://www.reliefweb.int/rw/RWB.NSF/db900SID/DDAD-6A5NFE

4- موقع الرابطة http://www.iraqirabita.org/index.php?do-article&id-2610 5-11-2005.

ويرد، أيضاً، في تقرير مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية: [1] أن القرية الصغيرة المسماة (الزهور) – اسم جديد لقرية الغجر في الفوار- التي تتبع محافظة الديوانية والواقعة على مسافة ١٨٠ كم جنوب بغداد، هي مركز لتجمع الغجر الذين يعيشون في بيوت من الطين وخيام. وقصتهم أطول من أن تسرد، حيث يعانون الفقر والظروف الصعبة التي تفتقد إلى المساعدات الصحية والاجتماعية والتعليم، والكهرباء، والماء والحماية من الحركات الدينية التي تضطهدهم.

إن مصادر رزقهم الرئيسة هي الغناء والرقص والتي اعتادوها لمئات السنين، ولا يتقنون مهناً غيرها، كما إنهم ليسوا متعلمين، ومن فيهم متعلم فليس بما فيه الكفاية ليحصل على وظيفة، وإن كانتَ هناك فرصة للعمل، فسوف يلقى التمييز العنصري كونه غجرياً.

وفي زيارتنا الأخيرة(ديسمبر ٢٠٠٦- يناير ٢٠٠٧)، للعراق وحيث ترددنا الكثير على الديوانية، لم نشاهد أي وجود للميشيات أو قوات شعبية تحاصر المنطقة في ذلك الوقت، إلا من وجود نقطة تفتيش لقوات أمن عراقية، تقف على مفرق الطريق القصير المؤدي إليها، بعد أن استتبت الأمور على هذا الحال. وقد وقفنا على حقيقة كون قرية الغجر هذه التي اشتهرت باسم الفوار تعيش عزلة، شبه تامة، حيث غاب عنها زوارها الذين كانوا لا ينقطعون إبان الحقب السابقة. الأمر الذي يعني انقطاع (مصادر رزقهم)، وصعوبة استمرار حياتهم.

من المؤكد أنهم مشمولون بالحصة التموينية التي تشمل جميع العراقيين، ولكن متطلباتهم الأخرى الكثيرة، خاصة في ظل شح الوقود، والماء الصالح للشرب وحاجتهم للتردد على المدن لاغراض العلاج والتعليم وغيرها، يعقد حياتهم أكثر وأكثر. وهو ما دفع بالعديد منهم إلى الهجرة

1- Relief Web. Op cit

خارج العراق (سورية والأردن خاصة) ومن ثم إلى بعض دول الخليج أو طلب اللجوء إلى البلدان الغربية. وينتظر الباقون دورهم في الرحيل، من خلال أقربائهم ومعارفهم الذين وصلوا إلى هناك.

أما الغجر في منطقة أبو غريب الواقعة نحو ٣٠ كم غربي بغداد، فليس وضعهم بأحسن حال من أقرانهم في الكمالية أو الفوار، فقد تعرضوا إلى ما تعرض إليه أولئك في منطقة الكمالية، حيث يدعي الغجر أن أفراداً من عشيرة زوبع ذات الأغلبية السكانية في أبو غريب قد هاجموهم بالسلاح والقنابل وشردوا ١٣٦ أسرة تركت أموالها وبيوتها، وانتقلت إلى بعض الثكنات العسكرية السابقة، أحدها يقع على طريق بغداد- أبو غريب، حيث يوجد أكثر من ١٠ عائلات غجرية يعيشون في غرف، كل غرفة فيها أكثر من ٩ أفراد. ويتهم أبناء زوبع، رئيس النظام السابق صدام حسين، بأنه هو من قام بتوطين الكاولية في منطقتهم، وذلك للحط منهم وتلويث سمعتهم، لأن الرئيس الأسبق عبد السلام عارف وأخاه الرئيس عبد الرحمن من أبناء هذه القبيلة. وإن صدام قد استثنى الكاولية من شرط التسجيل في تعداد عام ١٩٥٧، لسكنة بغداد، ومنحهم امتياز التملك والسكن في العاصمة حالهم حال أبناء عمومته، بينما حُرم أهل هذه المنطقة وغيرهم من العراقيين من هذا الامتياز.[١]

ومن المرجح أن يكون حال تجمعات القرى الأخرى مشابهاً لما حصل في هذه الأماكن المشار إليها هنا، وذلك نتيجة لتشابه الظروف وتشابه بنية المجتمع العراقي الثقافية، مع أن تقرير وكالة رويترز للأنباء يقول إن «غجر قرية حديد القريبة من بعقوبة قد يكونون من الأسعد حظاً بين غجر العراق»[٢]

١- إمام الليثي، الكاولية يبحثون عن مأوى بعد صدام، موقع إسلام أونلاين
http://www.islamonline.net/Arabic/news/2003-05/06/article09.shtml
في 6-5-2003.

٢- تقرير وكالة رويترز، سبق ذكره..

أي أن ما حصل لهم هو أهون مما حصل لغيرهم. وبالرغم من ظروف الكاولية الصعبة، فإن أغلبيتهم قد حرصوا على المشاركة في الانتخابات التي جرت في ٣٠ ك١- يناير ٢٠٠٥، حيث أقرب مركز للتصويت كان يقع على مسافة ٢٠ كم عنهم كما يذكر التقرير [١] والذي يضيف أن صور رئيس الوزراء السابق في الحكومة المؤقتة (د. إياد علاوي) كانت موجودة في أغلب بيوت القرية، حيث يعتقدون انه الأنسب والقادر على توفير الحماية لهم.

وحيث يبرر العديد منهم مشاركتهم بالانتخابات في أنهم يريدون عراقاً موحداً حراً ديمقراطياً.

إنهم، الآن، يأملون أن توجه الحكومة نوعاً من الحماية والرعاية لهم، كما أنهم لا يخفون تطلعهم في الهجرة إلى خارج البلد، طلباً للرحمة والمعاملة الإنسانية مثل باقي الغجر في العالم. [٢]

إن المجتمع المحيط بهم ينظر إليهم نظرة دونية بسبب سمعتهم. بعضهم يطالب بترحيلهم وبعضهم الآخر يرى أنه يجب أن يحصلوا على حقوق متساوية في العراق الجديد.

ويظهر تجاهل وإهمال الجهات الشعبية العراقية ومنظمات المجتمع المدني، إما تأثراً بالأفكار والأحكام النمطية السائدة، أو خوفاً من سطوة الجهات الدينية الراديكالية. تقول منظمة الهلال الأحمر العراقية على لسان الناطق باسمها في تصريح لـ« شبكة المعلومات»الإقليمية المتكاملة (IRIN) التابعة التابعة للأمم المتحدة»: «إنهم لا يعلمون بما يحل بالغجر، وإنهم لم يقدموا لهم أي دعم أو عون بسبب الافتقار إلى المعلومات الكافية عنهم»!! [٣] أما الحكومة المحلية في الديوانية، فقد قدمت وباستحياء بعض

1- Relief Web. Op cit.

2- Ibid.

3- Ibid.

الخدمات لهم باعتبارهم حاملين للجنسية العراقية، حالهم حال الآخرين، وعليه يجب أن يشملوا بأية خطة للتنمية الاجتماعية، كما يقول أحد أعضاء المجلس البلدي في المحافظة.

لقد هاجر الكثير منهم وخاصة الراقصات والموسيقيين إلى بلدان الجوار تحديداً سورياً والأردن وإلى بلدان الخليج، حيث استوطن الكثير في دبي وذلك لما توفره من أماكن ترفيه تمنحهم الفرص للتواصل مع مواهبهم ومهاراتهم، إضافة إلى توفير لقمة العيش. ويشكل هؤلاء مع الكثير من فنانات الملاهي العراقية السابقات فرقاً فنية تقدم فنونها على مسارح هذه البلدان. وتساق تهم بأن عدداً منهن يتعاطين البغاء في هذه البلدان.

مشاكل مناطق الكاولية :

بعد الدراسة التي أجريناها، ميدانياً، في منطقتي الكاولية في الكمالية ببغداد والفوار في محافظة القادسية، وذلك للاطلاع على التكيّف الاجتماعي للغجر ومن خلال مقارنة التكيّف في نموذجين لإسكان الغجر في العراق.

فالنموذج الأول هو السكن الملتحم بجوار مساكن غير الغجر وهو الكمالية. والنموذج الآخر هو نموذج السكن المعزول (غيتو ghetto) المتمثل بمنطقة الفوار وباقي مناطق الغجر في العراق.

وقد أفرز النوع الأول من سكن الغجر في الكمالية مشكلات عدة منها:

١- مشكلة التصادم المستمر بين الغجر وجيرانهم العرب (غير الغجر)، وهذا التصادم تمثل في نزاع عدائي وتحامل شديد من جانب العرب خاصة ضد الغجر، وذلك لأن الغجر بنظرهم (مخلون بالدين والتقاليد والقانون) بسبب مهنهم، ونشوء سلوك مضاد من الغجر يتمثل في ما يسمى بالتمركز

حول العرق (Ethnocentrism) والتحفظ الشديد والخوف المستمر من حدوث اعتداءات، قد ذكرنا بعضها في هذه الدراسة، لقد تطور الأمر الآن كما شهدنا إلى ما آل إليه، حيث الاعتداء على الغجر وتشريدهم من مساكنهم وهو في نظر بعضهم أمر مشروع، وكل ذلك في غياب المسؤولية والقانون الذي يحميهم.

٢- إن التقارب في السكن، وعلى هذا الحال، قد يؤدي إلى إثارة وإفساد أبناء وبنات جيرانهم (غير الغجر) جراء الاحتكاك، والمحاكاة والتقليد والإغراءات.

٣- ارتكاب أعمال مخلة وجرائم من بعضهم من غير الغجر وإلصاقها بالغجر.

٤- مشاكل النصب والاحتيال التي يعملها بعض الغجر أو يندس بينهم.

أما النوع الثاني من توطين الغجر وهو السائد في العراق ونموذجه منطقة الفوار التي درسناها فقد برزت فيه المشاكل التالية:

١- معاناة الغجر الكبيرة من قلة الخدمات المقدمة لهم والإهمال الذي يصيبهم:

١- حيث يعاني معظم مناطق الغجر عدم إيصال ماء الشرب الصالح، مما يجبرهم على تحمل تكاليف شراء الماء بأسعار باهظة.

٢- بعد مسافة هذه التجمعات عن المدن وعدم تبليط الطرق لمعظمها، ما يؤدي إلى ارتفاع أسعار النقل وتحميل أعباء مضافة.

٣- عدم تبليط الشوارع الداخلية لمناطقهم.

٤- عدم منح وكالة المواد الغذائية في مناطقهم وربطها بمراكز مدن بعيدة عنهم.

٥- عدم وجود مدارس قريبة لمعظم تجمعات الغجر مما يؤدي إلى تسيب أبنائهم مبكراً أو عدم التحاقهم بالمدارس.

٦- غياب الخدمات الصحية، حيث لا توجد مراكز صحية في مناطقهم وإن كانت هناك فرق صحية دورية منتظمة وبعضها غير مخلصة في العمل. كما أن معظم الغجر يتهربون من الفحص لدى هذه الفرق، لأنها، ربما، تكشف أمراضهم كونها تمثل الدولة. ويفضلون مراجعة العيادات الخاصة وهذا يعني توكيل الأمر إلى الغجري نفسه، وهذا أمر صعب لعدم وعيه وصعوبة ظروفه المادية.

إن مناطق الغجر أخطر مناطق الوباء والعدوى حيث يخشى أن تنتشر الأمراض الزهرية والتناسلية الخطرة ومنها المرض الفتاك الإيدز.

٧- غياب الشرطة مما يعني كثرة المخالفات والجرائم، وإن حضرت الشرطة في بعض المناسبات أو المواقف فإن بعض أفرادها غير نزيه ويسيء لشرف المهنة في التجاوز أو القسوة عليهم وحتى مع غير الغجر.

٨- اعتيادهم كسب المال بسهولة، وهذا النمط من المعيشة.

٩- عدم امتلاكهم مهارات أو كفاءات أو شهادات علمية لكي يعملوا في مجالات أخرى.

١٠- رفض المجتمع لهم وتشخيصه إياهم أينما حلوا ونبذه ورفضه لهم.

١١- عدم وجود الحل البديل السهل والجاهز.

أهم نتائج الدراسة

تناولنا في هذه الدراسة موضوع التكيّف الاجتماعي للغجر في العراق وقد استهلينا الدراسة بمدخل عن الغجر، واستخدمنا نظرية التبادل الاجتماعي لجورج هومانز وبيتر بلاو وثيبوت وكيلي إطاراً نظرياً للدراسة.

وقد كانت نتائج الدراسة ما يلي:

١- إن الغجر ثقافة فرعية داخل ثقافة المجتمع العراقي الأوسع (الثقافة السائدة)، وذلك بسبب تمايزهم الثقافي والمهني والقيمي من خلال ممارساتهم لمهن تعارض الثقافة السائدة من دين وقانون مما عرضهم للنبذ الاجتماعي وبالتالي يصح أن نطلق عليهم (ثقافة متقاطعة).

٢- إن الغجر أقلية عرقية تنتمي بأصولها إلى قبائل هندية هاجرت إلى المنطقة والعالم على شكل موجات قبلية واتخذت تسميات عديدة.

٣- إن تسمية الكاولية متأتية من اسم الملك كاول في الهند، حيث كانت هذه القبائل تعيش وتخدم نساؤهم في معبد الملك كاول. وما يدل على ذلك طبيعة العمل الذي كانت تمارسه بعض نساؤهم من غناء ورقص وبغاء لمصلحة الكهنة ولطالبي المتعة، مقابل أجور. ويسمين (خادمات الله)، وهذه الأعمال مشابهة لأعمالهم التي تمارس اليوم. والظن أنهم بعد هجرتهم تشرفوا بحمل الاسم (الكاولية) معهم.

٤- ارتفاع حجم الأسرة الغجرية وخاصة في منطقة الكمالية (١٠,٣) أفراد في الأسرة الواحدة و(٩) أفراد في الفوار، وهذا التكدس يرجع إلى أسباب منها:

١- صعوبة الانشطار العائلي بسبب ارتفاع تكاليف شراء أو بناء البيت. ومع أن مدخولات الغجر عالية، إلا أن متطلباتهم كثيرة وإنفاقهم كثير، وخاصة على اللهو والقمار والمكياج وغيرها.

٢- إن طبيعة مهن الغجر تتطلب كثرة عددية في الأسرة، وذلك لحماية الأسرة من اعتداء بعض الزبائن، أو لحسم الموقف لصالحهم في حالة حدوث شجار مع شخص غريب، أو لغرض تشكيل فرقة فنية.

٣- اشتراك بعض الأقارب في السكن، أو سكن بعض المتغجرين مع الأسر الغجرية وخاصة العاهرات أو المستخدمين عند الغجر.

٥- ارتفاع مستوى الأمية بين أرباب الأسر الغجرية، وترك الدراسة المبكر من أبناء الغجر، مما يؤدي إلى أمية ثقافية تكاد تكون تامة. إضافة إلى الأمية الأبجدية.

٦- تشابه أنظمة القرابة والزواج لدى الغجر في العراق، مع ما هو سائد لدى المجتمع العراقي، وهو مظهر من مظاهر التكيّف الاجتماعي.

٧- إن الأسرة المركبة والمشتركة السكن هي النموذج السائد.

٨- تأخر سن الزواج لدى أبناء الغجر، حيث أجمع أغلبية أفراد عينة الدراسة على أن السن المثالي للزواج وللجنسين ينحصر في الفئة العمرية (٢١ – ٢٥) سنة. ولتأخر سن الزواج كما يرون أسباباً لعل أهمها:

ارتفاع المهور، حيث يصل مهر بعض الفتيات، وخاصة الجميلات جداً، إلى أرقام تكاد تكون خيالية، مثل ربع مليون أو مائة وخمسين ألفاً أو مائتي ألف دينار، وذلك لأن الفتاة مصدر دخل مهم للأسرة، وأيضاً أن معظم الشباب يستطيع إشباع رغبته الجنسية في المنطقة.

٩- إن الغجر يتدينون بالدين الإسلامي، وهو مظهر تكيّفي مع المجتمع الأوسع، وذلك لأن الدين الرسمي والسائد هو الإسلام.

١٠- إن الغجر، عموماً، في العراق يدينون بالدين الإسلامي ويعلمون، تماماً، أن مهنهم ومعظم أفعالهم مخالفة للدين الإسلامي.

١١- إن غجر منطقة الفوار أكثر اقتراباً للدين من غجر الكمالية،

وذلك بسبب موقعهم في مجتمع محافظ، نسبياً، وكذلك قرب الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء والكوفة. بينما تقع الكمالية ببغداد العاصمة وهي ذات سمات أقل بكثير مما في الأولى التي ذكرت.

١٢- إن الحرف الرئيسة للغجر هي: الطرب (الغناء، الموسيقى والرقص) وتجارة الجنس (البغاء والسمسرة فيه) والعمل التجاري (امتلاك وإدارة محال تجارية ومحال بيع المشروبات الكحولية).

١٣- إن معظم مهن الغجر غير مرغوبة، بل مرفوضة من المجتمع العراقي.

١٤- إن اقتصاد الأسرة الغجرية يعتمد بصورة رئيسة على المرأة، ومن يمتلك بنات أكثر فإنه أرفه حالاً.

١٥- إن حرف الغجر الرئيسة خطيرة وقلقة بالنسبة لهم، ومرهونة بالظروف العامة، وهي ليست إنتاجية، بل استهلاكية خدمية وترفيهية.

١٦- إن أكبر رادع وعامل ضبط مؤثر في الغجر هو سلطة القانون المتمثلة بالشرطة، ويأتي بعده الدين وبفارق كبير، ثم العشيرة والعرف.

١٧- لا توجد ضوابط واهتمام واضح في تربية وتنشئة الأطفال، وذلك بسبب طبيعة الحياة والتي انعكست عليها المهن التي يمارسونها.

١٨- تمتاز منطقة غجر الفوار بأنها أكثر امتثالاً لعوامل الضبط الاجتماعي من منطقة الكمالية. وبهذا تعكس نوعاً من التكيّف في هذا الجانب.

١٩- تتوفر جميع أدوات الاتصال للغجر مع المجتمع الأوسع، ولمنطقة الكمالية الحظ الأوفر في ذلك بسبب موقعها ببغداد الذي يهيئ لها ذلك.

٢٠- إن التكيّف الاجتماعي يتسم بالتوفيقية، حيث يتم إحلال بعض السمات الثقافية من الثقافة السائدة مع الاحتفاظ بسمات أخرى

مما أكسبهم سمة التكيّف والنفوذ.

٢١- إن التكيّف الاجتماعي هنا نوعان: تكيّف ذاتي، تمثل بـ(الأزياء والدين واللغة والاستقرار وبعض المظاهر الثقافية مثل عمل الأكلات وغيرها).

وتكيّف يتطلب صدقاً وتعاوناً من طرفي العلاقة (الغجر والعرب) ويتمثل في المصاهرة والصداقة والجوار وعلاقات التفاعل المباشر مثل البيع والشراء وغيرها. وهذه قد كانت زائفة ومبنية على مصلحة من طرفي العلاقة، وهي قليلة جداً وكالفقاعة، سرعان ما تتلاشى.

ومع أن الغجر يبدون استعداداً لها لكن الطرف الآخر يرفض، باستمرار، مثل علاقة الجوار بين الغجر والعرب(غير الغجر) في الكمالية.

٢٢- إن غجر الكمالية، عموماً، أكثر تكيّفاً من غجر الفوار في معظم جوانب حياتهم وذلك بسبب اتصالهم المستمر مع المجتمع الأوسع، إذا استثنينا علاقة الجوار المتوترة مع العرب المجاورين لهم والتي تتسم بالتحامل والتعصب الشديد ضدهم(وهو لم يرتقِ إلى العنف) بسبب مهن وأفعال الغجر المتقاطعة مع ثقافة المجتمع الأوسع، عموماً، وطبيعة هذا المجتمع(المجاور) المحافظ إلى حد ما، بسبب جذوره العشائرية والتزاماته الدينية.

٢٣- تحققت فرضيات البحث وكالتالي:

١- تحققت فرضية البحث الأولى القائلة (إن مكانة الفرد في الأسرة مرهونة بدوره الاقتصادي)، وذلك بعد دراسة النسق القرابي ومنزلات الأفراد في الأسرة، فوجدنا أن مركز المرأة أرفع من الرجل كونها المصدر الاقتصادي المهم للأسرة الغجرية وبمقارنة ذلك مع الأسرة العراقية أو العربية أو المسلمة نجد أن مكانة الرجل أرفع من مكانة المرأة كونه منتجاً في الأسرة

بالدرجة الأولى، ومن منطلق (الرجال قوامون على النساء) كما يفسره الكثيرون، وما يؤكده، أيضاً، تفضيل المولود الأنثى في الأسرة الغجرية عكس ما عرف في معظم المجتمعات الأخرى والمجاورة خاصة.

٢- وتحققت الفرضية الثانية وهي (تأثر مهنة الأبوين تأثيراً كبيراً في تنشئة أبنائهم)، وذلك بعد دراسة النشاطات الاقتصادية والمهن التي يمارسها الغجر وما يرافق هذه المهن من سلبيات تطبع أثرها في تربية وتنشئة أبنائهم.

٣- تحققت فرضية البحث الثالثة والقائلة: (إذا كانت الثقافة الفرعية تتسم ببعض القيم التي تصطدم بمعايير المجتمع الأوسع، فإن ذلك يعرضها للرفض والنبذ الاجتماعي).

٤- تحققت الفرضية الرابعة للبحث وهي: (إن عملية التفاعل الاجتماعي تؤدي إلى التكيّف). وذلك من خلال استعراض وسائل الاتصال والتفاعل التي تحدث للغجر مع المجتمع الأوسع لتحقيق نوع من التكيّف مع المجتمع.

٥- وتحققت فرضية البحث الخامسة والقائلة: (إن العلاقات الاجتماعية تقوى وتتعمق إذا كانت كفة الأرباح لكلا الطرفين متساوية لكفة التكاليف، وتصبح ضعيفة باختلال التوازن بين العلاقة وأرباحها). وذلك من خلال دراسة علاقات التزاوج (المصاهرة) مع غير الغجر وعلاقات الصداقة والتي كانت مادية بحتة مبنية على أساس الربح.

٢٤- إن الغجر على استعداد للتكيّف، بسهولة، والاندماج مع المجتمع، لكن ليس على استعداد أن يتركوا مهنهم هذه، بسهولة، وذلك لأسباب عدة ذكرناها سابقا.

مقترحات لمعالجة واقع الكاولية في العراق:

أدناه المقترحات التالية للجهات المعنية راجين أن تكون هذه بمستوى المشكلة المدروسة:

١- يجب النظر أولاً وأخيراً إلى أن ليس كل الكاولية مخطئين أو خارجين على الدين والعرف والقانون، خصوصاً أنهم مجتمع توارث عادات وتقاليد وتجارب كثيرة، وضغطت عليه ظروف حياتية مختلفة وأن بين صفوفه أطفالاً أبرياء وقد تشبعوا بالثقافة التي نشأوا عليها. «إن الإنسان لا ينمو عقله إلا في حدود القالب الذي يصنعه له مجتمعه». [١]

إن معظم أفراد الغجر مثل مدمن المخدرات بحاجة إلى علاج وليست عقوبة ولهذا نطرح الاقتراحات التالية:

- توفير الحماية الأمنية الكافية للغجر في كل مناطق العراق، وذلك وفقاً للقيم الدينية والإنسانية التي تحمي الضعيف والطفل والشيخ والمرأة، وتجنبهم العقاب الجماعي والاعتباطي الذي يصدر عن أشخاص وجهات غير مخولة.

- تجميع الغجر في العراق كافة بمنطقة واحدة، وإعداد مهن تناسب مع ما تيسر وما يناسب كفاءتهم، ومثال ذلك الأراضي الزراعية باعتبار أن الزراعة لا تتطلب مهارة كبيرة.

- توفير خدمات لهم منها التعليمية والصحية والإدارية والاستشارية. وعلى أن تخضع جميع هذه الأجهزة لسلطة مركزية أعلى، وأن تتغير هذه الكوادر بين فترة وأخرى حتى لا يحدث فساد إداري أو تبنى المحسوبية معهم.

- تشديد الرقابة التامة على من يعاود الأعمال السيئة السابقة.

١- الوردي، علي حسين، مهزلة العقل البشري، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٥، ص ١٧٢.

- وأن ترعى المواهب الفنية وتنظم بصورة عصرية.

- تشجيع التعليم لأبناء الغجر ولكلا الجنسين ولجميع المراحل وعلى الأمد البعيد، وذلك بإعطاء تسهيلات لأبناء الغجر تتمثل في :

١- توفير مدارس قريبة منهم.

٢- إعفاؤهم من بعض الالتزامات المادية التي تطلب، أحياناً، من الطلبة.

٣- توفير مستلزمات الدراسة من قرطاسية وغيرها، وعلى فترات منتظمة على مدار السنة الدراسية.

٤- توزيع مكافآت مادية ومعنوية بين أبناء الغجر، عموماً، والمتفوقين منهم خصوصاً.

٥- استثناؤهم من شرط المعدل للقبول في بعض المعاهد والكليات (الفنون الجميلة خاصة) العراقية وذلك لتشجيعهم على مواصلة الدراسة والتعليم، وهذا نظام تتبعه بعض الدول الأوروبية مثل بلغاريا.[١]

١- أفاد بذلك الباحث الدكتور مجيد عارف.

مصادر ومراجع الدراسة

أولا: المراجع العربية:

١- القرآن الكريم.

٢- إبراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٥.

٣- أبو بكر الرازي، قاموس مختار الصحاح، ط١، دار الرسالة، كويت، ١٩٨٦.

٤- إحسان محمد الحسن، مشكلات الزواج المختلط والعوائل المختلطة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤.

٥- إحسان محمد الحسن وعبد المنعم الحسني، طرق البحث الاجتماعي، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٢.

٦- إحسان محمد الحسن، محاضرات في الإحصاء الاجتماعي ملقاة على طلبة الماجستير في قسم علم الاجتماع – كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٩٤.

٧- أحمد الخشاب، الضبط الاجتماعي- أسسه وتطبيقاته العملية، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨.

٨- ارفنغ زايتلن، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمود عودة وإبراهيم عثمان، طبع دار ذات السلاسل، كويت، ١٩٨٦.

٩- إيزابيل فونيسكا، سيرة الغجر، ترجمة عابد إسماعيل، عرض ملخص منشور في موقع الزوراء، http://www.alzawraa.net

١٠- باري شوغرمان، علم الاجتماع – النظرية والمفهوم، ترجمة محمد الغريب عبد الكريم، ط٥، المكتب الجامعي، مصر، ١٩٨٨.

١١- بول كليبر جان، الغجر – دراسة تاريخية فولكلورية، ترجمة لطفي الخوري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٧٦.

١٢- تلفزيون الشباب من دار السلام، بغداد، ١٩٩٣.

١٣- جريدة الزمان الدولية، ٥-١-٢٠٠٦.

١٤- جريدة العالم العربي، بغداد، ع (٣٩٧٧) في ٢٢- آب - ١٩٣٧.

١٥- جريدة العراق، ع (٤١٥٠) في ١٦ – أيلول- ١٩٨٩.

١٦- جريدة الوفاق الإيرانية، مؤرخو الهولوكوست وتضخيم الأرقام، العدد (٢٢٧٤)، ١١-٣-٢٠٠٤. www.al-vefagh.com.

١٧- ج. ف. بتلر، الأصول الثقافية للتربية، ترجمة محمد مرسي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٢.

١٨- حسن عجيل حسين، الصراع بين القانون الوضعي والعرف الاجتماعي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة بغداد – غير منشورة-، ١٩٨٩.

١٩- حسن علي، مجلة التراث الشعبي البغدادية، ع (٢)، السنة ١، ٢٨- أيلول- ١٩٦٨.

٢٠- حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، كويت، ١٩٨٦.

٢١- حميد الهاشمي، فرضيات في أصل الغجر، بحث منشور في مجلة علامات الصادرة في (أمستردام – هولندا)، العدد الأول ٢٠٠٣.

٢٢- خالد القشطيني، الهولوكوست المنسي، مقال منشور في جريدة الشرق الأوسط اللندنية، العدد ٨٢٢٩، ٩ يونيو ٢٠٠١.

٢٣- خليل الشيخ علي، وقفة في دروب الكاولية، جريدة البلد البغدادية، ع (٣٥٣)، ٩ – تموز – ١٩٦٥.

٢٤- رالف بيلز وهاري هويجر، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ج١، ترجمة محمود الجوهري، دار النهضة، مصر، ١٩٦٥.
٢٥- رالف لنتون، الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث،ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٧.
٢٦- رايكو جوريتس، رحلة الغجر عبر التاريخ، مجلة العربي الكويتية، ع (٣٦٤)، مارس (آذار) – ١٩٦٤.
٢٧- رشدي عليان وسعدون الساموك، الاديان، ط١، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦.
٢٨- رودولف غيفليون وبنيامين ماتالون، البحث الاجتماعي المعاصر – مناهج وتطبيقات، ترجمة علي سالم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
٢٩- سامي شورش، الديمقراطية وتخلف المجتمع، تشيخيا نموذجاً، مجلة أبواب، لندن ع (٢٤)، ربيع ٢٠٠٢ .
٣٠- سعدي فيضي الرويشدي، المدخل إلى علم الإنسان، مطابع التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩.
٣١- سعدي فيضي الرويشدي، أنثروبولوجيا الوطن العربي، مطابع التعليم العالي، الموصل، ١٩٩٠.
٣٢- شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، ط١، جامعة الكويت، ١٩٨١.
٣٣- صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠.
٣٤- طه حمادي الحديثي، الغجر والقرج في العراق، طبع جامعة الموصل، ١٩٧٩.
٣٥- علاء الدين البياتي، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، دار التربية، بغداد، ١٩٧٥.

٣٦- علي حسين الوردي، مهزلة العقل البشري، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٥.

٣٧- علي محمود إسلام الفار، معجم علم الاجتماع، ط١، دار المعارف مصر، ١٩٧٨.

٣٨- فاروق إسماعيل، العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية، ط٣، دار قطري بن الفجاءة، قطر، ١٩٨٦.

٣٩- فاروق إسماعيل، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.

٤٠- فوزي رشيد، من هم الغجر، بحث تحت الطبع، كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٩٤.

٤١- قيس النوري، الثقافات الفرعية وإشكالية الإنماء العربي، مجلة دراسات عربية، ع (٣-٤)، السنة ٢٩، كانون٢ – شباط – ١٩٩٣.

٤٢- قيس النوري، الأسرة مشروعاً تنموياً، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤.

٤٣- لوسي مير، مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة شاكر سليم، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣.

٤٤- عبد الوهاب المسيري، موقع موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الإبادة النازية للغجر

http://www.elmessiri.com/Zionism/jewish/ENCYCLOPID

٤٥- متعب السامرائي وحميد الهاشمي، أثر خصائص الوسط في السلوك، بحث مشترك مقدم للمؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب بجامعة القادسية، تحت النشر، ١٩٨٩.

٤٦- مجيد حميد عارف، أنثروبولوجيا الاتصال، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠.

٤٧- مجيد حميد عارف، اثنوغرافيا شعوب العالم، طبع جامعة الموصل، ١٩٩٠.

٤٨- مجيد حميد عارف، ثقافات وشعوب، دار الكتب، بغداد، ١٩٩٣.

٤٩- مجيد حميد عارف، الاثنوغرافيا والأقاليم الحضارية، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٤.

٥٠- محمد أمين الحلفي، التنمية والاتصال الثقافي، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة لجامعة القاهرة، ١٩٨١.

٥١- محمد الحلفي ومزاحم العاني، دراسة الأحوال الاجتماعية للغجر في الرضوانية، بغداد، ١٩٨٢.

٥٢- محمد حسن غامري، طريقة الدراسة الأنثروبولوجية، المكتب الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٩.

٥٣- آية الله محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم ٤٥،(شريط صوتي).

٥٤- محمد عبده محجوب، مقدمة في الاتجاه السوسيوانثروبولوجي، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٧.

٥٥- مزاحم العاني، الاتصال ودوره في التغيّر الاجتماعي، رسالة دكتوراه باللغة اليونانية(غير منشورة) مقدمة لجامعة البانديوس اليونانية، ١٩٩٢.

٥٦- مصطفى جواد، الغجر في المراجع العربية، مجلة العربي الكويتية، ع (١٢٦) ، مايو ، ١٩٦٩.

٥٧- معن خليل عمر، انشطار المصطلح الاجتماعي، وزارة التعليم، بغداد، ١٩٩٠.

٥٨- منير بعلبكي، قاموس المورد (عربي - إنكليزي)، ط١٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

٥٩- موسوعة ويكبيديا، الموسوعة الحرة على شبكة الانترنت: ar.wikipedia.org

٦٠- موقع إسلام أونلاين:

http://www.islamonline.net/Arabic/index.shtml

٦١- موقع حقائق عن ألمانيا

http://www.tatsachen-ueber-deutschland.de/ar

٦٢- موقع الرابطة:

www.iraqirabita.org/index php?do=article&id-2610

٦٣- ميشيل دنكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان الحسن، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.

٦٤- نادية منصور، أسرار الغجر في مصر، مجلة الشباب المصرية، ١٩٨٩.

٦٥- ناهدة عبد الكريم، مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨١.

٦٦- نبيل صبحي حنا، الجماعات الغجرية مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.

٦٧- نهلة، نهلة، المسألة الغجرية عبر العصور، جريدة السفير اللبنانية، ٦-٦- ٢٠٠٠.

٦٨- هلال ناجي، تناقض أم اختلاف، جريدة القادسية البغدادية، ع (٤٤٠٦)، ٢٢ - شباط - ١٩٩٤.

٦٩- وول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، ج٣، م١،

دار الجيل، بيروت، (بدون تاريخ).

٧٠- يونس حمادي علي، مبادئ علم الديموغرافيا، جامعة الموصل، ١٩٨٥.

ثانياً: المؤسسات والدوائر الرسمية:

٧١- الإدارة المحلية في محافظة القادسية.

٧٢- الإدارة المحلية في محافظة القادسية – التخطيط العمراني.

٧٣- قائممقامية قضاء الديوانية.

٧٤- مديرية إحصاء محافظة القادسية.

٧٥- مديرية تربية محافظة القادسية.

٧٦- مديرية شؤون الجنسية – محافظة القادسية.

٧٧- مديرية ناحية بغداد الجديدة.

٧٨- مركز شرطة الفضيلية – بغداد.

٧٩- مركز شرطة النهضة – محافظة القادسية.

٨٠- مستشفى الطليعة – محافظة القادسية.

٨١- وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء – النشرة الإحصائية السنوية، ١٩٩٢.

٨٢- وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء – نشرة إحصائية، كانون١ – ١٩٩٤.

٨٣- وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

ثالثاً: باللغة الإنكليزية:

1- Gay Young، Gender inequalities and industrial development، Journal of comparative family studies، vol. XXIV، No. 1، spring 1993.

2- The Encyclopedia Americana، International Education، vol. 13، New York، 1976.

3- Groliar Encyclopedia، vol. 10، Distributed by the Grolier Incorp Orated، new York، 1961.

4- Horatio Rowney، The wild tribes of India، B. R. Publishing، Cooperation، Delhi، 1974.

5- Howard Greenfield، Gypsies، Crown Publishers، Inc، New York، 1977.

6- International Journal of The Sociology of language، 19، 1981.

7- International Social Sciences Encyclopedia، vol. 3، The Macmillan Company & The Free Press، New York

8- Manchip J. White، Anthropology، English Universities press، London، 1954.

9- New Webster Dictionary.

10- Palmer، Hersch & Ariffin، International

Communication and The Diffusion of Family Planningin WestMalaysia- DemographyPublication of the Population on Association of America، vol. 8، No. 3، August، 1971.

11- PBS Media Website، www.pbs.org .

12- Relief Web، www.reliefweb.int

13- The Region's homepage، www.Philly.com

14- Qais Al- Nouri، Iraqi rural woman's participation in domestic decision – making، Journal of Comparative Family Studies، vol. XXIV، No. 1، 1993.

15- Qais Al –Nouri، Cultural Aspects of The Middle East Conflict، Anthropology Today، vol. 8، No. 4، August، 1992.

16-

17- Webster's Third New International Dictionary، vol. 1، A.G.

رابعاً : باللغة الهولندية :

18- Franser، Angus، De Zigeuners Tinke Davis، Amsterdam، 1995.

الملاحق:

أولاً: بعض صور الكاولية في العراق:



الوضع البائس للغجر الآن في العراق



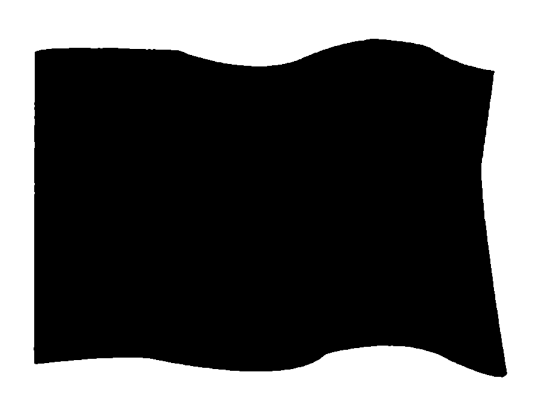
طفل من أحد عوائل الكاولية يجسد الحال المأساوي لهم بعد التغيّرات الأخيرة والأحداث المترتبة عليها.



توظيف الغجر في المسرح الاستعراضي العراقي.



راقصة غجرية



ثانياً : علم الغجر المعروف في العالم :

ثالثاً : بعض الصور التي تمثل المجتمعات الغجرية :



الغجر كانوا جزءاً من ضحايا الهولوكوست



غجر في معسكر اعتقال بألمانيا إبان الحرب العالمية الثانية



امرأة من طائفة الدوم الغجرية في الهند

السيرة العلمية للمؤلف



الدكتور حميد الهاشمي، باحث في الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع، عراقي، يحمل الجنسية الهولندية أيضا. مقيم في بريطانيا. دكتوراه علم الاجتماع. حاليا أستاذ علم الاجتماع المساعد بالجامعة العالمية- لندن وباحث في علم الاجتماع بجامعة ايست لندن، والمركز الوطني للبحوث الاجتماعية بلندن.

NatCen (National Centre for Social Research).

عمل أستاذاً مساعداً لعلم الاجتماع في جامعة أوربا- هولندا، ومدرساً لعلم الاجتماع في كلية الآداب - زوارة- جامعة ٧ ابريل في الزاوية - ليبيا ١٩٩٤- ١٩٩٨. أسس ويرأس تحرير مجلة علوم إنسانية www.ulum.nl منذ عام ٢٠٠٣. عضو الجمعية العربية لعلم الاجتماع، عضو جمعية العلوم الاجتماعية الهولندية. كاتب مساهم ضمن زاوية «كتاب جريدة إيلاف» الإلكترونية.

يجيد اللغات الانكليزية والهولندية بالإضافة إلى العربية اللغة الأم.

له العديد من البحوث المنشورة باللغتين العربية والانكليزية تتمحور حول الأقليات والهجرة والاندماج الاجتماعي، والهوية وقضايا العنف والمرأة والتعليم والفكر والسياسة في العالم العربي. اشترك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية في العراق وليبيا وتونس وهولندا وبريطانيا.

الكتب المنشورة:

١. تكيف الغجر: دراسة اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق، مؤسسة المدى، ٢٠١٢.
٢. العراقيون في هولندا: نحو صياغة إطار نظري لدراسة الاندماج الاجتماعي للمهاجرين، مؤسسة مسارات، بغداد، ٢٠١٢.
٣. الدكتور علي الوردي ودراسة المجتمعين العراقي والعربي، مكتبة عدنان ومؤسسة مسارات، بغداد، ٢٠١١.
٤. العرب وهولندا: الأحوال الاجتماعية للمهاجرين العرب في هولندا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨.
٥. واقع المرأة في عراق مابعد التغيير، (مشاركة مع مجموعة كتاب)، مؤسسة الحوار المتمدن ومجلة مسارات، بغداد، ٢٠٠٨.

كتب قيد النشر:

- موسوعة علم الاجتماع في العراق.

الموقع الشخصي على الانترنت: www.al-hashimi.blog.com
ايميل: hashimi98@gmail.com